



من الشرق  
والغرب

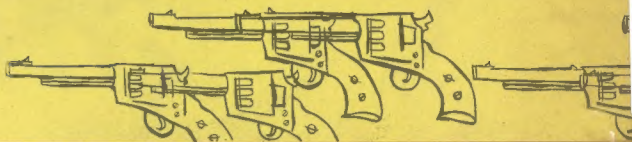


# السكنة يارد

تأليف: هارولد سكوت

ترجمة: اللواء عبد المنصف محمود

مراجعة: عبد الرحيم سرور



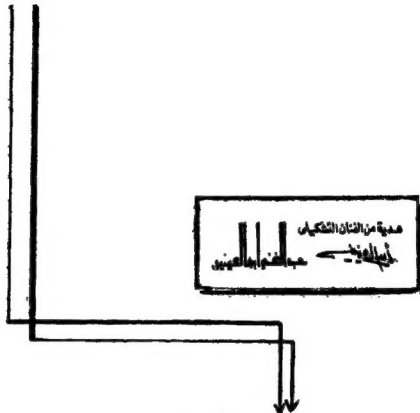












بسم الله الرحمن الرحيم  
مقدمة المترجم  
اسكتلنديارد :

... انه الاسم المدوى في عالم الاجرام ، والذي  
يخشاه المجرم ، ويستعبد منه ، قبل وبعد  
ارتكابه الجريمة ، اختاره المؤلف عنوانا ينبه  
عما يحتويه كتابه هذا .

والمؤلف هو « سر هارولد سكوت » تقلد  
منصب حاكمدار بوليس العاصمة البريطانية من  
سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٢ وهى الفترة التى  
اعمقت الحرب العالمية وكان العجز وقتئذ في  
قوات البوليس بالفا أشده . ولكنه استطاع بهنا  
العدد الضئيل من الرجال ان يكافح موجات  
الاجرام التى خلفتها هذه الحرب الفروس .

وسير هارولد خير بأعمال البوليس ، عليم  
بفن الكتابة ، أديب حقا . وهو قصاص ماهر  
يروى عن رجال البوليس وعن نفسه ، ما لهم  
وما عليهم ، بصديق وصرافة ودقة ، وهو لا يرى  
في النقد غصاصة مادامت هذه الفئة قد بلغت  
بأعمالها ذروة التقدير والإعجاب ، وهو يقرب  
الى الأذهان صور الحوادث ببراعة البيان حتى  
يكاد القارئ يحسب أنه يشهدها لساعتها . وقد  
اختار من الحوادث أشهرها ، ومن المجرمين  
أكثرهم جراً وحيلة ، فشرح وعلق بما ينفر  
من الجريمة وينذر بعاقبة المجرمين ، ويشهد  
لرجل البوليس بأنه نعم الحارس الأمين .

واستطاع سير هارولد بما رواه عن رجل  
البوليس من واقع أعبائه ، وتصرفاته المفاجئة ،  
وتضحياته المتمدة ، أن يطبع في ذهن القارئ  
بحق أنه الصديق الذي يجب أن يوليه المواطنون  
حُبهم ، وثقتهم ، ويمتلئوا عليه ، لأنه حبيب كل  
طفل وعون كل محتاج ، يجهل المستحق بالمطف  
والإنسانية ، وضرب لنا الأمثال وسجل الحوادث  
بالساعات والأرقام ، وفي التجاء العجوز الشمطاء  
الى رجل البوليس ليعيد اليها سلطاتها المفقودة  
خير دليل على الكفاءة الرفيعة التي يتمتع بها في  
نفوس مواطنيه فيشدونه كلما ضاقت صدورهم  
لينفخ عنهم حتى ولو لم يكن ذلك من عمله أو  
من بين واجباته ، فكان عند حسن الظن به ، فما  
سخر ولا أبى أو تكبر ، بل استجاب للدعاء وللب  
الثناء وحقق الرجاء مسترخيا الشعب في سبيل  
إسعاد إنسان مهما كان .

وذكر سير هارولد حوادث تعرضت فيها  
حياة رجال البوليس لخطر الموت وهم على بيته  
من بأس الجناة الذين تصدوا لهم ، فما جبنوا  
أو همنوا بخيانتهم في سبيل الشعب الذي اطمأن



اليهم ليشعروه أنهم ساهرون على أمنه وراحته  
وسلامته ، فمات البعض ونجا البعض ، وكل  
الله أعمالهم بالنصر والتجاح فقالوا تقدير الوطن  
والمواطنين أحياء وأمواتا . وتبان لنا سير هارولد  
كيف بادل أفراد الشعب رجال البوليس  
تضحياتهم بمثلها وما حدث تلك السيدة التي  
عز عليها أن تشاهد مجرما يعتدى على رجل  
البوليس فانزلت هراوتها على رأسه ثم طارده  
وتعلقت بكتفه حتى قبض عليه الا دليل التقدير .  
ولاشك أنها كانت تعرف مدى مايجيق بها من  
جبراء ما فعلت !! وقد كافتها لجنة الحكومة  
بهدية « بنى » جزاء وفاقا .

وكان للسير هارولد فضل كبير في اشاعة  
استخدام تليفون ( النجدة ) رقم ٩٩٩ بين  
الجمهور فجنى به خير الثمرات . وكذلك عمل  
على توطيد العلاقات بين البوليس والصحافة  
ونوه بما أسدته في خدمة العدالة وعانيتها في رفق  
عما تسببه بحسن نية في سبيل التسابق الصحفي  
من متاعب للبوليس والقضاء . وساعد على  
النهوض بالبوليس النسائي وتنظيمه ، ونقد  
الحكومات لاهمالها أمورا جديرة بالتغيير والتبديل  
حرصا منها على عدم إثارة الراى العام ضدها  
وتركها لمن يليها أو للمقادر .

وتكلم عن مشكلة المرور وهى أعقد المشكلات  
بسبب الاحتكاك الدائم بين الافراد والبوليس  
وانتهزها فرصة طيبة ليجعل منها السبيل  
الميسور لتقوية الروابط بينهم بما يبدىه رجل  
البوليس من ارشاد وعطف ودون تعنت وجبروت .  
فالناس تلقى منه النصيح ق عفوا ليطيعوه عن  
رضا وامتنان ، وذلك خير ألف مرة - من أن يزيد  
في عدد المخالفات - لمن يفكروا فى مخالفة القوانين

واللوائح ما دام الامر هينا يمكن تلافيه ولم ينجم عنه اذى .

وقد كشف لنا عن الجريمة وحيل المجرمين بما فيه الكفاية لايقاظ الوعي البوليسى عند السذج والفاقلين فلا يكونون فريسة سهلة ولقمة ساقطة .

ووصف لنا سير هارولد مبلغ ما أضفاه الاحتفال الضخم بتتويج الملكة اليزابيث على عظمة رجال البوليس في نظر الجمهور فنال من التقدير ما جعله حديث الناس في وقتنا هذا وحديثا خالدا للقائمين ، وما أشبه ما أزجاه من فضل اليهم في تنظيم حراسة المارشال تيتو عند زيارته لندن وما اتخذ من احتياطات واجراءات كللت بالنجاح والسلامة .

اما التجديد في مكافحة الجريمة فقد صور هـ هارولد في النتائج الباهرة عن طريق العلم والعلماء فقد أصبحت شهادة العلم شهادة لا تناقش ولا يشكك فيها ، ناطقة بالواقع ، قاطعة بالدليل ، تقنع القاضى والمحقق وتجعل المجرم على الاعتراف في كثير من الاحيان فعلم الكيمياء وفن التصوير ورفع بصمات الأصابع وآثار الاقدام هي ضرورة لا غنى عنها اليوم في أعمال البوليس .

انى اعتقد ان هذا الكتاب سد فراغا كبيرا في المكتبة البوليسية ، فقلما يجود النهر بامثال هارولد سكوت لخبرته الواسعة ولبلافته الجامعة فهو خير من انصف رجال البوليس بقلم ساحر ومنطق سليم ودليل ملموس .

لواء

عبد النصف محمود

الفصل الاول

اسكنند يارو



مؤلف هذا الكتاب هو السير هارولد سكوت حكمدار  
بوليس العاصمة البريطانية تولى أعمال بوليس اسكتلنديارد  
من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٣ واهدى كتابه : « الى رجال  
ونساء بوليس العاصمة ( المتروبوليتان ) » .  
ثم هو يروى قصة تعيينه حكمدارا فيقول :



في أحد الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٤ وصلت الى دعوة  
من المستر هيربرت موريسون وزير الداخلية لزيارته بمكتبه  
وكنت وقتذاك أشغل وظيفة السكرتير الدائم لوزارة الانتاج  
الجوى ، وكنت منقلا بالعمل مع سير ستافورد كريس ومع  
القائد الجوى سير ولفريد فريمان ، وكان ههنا حل مشاكل  
تزويد السلاح الجوى الملكي بالعدد الهائل من الطائرات  
المطلوبة ، والمحافظة على استمرار تصديرها الى أوروبا والشرق  
الاقصى ، ووضع الخطة اللازمة لما بعد الحرب ، والنهوض  
بالطائرات النفاثة وغير ذلك من المهام التى تستنفد كل وقتى  
ولم يدب بخلدى أن اترك عملى هذا وكان قد سبق لى العمل  
مع المستر موريسون خلال السنوات الأولى للحرب فى وزارة  
الداخلية فذهبت الى مكتبه بناء على هذه الدعوة مرجحا أن  
حديثنا سوف يتناول بعض شئون الدفاع المدنى .

ولقد عرفت المستر موريسون من قبل معرفة عامة فهو  
رجل واسع الخيال يحقق النكتة ، فسألنى عن مدى قدرتى  
على ركوب الخيل فأجبتته متحيرا بانى لم امتط صهوة جواد  
الا نادرا بل لم تتح لى فرصة الركوب منذ سنوات غير انى  
على ثقة انى اذا ركبت اليوم فلن اسىء قط الى نفسى !

عندئذ صارحنى الوزير بأن عرض على « تولى منصب حكمدار العاصمة ولشد ما كانت دهشتى عند استماعى لهذا العرض . وكان أول من شغل هذا المنصب فى سنة ١٨٢٩ هما « السير ريتشارد ماين » وكان محاميا ، والكولونيل « السير شارلس روان » الذى كان من ضباط الجيش . وبعد ذلك أصبح تقليدا مرعيا أن يختار حكمدار بوليس العاصمة من بين كبار ضباط القوات المسلحة وكان المتوقع أن يرشح لهذه الوظيفة القائد الجوى السير فيليب جيم عندما يستقيل من منصبه .

ولكن مستر موريسون كانت له آراؤه الخاصة فكان يود أن يبرز الطابع المدنى لقوات البوليس وقد أن تطور الظروف فى دنيا ما بعد الحرب يستلزم أن يكون رئيس البوليس من رجال الادارة لا من رجال الميدان . وكان كريما منه حقا أن يحسن الظن بى فىرانى جديرا بتحقيق ما يعتقد بعد أن عملت فى الدفاع المدنى ثلاث سنوات .

كنت أقل منه ايمانا وثقة بنفسى ، برغم أنه عندما اسندت الى وظيفتى بالانتاج الجوى لم أكن ادرى الا القليل عن شئون الطيران أو الاصطلاحات الفنية التى يتداولها الطيارون ، وقد تبينت أننى اذا ماتلمت الاصطلاحات الفنية أمكننى حل ما يواجهنى من المشاكل على غرار ما صادفتى من الامور والرجال والتجارب .

بدأت خلعتى المدنية فى سنة ١٩١١ فىوزارة الداخلية وكانت وطيدة الصلة بأعمال بوليس العاصمة كما كنت كبيرا لمديرى السجون لمدة سبع سنوات وكنت اتقف على جهود رجال البوليس . ولكن ذلك كله لم يقلل من دهشتى الهائلة فى اسناد هذا المنصب الى . وكنت اتخيل ما سوف يشعر به رجال أكبر قوة بوليسية فى المملكة نحو رئيس لها من المدنيين وماذا يكون رأى الجمهور الذى يرى أن يكون النظام فى البوليس على أتمه والا تزعمت ففته به بتعيين مدنى لرأسته ؟ .

لقد مساورتنى هذه الظنون وكنت أتمنى أن أفوز بالتغلب عليها لأتخلص من أعباء الأوراق التى تحوى أعمالا أشد وطأة على كبار موظفى مجلس الوزراء « الهويتول » وأن اتصل مباشرة بالجمهور وأحل بعض المشكلات ففى لجنة السجون كنت أجد فى الاتصالات الشخصية لذة وراحة لم أشعر بهما فى أعمالى الادارية السابقة وانى سوف أجد مثل هذا فى عملى البوليسى الجديد . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأتى سأقوم بعمل جدى ، هام وخطير فى نظر الشعب . وسادنى الاعتقاد قياسا على

ما مر بي من التغيرات والتطورات في اعقاب الحروب السابقة ان لابد من تغيير سريع لمواجهة الجرائم ، ولن يقتصر ذلك على الجرائم المسحوبة بالصفن وهى قليلة بالنسبة لمجموع الجرائم ولكن انتشار الجرائم الصغيرة كخيانة الامانة والسرقة في المنازل ليلا والتزوير والسرقة في مختلف اشكالها هي اهم اعباء رجال البوليس .

وكان هذا نموذجا لما خلفته الحرب العالمية الاولى حيث تركت وراءها قلقا خطيرا في الحياة الصناعية . وسوف تعيد الحرب الاخيرة آثار الحرب الاولى دون شك .

وايا كان نوع الحكومة التي تتولى الحكم فان خططها للاصلاح الاجتماعى يجب ان تتغلب على ماسواها من متاعبها الاخرى ليسود الهدوء الناس ويطمئن بهم فيخفف عنهم اعباءهم ، والناس دائما يتطلعون الى رجال البوليس دون غيرهم اذا جد الجد . فعمل كفايتهم واخلاصهم وحسن نظامهم والثقة بهم يتوقف الكثير ، فهل لرجل مدنى حتى ان يأمل اقرار النظام الذى يترقبه الجمهور وتنشده الحكومة ؟

ولما كنت رئيسا للجنة السجنون تأثرت تأثرا بالغا بالمبادئ التي سنها المرحوم سير « الكسندر بترسون » الذى ندين لخطئه العملية في نظمنا الجنائية القائمة . وقد عملنا معا في استصدار قانون القضاء الجنائى الذى وضعه اللورد تمبل وود وهو القانون الذى وادته الحرب وكذلك افتتحنا معا المعاهد النموذجية التى فتحت في معسكرات البحر الشمالى وخليج هولسلى ويوسك . وفى معسكر السجن القريب من وتفيلد وهو اسبق السجنون التى فتحت على غرارها منذ الحرب .

والنظام ، كما يقول بترسون ، ولا يفتا يؤكده ، يتوقف على القيادة اكثر منه على الضغط ، فالعامللة العادلة والاعتراف بالكفاية وتجنب المحايبة لو اتبعت لكان النظام نتيجة حتمية وعند عملنا المشترك قلدنا قيمة هذه المبادئ . فعالجت مشكلة النظام في قوات البوليس على هذه الاسس .

ولقد سبرت غور اعمال رجال البوليس خلال الايام واليالى التى تخللت الفترات الجوية الخاطفة على مدينة لندن ، واعجبت بما يقدمون من معونة ، وبما يؤدونه بشعورهم النفسانى من واجب في حالات الطوارئ فالنظام في البوليس يختلف منه في القوات المسلحة . ففى الجيوش تكون مهمة النظام حمل الجنود على ان يؤدوا ماتعلموه في زمن السلم في صورة جماعات وبصفة آلية وتحت الضغط ، أما افراد رجال البوليس فقلما

يعملون جماعات بل يكاد كل منهم يعمل منفردا بنفسه في كل وقت ،  
وعليه ان يفكر في اختيار طريقة العمل بما يناسب كل ظرف مما لا يستطيع  
الامام العامة ان تحيط به دائما . ولنضرب المثل بسارق سيارة قد  
يكون مسلحا مستيhsا ويهرب في زقاق ضيق مظلم ، فلن يدرى احد  
امن الحكمة ان رجل البوليس الذى يتعقبه - وهو المنوط به النظام  
والزهو بعمله حبا له - يعود الى مركز البوليس ويبلغ ان السارق قد  
هرب او أن يطارد - ولا سلاح له غير عصاه - فى الطريق المجهول  
معرضا نفسه للاذى أو الموت ؟ . انى لأوثر صنف الرجال الذين يسلكون  
الطريق الثانى واشجعهم .

وأخيرا نحيث عنى كل شك وأبلغت مستر موريسون سرورى  
وفخرى وبلاضطلاع بالعمل الذى اختارنى له على ان اخطف السير فيليب  
جيم فى أول يونيو سنة ١٩٤٥ . وعلى اثر هزيمة ألمانيا تسلمت الرسوم  
الملكى واستدعيت الى قصر بكنجهام وأدخلت المكتب الرحب لجلالة الملك  
فعرم على أن اخذ مقعدى بجوار المدفأة وبعد حديث قصير عن عملى  
السابق فى لجنة السجون وغيرها حدثنى عن أعمال رجال بوليس العاصمة  
وعن المساعدات القيمة التى قدمها ضباط بوليس القصر ، وكان يتوقع  
مشاكل عظيمة بازدياد الجرائم وحركة المرور واختتم حديثه متمنيا لى  
التوفيق فى عملى الجديد .

بعد أيام قليلة توجهت وزوجتى الى زيارة رئيس الحكومة فى مكتبه  
المطل على حدائق برج فكتوريا حيث استمعنا الى حديث مرتجل القساه  
المرحوم سير سيمون تناول فيه أعمال حكمدار البوليس . ثم أقسمت  
اليمن القانونية دون اجراءات شكلية كما يقضى بذلك التقليد البريطانى  
متعهدا بأن أؤدى واجبات وظيفتى باخلاص وولاء للعرش وتسلمت وظيفتى  
باسكتلنديارد .

ويشغل مكتب حكمدار البوليس غرفة رحبة فى ناصية المبنى الكبير  
مؤثثة بكراس من الجلد مريحة وبها موقد للتدفئة وتقع فى الطابق الاول  
المطل على نهر التيمس بعد جسر وستمنستر وكانت الغرفة التى تملؤها  
أصببت فى ١١ من مايو سنة ١٩٤١ بانفجار من الفارات وسقط جزء كبير  
من المبانى والانتقاض على غرفة الحكمدار .

ووصل سير فيليب بعد حادث الانفجار بنصف ساعة الى غرفة  
مكتبه فوجدها حطاما ركاما فشرع فى اصلاحها على الفور وبلغت تكاليف



الإصلاح نيفا واثنين وعشرين الفا من الجنيتات : وكان من حسن حظي  
أن كنت وارثا لأحدث مبنى حكومي في لندن ، وفي أحد أيام الأسبوع الأول  
من مباشرتي عملي دخلت حجرتي فوجدت نحو اثني عشر كرسيًا مرصوفة  
في شكل نصف دائرة أمام مكتبي فسألت عن السبب فكان الجواب أنها  
معدة لاجتماع الأسبوع الأول الذي أعقده مع الضباط الصغار وأن هذا  
نظام مرعى من قبل فقلت على الفور اني لا افكر في توجيه خطاب الى زملاء  
لي كما لو كنت مدرسا يخاطب تلاميذه في الفصل وأمرت بإعادة ترتيب  
الكراسي حول المائدة وحينما شاهد الضباط هذا النظام الجديد بدت على  
وجوههم الدهشة وتركزت في نفوسهم الأثر الذي كنت أهدف إليه ومنذ  
ذلك الحين واجتماعاتنا ودية وأحاديثنا غير رسمية يشعر كل واحد بأنه  
حر في أن يدلّي برأيه فيما يمرض من المسائل .

كان هذا عملا صغيرا ولكنه كبير الدلالة على ما أرمى إليه من أن  
يلصّب كل فرد دوره كأنه عضو في فريق لعب الكرة .



الفصل الثاني

المقالات البوليسية



كيف يؤدى رجل البوليس واجبه ؟ - الاسس التى يقوم عليها نظام البوليس - الاخطار التى يواجهها رجال البوليس من الناحية السياسية والتى تغلب عليها اول حكمداز للبوليس بالاصرار على ان رجال البوليس ليسوا فوق القانون - العبء الملقى على اكتاف رجل بوليس لندن اثناء الحرب - مشاكل ما بعد الحرب لقوات البوليس القليلة العدد .



ان خبرنى اكدت لى ان من واجب رجل البوليس الا يظهر شعورا عدائيا ضد اى مجرم لان واجبه هو ان يمسك بتلابيبه لكى يسلمه الى يد العدالة ، فاذا ما انتهى من حادث وهب نفسه الى جديد غيره ناسيا كل ماسبقه .

ان هذا الرجل الامين المجيد ، رجل البوليس الذى ذكره فى كل فصل من فصول هذا الكتاب ، انخيله كما تبدو صورته على صفحات الجرائد فى يوم اعلان النصر والمطر ينهمر عليه . تلك الصورة التى تظهره وهو يقى تحت ازاره (حرملة) المريض ستة من الاطفال السعداء . وطالما تذكرت بعض هؤلاء الرجال وأنا أصافحهم على ما أحرزوه من نجاح فى القبض على مجرمين خطرين مسلحين بينما هم انفسهم عزل من اى سلاح فكانوا يقولون دائما « حسنا يا سيدى لم يكن فيما فعلنا ما يستحق الذكر ، بل هو جزء من عملنا اليومى »

انى لأضرب مثلا - يحضرنى فى هذا المقام - ذلك هو الكونسابل الذى قضى فى الخليفة خمسة وعشرين عاما والذى أصيب فى مساء يوم سبوت اثناء معركة أشعلها ايرلندى سكير من عمال الطرق وتمكن اخيرا بمساعدة الاهالى من

فضهما والقبض على المتهمين . فقد سأله لماذا لم يستخدم عصاه البوليسية ؟ فأجابني في يقين « انى لأقرر لك يا سيدى الحقيقة خالصة وهى انى لم استخدم هذه العصا مرة واحدة مدى الخمسة والعشرين عاما التى قضيتها فى خدمة البوليس . وقد أكون نسيت تماما انى أحمل عصا ( محجنا ) » . بمثل هؤلاء الرجال تتألف قوات بوليس العاصمة ولم يأت ذلك عفوا بل يرجع الفضل فى ذلك الى سير روبرت بيل الذى أخرج لنا هذا الرعيل من رجال البوليس فى عام ١٨٢٩ بعد نضال طويل فقد ناصبه العداء هيئات مختلفة تبدأ من بلدية لندن التى خشيت ضياع امتيازاتها القديمة وأيضا قضاة الامن وغيرهم ممن يرون فى انشاء بوليس العاصمة انتقاصا لسلطانهم وتنتهى بهؤلاء الذين يعيشون على نشر الجريمة واختلال الامن وهو ما يكافحه البوليس ويعمل للقضاء عليه .

وتجمع لبيل من خبرته السابقة فى ايرلنده ما جعله يؤمن بأن وجود قوات بوليسية مدنية سوف يقضى على فوضى النظام وعلى الجريمة خاصة . وبعد لاي فاز بيل ازاء معارضة قوية بموافقة البرلمان وصدر قانون خاص بالبوليس . وفى سبتمبر سنة ١٨٢٩ نزل الى شوارع لندن ألف رجل من رجال بوليس العاصمة فلم يلقوا من الشعب تحية بل كنوهم بالكنايات واستعاروا لهم الاسماء فقالوا عنهم : « جنبى بيل النيبى » و « الشياطين الزرق » !

وفى الفاظ دقيقة منتقاة ظهرت نوايا اللجنة البرلمانية التى طالبت سير بيل فى سنة ١٨٢٢ بتعيينها فشاطرت الهيئات شعورها القاسى ضد رجال البوليس وقررت انه يستحيل التوفيق بين نظام بوليسى ناجح وبين حرية العمل الخالصة والتحرر من التدخل الذى كان أحد المزايا والنعمة التى يتمتع بها المجتمع فى هذه البلاد .

ونحن الذين سمعنا وقرأنا عن المكائد والدسائس التى لاقاها شعبا روسيا وألمانيا من رجال البوليس السرى نستطيع أن نفهم خيرا من آبنائنا الذين عاصروا ذلك العهد - مدى المخاوف التى كانت تهدد مولد بوليس العاصمة .

ومن حسن حظ مملكتنا أن البوليس لم يمزج به فى الشؤون السياسية: ولم يقتصر ذلك على أفراد الضباط الذين حرم عليهم الدخول فى أى نشاط سياسى بل أصبح دستوراً للحكومات على اختلاف أحزابها أنه

تجنب أي عمل قد يؤدي إلى المساس بالحياد الذي اكتسبه البوليس وحافظ عليه طويلا . وهي ميزة كبرى لازمت رجال البوليس منذ انشاء قواتهم .

ولا شك أن الفضل في ذلك يرجع إلى الرجلين العظيمين « ماين » و « روان » وهما أول حلقة في سلسلة حكمداري البوليس فقد برهنا بكفاءتهما وبسالتهما في السنوات العشر الأولى أن البوليس المدني قادر على المحافظة على سيادة القانون وإشاعة الأمن في العاصمة البريطانية دون المساس بحرية الشعب البريطاني .

كثيرا ما كان تحت تأثير الضغط يلحق بقوات البوليس الجديدة أقارب خدم بعض اللوردات وكان أول من أساء إلى نظام البوليس من هذه الناحية هو اللورد ملبورن ولكن ماين وروان وقفوا له بالمرصاد ولقد حدثت في السنوات الأولى تغييرات متعددة لأن الرجال الذين أبدوا علامة من علامات الانحراف عن الطريق المستقيم كانوا يطردون من الخدمة بغير شفقة .

وضع ماين وروان المبادئ القويمة التي لا يزال معمولاً بها حتى اليوم ، وهي تظهر بجلاء مدى ما طرأ من تغيير على عقلية أفراد الشعب تجاه رجال البوليس في السنوات العشر الأولى لانشاء قوة بوليس العاصمة. وهذه هي المبادئ :

١ - أن رجال البوليس ليسوا فوق القانون وإنما لهم ما للمواطنين العاديين وعليهم ما عليهم سواء بسواء ، ويسألون عن كل ما يرتكبون متجاوزا سلطاتهم المشروعة .

٢ - أن يكون البوليس بمنأى عن التحيز وأن ينفذ القانون دون خوف أو مجاملة مهما كانت الظروف المحيطة سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية أو عنصرية .

وأخيرا نجح ماين وروان في أن يثبتا في رجال البوليس روحا جديدة وأن تكون تقاليدهم الميزة هي الإنسانية والرحمة ، وعلماهم أنهم خدام الشعب البارزون لا سادته المتعجرفون ، وأن يعدوا أنفسهم لحماية في كل آونة وأن يكونوا أصدقاء يلبون نداء من يسألون العون .

عندما صدر قانون الإصلاح في سنة ١٨٣٢ عمت الاضطرابات والقلاقل فكانت للبوليس المدني فرصة مواتية اتاحت لهم أن يثبتوا

كفايتهم في تنفيذ القانون واستتبات الامن دون الالتجاء الى رجال الجيش، وباطراد نجاحهم زيدت اختصاصاتهم حتى سادت مساحة دائرة نصف قطرها خمسة وعشرون ميلا من ميدان شارنچ كروس بلندن اى مايعادل ٧٤٠ ميلا مربعا وظلت حتى سنة ١٩٤٦ باقية على ما هى عليه حتى أضيفت اليها مساحة أخرى قدرها سبعة وأربعون ميلا أخرى نتيجة لتتسيق حدود اختصاص البوليس ، وبهذا تقع مدينة لندن في وسط هذه المساحة وتمتاز بوجود بوليس خاص بها تحت اشراف حكمدارها.

وتؤدى أقسام بوليس العاصمة ( المتروبوليتان ) واجبها لنحو ٨٣.٠٠٠ نسمة فضلا عما تقوم به من نشاط في أعمال حكومية وتجارية وصناعية بجانب ذلك ، وتتبع قوات بوليس العاصمة وزير الداخلية بعكس غيرها من القوات البوليسية .

ولا يفوتنا ان نذكر انه عندما أنشئت هذه القوات لم تكن في لندن الجديدة مجالس بلدية فكان من المستحيل أن تشرف على ما تتطلبه النواحي الحكومية من اعمال لا حصر لها ، أما الآن فتوجد سبعة مجالس محلية وسبعة وتسعون مجلسا قرويا ومركزيا وكل منها له نظامه من حيث الرئاسة والترتيب وإذا نظرنا الى ذلك من حيث حسن الإدارة والكفاية فقد يكون النظام المقرر نظاما بدعيا غير أننا يجب الا ندهش اذا رأينا السلطات المحلية ، الا وهي المجالس البلدية والمحلية تنظر بسين الرضا الى نظام البوليس لأن على المديرية أن تساهم بنصف تكاليف قوات البوليس وعلى البرلمان أن يعتمد النصف الآخر .

وكانت السلطات المحلية آتفة الذكر قد طلبت مرارا الى الحكومة ان يسمح لها بأن تطلع على مشروع ميزانية البوليس قبل مرضه على البرلمان حتى يمكنهم أن يبدوا رأيهم في طريقة انفاق المال عليها غير أن الحكومة كانت دائما ترفض هذا الطلب بحجة انه مما يتناقى مع الدستور إبلاغ مشتعلات الميزانية لاية هيئة قبل مرضها. على البرلمان وعلى ذلك ينشئ للسلطات المحلية أن تبدى رأيها عن طريق مضمو البرلمان الذى يمثلها عند مناقشة اعتمادات الميزانية او في اية مناسبة أخرى .

ومن العسير أن نرى كيف تستطيع أية حكومة أن تبدى جوابا يخالف هذا الجواب ولهذا كانت السلطات المذكورة بلندن لاتحس نفس المسئولية عن قوات البوليس كما تحس بها البلدان الأخرى .

وسيتضح فيما يلى أن موقف حكمدار بوليس لندن لايمت بصلة ما



الى الدكتاتورية . حقا ان له مطلق السلطة التنفيذية وله القيادة الادارية للأعمال اليومية للقوة وهو مسئول شخصيا عما تحرز من نجاح وما يصيبها من فشل ، الا أن أهميات المسائل المتعلقة بالسياسة العليا يضطلع بها وزير الداخلية فيقرر وأجبات رجال البوليس واختصاصاتهم ويحدد رواتبهم وشروط خدمتهم والتدابير اللازمة لإقامة مبانيهم واسكان رجال القوة وتزويدها بالمهمات . والعلاقة بين حكمدار البوليس ووزير الداخلية ومستشاريه في الوزارة طلاقة دقيقة لأن الوزير قد يستدعى أمام مجلس العموم لمحاسنته عما يفعله حكمدار البوليس وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا أن تصرف كونستابل بوليس واحد قد يؤدي في بعض الاحيان الى خروج وزير الداخلية من منصبه ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الوزير — بل ولا ينبغي له — أن يتدخل في الادارة التفصيلية للقوة وكل سلطاته اذا لم يكن راضيا عن العمل أن يغير الحكمدار .

وخلفت الحرب العظمى مشاكل عدة استنفدت لحلها القسط الاكبر من اوقات رجال البوليس وبرهنت مرة أخرى على أهميتهم وأنهم خير صديق لأفراد الشعب اذا ما جد الجدد ، واتي لأذكر يوم الأحد ٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٠ يوم كان الهجوم الألماني الخاطف وكنت المسئول عن منطقة لندن بوصفي الرئيس الإداري . قد رافقت في اليوم التالي رئيس الوزراء في جولة «للايست انده» حتى يرى بعيني رأسه ما حدث ، واسترعى نظرنا عندما كنا نعبر شريط سكة الحديد عند «سيلفرتون» قطة سوداء وكانت دهشتنا بالغة عندما رأينا رئيس الوزراء يقطع تفتيشه بمداعة هذه القطة بينما كنت أنا في هذه اللحظة أفكر في المكان الذي ستسقط عليه القنابل المقبلة .

كان أبرز ما وقفت عليه من هذه الجولة هو عمل البوليس ففى كل مكان ذهبنا اليه كان البوليس قد أقام حصنا ، وكان على علم بأصابة كل فرد ومتى أصيب ؟ وقصصارى القول ، فقد اكتسب ثقة الأهليين ومحبتهم .

كان البوليس بحكم منصبه أول شهود الحادث بعد وقوعه فكان يسعف المصابين بما له من دراية وإراعى المشردين بما له من خبرة ويجيب على الاستعلامات بما يعلم . وكان سجل المرضي والوحي والمفقودين محفوظا في اسكتلندبارد بناء على معلومات رجال البوليس . ولم ينس أحد من سكان لندن دينه ازاء رجال البوليس في ايام الحرب ولن ينساه

وانى على ثقة ان مابدلوه لمواطنيهم كان ذخيرة كبيرة ادخروها في صدورهم  
يحرصون عليها ويتمونها .

وعندما نشبت الحرب هبط عدد القوات العاملة التي كان مفروضا  
وجودها وهي ١٩٥٠٠ رجل وهو يكاد يفي بالحاجة ولكن نشوب الحرب  
زاد الحالة سوءا فاوقف التجنيد واطلق سراح ٢٧٠٠ رجل ليلتحقوا  
بالقوات المحاربة واستمر الهبوط وسوء الحال ، فما انتهت الحرب حتى  
كان عدد الرجال قد انكمش الى ١٢٠٠ رجل ، ولم يكن من المستطاع  
الاستمرار في مواجهة الحالة الا بمساعدة القوات الاحتياطية . وفي سنة  
١٩٣٩: استمدى أكثر من ٢٥٠٠٠ رجل تناولهم التخفيض حتى بلغ العدد  
٤٠٠٠ رجل بقي أكثر من نصفهم حتى سنة ١٩٤٥ حين ألغيت الاوامر  
التي تقضى بالعاقبة بهذه الخدمة وعندما سرحت الجيوش بدأ رجال  
البوليس يعودون الى وظائفهم ، ودل الاحصاء على أن من قتل منهم ٥٠٠  
رجل ، والحق بخدمة البوليس في ألمانيا والنمسا وإيطاليا واليونان عدد  
آخر ولم يكن منتظرا أن يعودوا الى الخدمة بديارهم قبل مضي وقت ما  
وكانت الحرب قد هيات لبعضهم فرص الترقى الى رتب الصلوات  
والكونستابلات فتدريهم البوليسى يسر لهم الحصول على ترقية سريعة  
في القوات المحاربة وزاد كثيرا في خبرتهم للناس وشؤونهم .

اما الضباط الذين برتب البكاشية والصافات فقد كانوا وحدهم  
المسؤولين من ادارة مساحات شاسعة في ايطاليا وهم الذين أعادوا الحياة  
للمدينة في هذه المناطق بعد ما أصابها من تدمير وتخريب كبير وقد عادوا  
ليقوموا بأعمال الدوريات والمباحث المعتادة للجرائم الصغيرة .

لا أستطيع أن اطنب كثيرا في الطريقة التي تمكن بها هؤلاء الرجال  
أن يغيروا من انفسهم ليتقبلوا هذا التغير ويستأنفوا حياة أصبحت  
جديدة على عملهم القديم .

وعندما أعيد التجنيد مرة ثانية في يناير سنة ١٩٤٦ كان النقص  
في عدد رجال البوليس كبيرا يجب سد فراقه وتداسى الأمل الذي كان  
يداعينا في نهاية سنة ١٩٤٦ وعلى الرغم من عودة كثير من رجالنا من  
الحرب وأن حركة التجنيد سارت ميلا لا بأس به فان الموقف ساء عنه  
في نهاية سنة ١٩٤٥ ويرجع ذلك الى كثرة من اعتزل الخدمة وكذلك  
الذين استهوتهم الأجور العالية التي كانت تعرض عليهم خارج خدمة  
البوليس فهؤلاء لم ينتظروا حتى يستحقوا المصاى بالسن وكان ذلك

مسيبا في هبوط عدد القوات فبلغت ١٤٠٠٠ رجل وهبط عدد الضباط النظاميين الى اقل مما كان عليه في الستين سنة الأخيرة .

وكان السبب الرئيسي هو راتب الوظيفة وضماناتها ، ففي الماضي كان ارتفاع مرتب رجل البوليس وضمان استقراره والمعاش المترتب على الخدمة كقيلة بالاقبال ، أما وقد انعكس الحال وانخفضت اجور رجال البوليس في الوقت الذي ارتفعت فيه غيرها ارتفاعا كبيرا ، بل وان الضمانات الاجتماعية والخدمة الصحية السليمة لافراد الشعب اصعبت كثيرا من مزايا الخدمة البوليسية ولم يك بد من مواجهة هذه الحالات الجديدة بتحسين شروط الخدمة ، فالمرتب والمعاش والسكن والترقية كانت في حاجة ملحة لاعادة النظر فيها وتعديلها واصلاحها وكان ضروريا أن نجعلها تجذب الرجال الصالحين لخدمة البوليس ولقد حاولت جاهدا وانفقت من وقتي الكثير لملى أجد علاجا ناجعا للوصول الى الهدف المنشود .



الفصل الثالث

وَعَرِّمُوا يَفْعَلُونَ ثُمَّ أَصْلَحُوا



إذا قل عدد المجندين من رجال البوليس ازداد عدد الجرائم - نتائج هبوط المجندين - مراجعة المرتبات والترقيات - تحسن الحالة الاجتماعية - المساكن ومراكز البوليس - الملابس وتغييرها .



وقد أمكننا خلال فترة الحرب اقتصاد نفقات { . . . ضابط بوليس تقدر بما بين ثلاثة ملايين من الجنيهاً في العام وأربعة ، وفي مقابلة هذا الوفر زاد عدد نزلاء السجون وارتفع رقم الجرائم ارتفاعاً كبيراً فان قيمة المروقات في عام واحد ققط في دائرة اختصاص بوليس العاصمة بلغت { ٥٠٠٠٠ ر { جنيه منها ٧٥٠٠٠ ر جنيه أمكن استرداده ، أما اثر الجريمة من الناحية الاجتماعية أو المالية فلا يمكن اغفاله . والواقع انه ما من شعب يرغب في تأمين حياته وممتلكاته الا اذا دفع الثمن في مقابلة تحقيق رغباته . ذلك لأن الجريمة في مستواها الحالي تعتبر من الكماليات التي لا يمكن منعها .

ان بعض الأضرار والخسائر التي لا يمكن أن يحتملها الأفراد تكبد الحكومة أموالاً طائلة من جراء المحاكمات والمحاكم والنيابات وما تستلزمه دور القضاء وإجراءات التقاضي وانجع الطرق في منع الجريمة كما اعتقد ، هي استكمال عدد دوريات رجال البوليس لمباشرة أعمالهم ، ولا شك أن رقم الجرائم سوف يتناقص .

وقد كان السبب في عدم المحافظة على امداد قوة بوليس العاصمة لتكون كاملة العدد يرجع الى أن الخدمة العسكرية قد جنبت الشبان . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان

ارتفاع الأجور في الهيئات الأخرى كان عاملا لعدم اقبال الافراد على الالتحاق بخدمة البوليس ، وبالرغم من رفع مرتبات رجال البوليس ثلاث مرات فلا تزال المقارنة بينها وبين غيرها لا تسر . لقد شعرت بارتياح عندما قررت أخيرا اللجنة البرلمانية لشئون البوليس رفع المرتبات وضاعفت علاوة لندن الى عشرين جنيتها بدلا من عشرة جنيها ، وقوات بوليس العاصمة من المجندين وأحوج ما تكون الى سد العجز بها من اية قوة أخرى في أنحاء البلاد ، وأرجو أن التحسينات الجديدة والمربيات الحالية تعيد الحال الى ما كانت عليه .

والعضلة الشاقة هي مشكلة الترقية وهي من الاهمية بمكان في حياة كل فرد ، ونظام الترقى يجب أن يكفل للرجال المتمايزين سرعة الترقى الى المراكز الهامة ، وأن يفاضل بين رجل ورجل بعدالة تامة ، وفي بعض الحالات الأخرى يكون الفرض الثاني أكثر أهمية من الفرض الاول ولا سيما في هيئة كهينة رجال البوليس حيث لا يمكن أن يفرض عليها رقابة من كتب وأن الضابط يجب أن يمنح الثقة لأداء واجبه بأمانة ودقة، ومن حظنا أن بعض الضباط يتقنعون بالبقاء في درجة كونستبلات طوال حياتهم مع قيامهم بواجبهم البوليسى بشغف ومهارة وان كان البعض الآخر يطمح الى الترقى والظهور فاذا ما شعروا بظلم حاق بهم فانهم يتبرمون ويثرون على عملهم فتتعلم فيهم الكفاية .

وقد شعرت عندما كنت باسكتلنديلرد أن كراهية عامة وريبة تدب في نفوس الافراد من جراء الترقى بالانتخاب وكان القول المأثور « اذا لم يعجب وجهك رئيسك فلن يعرض اسمك على لجنة الاختيار » وكان هذا الشعور سائدا ولو أنى شخصيا لا أرى صحة ذلك ، فان قوة كبيرة كفوة بوليس العاصمة لا تستطيع لجنة الاختيار أن تقف على حالة كل فرد بمفردها واذن فقد يصبح الترقى أحيانا نوعا من محض الحظ (اليانصيب) فمهما توفر حسن النية فان الـ ٢٣ مفتشا الذين تتكون منهم اللجنة سيختلفون في وضع مستوى واحد تبحث على أساسه ترقية المنتخبين، وهذا أمر له اثر في عدالة الاختيار .

في عام ١٩٤٧ تقدمت بمشروع جديد للترقية الى الرتب الصغرى على اثر مناقشة اتحاد البوليس يخضع لفكرة امتحان مسابقة ولعل هذا لا يسلم من النقد فقد يكون المتفوق في الامتحان ليس رجل البوليس العملى والعكس بالعكس .

ولكن من المهم أن يكون في ذلك ارضاء لافراد القوة واقناعهم بعدله



مما جعلنى لا ابالى بهذه التجربة ، لهذا اخذت على عاتقى تنفيذ هذا الجديد واضفت شرطين لضمان العدالة : الاول الا يباح لآى رجل دخول امتحان المسابقة الا بتوصية من رئيسه المفتش ، والثانى ان تكون الترقية تحت التجربة لمدة سنة فان لم يمض المدة على ما يرام انزل الى رتبته القديمة ، وقد نجح هذا النظام فعلا وفى الوقت نفسه الفيت نظام ترقية المناطق الذى اعتقد انه اقتبس من سلاح الطيران وهو يقضى بان الضابط الذى يجتاز امتحان الرتبة الاعلى يرقى ترقية تحت الاختبار وفى حالة الكونستابل مثلا لا يرقى الا اذا مضى عليه فى الخدمة ١٢ سنة فاذا نقل خارج المنطقة فلن يجد سبيلا الى الترقية مهما بلغت كفايته وغيره فى عمله . وقد يكون من سوء حظه واخفاقه فى الترقية عدم وجود وظيفة خالية او لاصابته وقت خلوها بمرض طارئ ، وايا كان السبب ، فان خروجه مرة واحدة من المنطقة يفقده كل امل فى المستقبل . فبالغاء نظام المناطق هذا تقدم عدد من الرجال القدامى واجتازوا امتحان المسابقة بنجاح ففازت القوات بضباط صف من طراز ممتاز .

اجل يوجد عدد كبير من الجاوشية الأكفاء الذين قد لا يبرزون فى الامتحانات التحريرية ولكن معهم جميع العناصر التى تجعلهم صالحين كل الصلاحية فلكى اتيح لهؤلاء فرصة الترقى وضعت - بجانب امتحان المسابقة الذى فتح الباب أمام الشبان المجدين - نظاما يقضى بترقية عدد محدود من هؤلاء يختارون كل عام من بين الذين قضوا فى الخدمة أكثر من عشر سنوات ، وقد كانت النتيجة طيبة وبهذا وجد جاوشية ممتازون وضباط ورؤساء نقط وكان لهذا النظام اثره من التشجيع طول حياة الجندى .

وكانت النتيجة ان اصبحت الرتب بعد انتهاء الحرب كالآتى :

كونستابل .

جاویش .

جاویش نقطة .

مفتش .

مساعد مفتش فرقة .

كبير المفتشين .

مراقب .

رئيس كونستابلات .

نائب مساعد حكمدار .

مساعد حكمدار .

ولم تكن رتبة جاویش نقطة قاصرة على رجال بوليس العاصمة ولم يحرز هذه الرتبة الا رتياح فهي تمرقل طريق التقدم للشباب الناجح في وصوله الى رتبة مفتش وان كانت واجباتهم لا تغترق عن أعمال المفتش او الجاویش .

وفي سنة ١٩٥٣ تقرر اغفال العمل بهذا النظام وان يوزع المفتشون والجاویشية على المحطات الفردية تبعاً لحاجة العمل فيها .

أما درجات مساعد مفتش الفرقة وكبير المفتشين ومساعد الحكمدار فتقع عليهم مسؤوليات جسام . وكانت مرتباتهم تقارن بمرتبات أمثالهم في المديریات وان كانوا قد أعطوا الألقاب تقل عنها . ولقد سبب ذلك ارتباكاً عندما اتصلت القوات بعضها ببعض واتضح ذلك جلياً في كلية البوليس الجديدة عندما اجتمع رجال القوات البوليسية في أنحاء المملكة وكان نتيجة لذلك أن أطلق على مساعد مفتش الفرقة لقب كبير المراقبين من درجة ثانية ودرجة أولى وأعطى المراقب لقب كبير المراقبين وفي الوقت نفسه روعي أن يكون مرتب كبير المراقبين مقارناً بالمسؤولية والمرتب لكبير مفتشي المديریات وتمت تغييرات أخرى في الألقاب رؤساء الكونستابلات ومساعدى الحكمدار فاستبدل بالأول لقب خاطيء فان رئيس الكونستابلات كان الضابط الثانى في البوليس ونائب مساعد الحكمدار كان لقباً قبيحاً لرئيس القسم وهو لم يكن في الحقيقة نائباً لمساعد الحكمدار .

وبعد بحث طويل أبدل لقب مساعد نائب الحكمدار ومساعد الحكمدار ، والواقع أن الألقاب الجديدة تعبر عن أعمال وظيفة الضابطین الرئيسین في القسم .

ولئن كان هذا ليس بالأمر الخطير فإنه كان في نظري على غاية من الأهمية في الأعمال الادارية ، وقد استغرق منى وقتاً طويلاً ولم أتم في الواقع على ما أضعت فيه من وقت اذ عاد بالفائدة المنشودة على حسن كيان القوة وكفائتها .

والعامل الثالث ذو الأثر في نفوس المجندين : هو السكن فقد

افتتحت فرصة مبكرة لزيارة النقط ومساكن رجال البوليس التى فى دائرة اختصاصى وقد صممتى الحقيقة يزورنى مبانى ومراكز البوليس فهى قديمة مظلمة ذات سلالم متهدمة وانارة قبيحة وان بعض نقط البوليس ما كانت تتناسب بضالتها مع أهميتها وما تشرف عليه من مساحة بل تركت منذ عهد بعيد على ما هى عليه منذ انشائها قبل الحرب الاولى .

لقد اعتدنا أن نعزو اللوم الى الحرب فى أمور كثيرة ولم تكن منصفين ولكننا فى هذه المرة لا نستطيع أن ننكر أن الحرب كانت هى المسؤولة فعلا . فقبل سنة ١٩٣٩ كان اللورد ترنشارد قد وضع مشروعا لاعادة البناء وأخذ فى تنفيذه فعلا فانشئت مراكز بوليس على أحدث طراز فى أماكن عدة وهى تعتبر نموذجا لما يجب أن تكون عليه مراكز البوليس ونقصت ظروف الحرب بوقف هذا المشروع ولم يستأنف الا فى السنتين الأخيرتين من خدمتى كحكمدار .

وقد كان علينا أن نفعل بقدر ما نستطيع لتحسين تلك المباني الباقية بأن نطليها بالوان بيضاء زاهية بعد إزالة الوانها المظلمة ولقد عملت الى ادخال تحسينات كثيرة لتهيئة المقاصف والفرف الاخرى والاستراحات بنوع خاص وحصلت على اعتماد لشراء صور ملونة ذات ألوان بهيجة يعلقونها على الجدران تسر الناظرين وتعوض ما انفق عليها من مال .

وفى احدى المناسبات اصطحبت زوجتى لمعاينة المساكن التى خصصت للبوليس النسائى فى « ماك نوتن هاوس » وهو أحد مجاميع المساكن الحديثة للرجال العزاب التى بنيت قبل الحرب تنفيذا لمشروع اللورد ترنشارد . وكان فى غرفة الاستقبال مقاعد من جلد ذات مساند غاية فى النظافة منسقة تنسيقا جميلا ولحظت زوجتى أن منظر الغرفة لا يشعر المرء أنه فى بيته ، فلما أكلوا لها أن القاعة مريحة جدا قالت : انى وثقة من ذلك من حيث انها كراسى للرجال اما نحن النساء فملايسنا أقل سمكا من ملايسهم ولذلك نشعر ببرودة لهذه المقاعد واستطردت تقول : انها تعتقد أن من الخير وجود امرأة حتى يصفى النساء شعرهن ويهندمن ملايسهن وما أحب ذلك الى قلوبهن وصاح أحد الخدم : (مرأة) وهو يحاول جهده بدافع الاحترام لزوجة الحكمدار أن يخفى من صوته لهجة الفزع .

ربما كانت هذه أشياء تافهة ولكنها لها قيمتها . وكانت مشكلة

المساكن هذه اهم مانواجهه وعلى الاخص اثرها عند رجال البوليس المتزوجين والمجندين منهم الذين جاءوا من خارج لندن .

وجهت عناية فائقة لهذه الناحية اذ كان الضباط يستحيل عليهم العثور على مساكن لهم . واذا عثروا على مساكن كانت الاجابات اعلى من الحد الاقصى لملأوة السكن برغم زيادة هذه العلوة أكثر من مرة خلال سنوات الحرب وقد حصلت على الموافقة على انشاء ٥٠٠٠ منزل للمتزوجين منهم وان من بواعث ارتياحي ان تعرف ان هذا المشروع كان يسير الى طريق التنفيذ عند مفادرتي كرسي الحكمदार وقد لا يمضي عام او عامان حتى يكون قد تم تنفيذه فعلا وكثيرا ما فاجأت سكان هذه المساكن الجديدة بزيارة مباغتة ، ومن أسعد ذكرياتي هو سرور بعض الزوجات الصغيرات اللواتي حظين أخيرا بعد افتراق دام سنوات ببيت يمرحن فيه هن وازواجهن وأولادهن .

« لن تتصور ... » قالتها فتاة والدموع تفرغ عينها . المعنى الذي تعبر عنه عندما تبذل عشك الذي به غرفة واحدة بشقة جميلة على الطراز الحديث ان في هذا بداية الحياة لنا .

اني لسعيد أن أقول أن مشكلة المباني ستبقى اثرا سيئا قائما يدل على الحاضر وإذا كان رجال البوليس فخورين بعملهم ويتمتعون باحترام الجمهور من جدارة فائهم يتلقون ذلك برغم وضاعة المباني الحكومية التي يزاولون فيها أعمالهم فليس مركز البوليس هو الجهة الرئيسية للبوليس فحسب ، وانما هو المكان الذي يلجأ اليه كل الناس من جميع الطبقات ليمتلقوا النصيحة والعون . فالواجب يحتم الا يجدوا أنفسهم في غرف حقيرة من عهد الملكة فكتوريا تسمئز منها نفوس المترددين وانما ينبغي أن تكون المباني بهيجة رحبة ، وهي أغلب ما تكون كثيرة الضوضاء ضيقة الغرف مظلمتها ولن يستطيع رجال البوليس ان يؤدوا أعمالهم في هذه الظروف على الوجه الاكمل .

وبالرغم من الكثير الذي حدث في السنوات الاخيرة من تحسينات في المكافآت المادية والمستوى الاجتماعي لرجال البوليس فان طبيعة أعمالهم اذا ما قورنت بغيرها في الوظائف الأخرى تكون سببا في امتناع الشبان من الالتحاق بقوات البوليس واذا قبلوا فلا يلبثون أن يستقيلوا بعد وقت قصير للبحث عن عمل أقل ارهاقا . ففي المقام الاول ضرورة خضوع رجل البوليس للنظام وهذا أمر قاس ... ويروى لى الضباط

القديم عما كان يقام فيه المجد من جاويز العهد الماضي الذي كان يحكمهم بالارهاب وكان ينسب الى الواحد منهم تهمة سوء السلوك لانه الاخطاء .

سرعان ما مرت الايام فوجدت انه ليس في نظام التأديب القائم ما أتقده فقد وضع ليكفل العدالة وعدم المحاباة لكل من يتهم بارتكاب مخالفة ولو أن لكل فرد حق استئناف الحكم الى الحكماء وفي الحالات الخطيرة يستأنفه الى وزير الداخلية فقلما وجدنا ما يدعو الى مخالفة ما صدر عن مجالس التأديب .

ورجل البوليس خاضع لعدد من المحظورات لا يخضع لها المواطن العادي فيتحتّم عليه في حالتي العمل والراحة ان يسلك سلوكا لا يشين القوة البوليسية او يبعث على الريبة في أنه يتحيز لهذه الجماعة اوتلك . وفي امور معينة يجد أن حريته في التصرف يقيدھا القانون بكل صراحة وأن لوائح البوليس تتطلب منه أن يمتنع عن أى نشاط يحتمل أن يتدخل في تنفيذ واجباته بغير محاباة وعلى الأخص النشاط السياسى .

وتقر السلطات محل اقامته وكذلك يجب عند اختياره من يسكن معه او من يؤجر له جزءا من مسكنه الخاص أو مسكنه البوليسى أن تفرض عليه رقابة شديدة وكذلك يحظر عليه أن يرفض عمدا أو يهمل في الوفاء بأى دين يستحق عليه قانونا .

وعليه أن يخصص كل وقته لعمله البوليسى وليس له أن يمارس أى عمل يدر عليه ربحا دون إذن من الحكماء ويحرم عليه أن يشترك في محال الخمر أو الملاهى المرخص بها في منطقة بوليس العاصمة وما يسرى عليه يسرى على زوجته ومن يلوذ به من افراد أسرته الذين قد يقيمون معه .

أما ساعات العمل فمسألة اخرى تتناول أسرة رجل البوليس وحياته الاجتماعية ولا سيما من يرتدى منهم الزى الرسمي لمدة ثمانى ساعات يوميا مدى ستة أيام اسبوعيا ولما كان عمل البوليس متواصل الحلقات فرجاله يعملون بالمناوبة . ونوبات العمل ثلاث . صباحية . مسائية . وليلية . وتبدأ من الساعة السادسة صباحا ثم الساعة الثانية مساء ثم العاشرة مساء . وتتغير عادة كل شهر مرة بهذا تصبح أمسية رجل البوليس في شهر من كل ثلاثة أشهر وقفا على العمل . وعندما يحل دوره يجب عليه أن يعمل في يومى السبت والأحد وأيام عطلة البنوك في أيام عمل لرجل البوليس فضلا عما تستلزمه دواعى الاعمال الطارئة الهامة من

وقف أجازاته لمدة اسبوع أو أكثر ورجل البوليس ككل مواطن يسره أن يحظى بالتفرج على الحفلات التى تماثل حفلات التتويج ولكنه يعلم أنه فى هذه المناسبات يحرم من راحته أياما كثيرة قبل الاحتفال وبعده ليكون فى العمل .

أزاء تلك القيود العديدة المفروضة على حياة رجل البوليس الخاصة رأيت من الأهمية أن أمحو ما ليس ضروريا منها . فما وضعت الحرب أوزارها حتى بادرت بالغاء قيدين رأيت أن لا ضرورة لبقائهما . أولهما أن يستغنى عن حصول رجل البوليس إذن بالزواج إذا لم يقض أربع سنوات فى الخدمة ، والثانى أن يحصل رجل البوليس العزب المقيم بمساكن البوليس على إذن إذا تأخر عن الحضور الى مسكنه بعد منتصف الليل .

إن العجز فى عدد رجال البوليس خلق لنا مشكلة لم تكن موجودة قبل الحرب . تلك هى المكافأة الإضافية عن أوقات العمل الزائدة وأنه يكاد يكون من المستحيل أن ينتهى عمل رجل البوليس بانتهاء الساعات الثماني فى اليوم فقد يقبض على رجل قبيل انتهاء نوبته ويتحتم عليه أن يقود المقبوض عليه الى مركز البوليس وأن ينتظر حتى ينتهى من استجوابه فيفرج عنه أو يساق الى السجن ومن القول المأثور أن الحوادث لا تقع الا عندما يتأهب رجل البوليس للانصراف . يقولها رجل البوليس وهو يستسلم لقضاء الله وهو يحس فى قرارة نفسه بالرضاء والارتياح .

وفى الظروف العادية يمكن أن نفسر سبب هذا السرور بأنه سيعوض دائما بأوقات راحة أخرى اذا كانت قوة البوليس مستكملة العدد ، غير أننا بعد الحرب لم نستطع أن نحقق ذلك فتراكمت الالف من ساعات العمل الإضافي بلا أمل فى التعويض عنها .

قررت الا أكتفى بالتعويض المادى من ساعات العمل الإضافي المعمول به ، ولكننى كنت أطلب اليهم أن يتطوعوا لأداء عمل اضافي محدود نظير أجر يدفع لهم فوراً على شرط الا ينال هذا العمل الإضافي من صحته . كثير منهم من كان يرحب بأن يتكسب من هذا السبيل مبلغا اضافيا . وبذلك تيسر لى أن أملا دركات كثيرة ما كان لى أن أملاها كلها أو بعضها بغير هذه الوسيلة .

وسرعان ما تمخض ذلك عن ظهور شيء خطير اذ عمد بعض الضباط الى تجاوز حدودهم فكانوا يتصيدون اتهامات تافهة بغية الحصول على

مكافآت اضافية بحضورهم في الصباح التالي امام المحكمة . ولم استطع ان اجد دليلا على مثل هذا التصرف ، ولكنني وجلت من الضروري الا اوجد ثغرة لمثل هذا الغرض ، فقررت ألا يصرف شيء كمكافأة عاجلة في أداء عمل اضائي كالحضور امام المحكمة او ما شابه ذلك .

واخيرا على ان اعود الى مسألة الملابس . فمضت سنوات عدة لم تغير ملابسهم ققياسا على النظام المتبع في الجيش قديما كان تقرر لها مدة طويلة للاستعمال غير ان ملابس جندي الجيش طرا عليها تغييرات كبيرة في السنوات الاخيرة ولذلك كان من الواجب ان يتناول التعديل ملابس رجال البوليس فالزى بالغ الاهمية بالنسبة لهم فعندما يشتد البرد شتاء أو الحر صيفا يضطر رجل البوليس أن يجوس خلال «دركة» سميا أو يقف في مكانه منتظرا ، وما لم يكن حسن البزة كساء وحذاء فقد تتأثر صحته والرجل المعتل الصعبة لا يستطيع أن يقاوم تقلبات الجو الانكليزي سنة بعد أخرى لمدة ثماني ساعات يوميا في ستة أيام من كل أسبوع .

ولهذا السبب كان الكشف الطبي شديدا بالنسبة للمجندين . وعقب الحرب ألغت لجنة في وزارة الداخلية لكي تبحث بعناية موضوع ملابس البوليس وقد أوصت بادخال عدة تعديلات عليها وكان أهم ما لفت النظر استبدال السترة ذات الياقة العادية بأخرى مفتوحة الرقبة ترتدى بغير ياقة أو رباط . لقد سبب ذلك تذمرا عند القدامى الرجعيين ولكن الغالبية رحبت بالتعديل وكان البعض يرد أن يرتدى قبعة مثل التي يرتديها ضباط الاقاليم . لتحل محل القبعة المعمول بها حاليا في العاصمة والتي يرجع تاريخها الى زمن بعيد بل هي من التقاليد المعروفة بها رجال البوليس . ولما اقترح على هذا الاقتراح انقسمت الآراء مناصفة بين القبعتين وعلى ذلك وقف تنفيذ الاقتراح . واني لسعيد ان تبقى الحال على ما هي عليه حتى لا يحرم رجال البوليس في لندن من هذه الظواهر التقليدية المميزة لهم .

والمعطف أعيد تعديله ليكون ذا بنينة ( ياقة ) مفتوحة بدلا من ( الياقة ) القديمة العالية والحرملة الثقيلة اللامعة التي لا ينفع منها المطر استبدل بها معطف أزرق من نوع ( الماكتوش ) بليس في الظروف الاعتيادية ويوضع فوقه ( حرملة ) مائنة للماء عند اشتداد البرد .

وسياسف كثير من رجال البوليس القدامى على حرمانهم من الحرمة  
البراقة لانها كانت تقى الاكتاف عند هطول الامطار الغزيرة واذا ما طويت  
كانوا يستخدمونها سلاحا نافعا اذا ما أحسن استخدامها ولكن هذا ليس  
مقياسا يقاس عليه بحذافيره في سائر ملابس البوليس .

بهذه الوسائل المختلفة أرجو أن أكون قد وفقت في التخفيف عن  
رجل البوليس وأن أكون ساهمت في تحقيق ما أصبو اليه من انشاء  
قوات سعيدة راضية .



الفصل الرابع

أعداد رجل التواليس



تنظيم بوليس العاصمة • لجنة الانتخاب • التفويض -  
تحت الاختبار ( حارس أمن الملكة ) مدرسة تدريب للبوليس  
السرى • مدرسة قيادة السيارات • كلية البوليس الوطنية •



يعين الحكمدار بواسطة العرش بناء على توصية وزير  
الداخلية ووظيفة الحكمدار يصفها الامر الملكى بانها ( قاضى  
الامن لمقاطعات لندن ومرل سكس وكنت واسكس وغيرها من  
احياء لندن ) •

وياون الحكمدار نائب الحكمدار وأربعة مساعدين  
وكلهم يعينون كذلك بوصفهم قضاة أمن ولو أنهم هم والحكمدار  
غير مسموح لهم بمزاولة اية سلطة قضائية • أما تعيينهم  
كقضاة أمن فتقليد تاريخى يرجع الى ما قبل انشاء مجالس  
احياء لندن عندما كانت ادارة البلاد فى ايدى قضاة الامن فى  
احياء المدن وأظنهم القضاة الاداريين الباقين فى الوقت الحاضر •

وسلطات وواجبات الحكمدار مستمد بعضها من تعيينه  
رئيسا لبوليس العاصمة وبعضها من تشريعات أصدرها  
البرلمان • والحكمدار وإن كان مسئولاً عن ادارة القوات  
بالطريقة التى يقوم بها افرادها لتنفيذ واجباتهم فهو لا يستطيع  
ولا يحاول أن يرسم بدقة الطريقة التى يتبعها أحد  
الكونستابلات فيما يصادفه فى الظروف المختلفة •

ليس رجل بوليس اسكتلنديارد كما يعتقد الناس مجرد  
بوليس سرى • إن اسكتلنديارد هى قوات بوليس العاصمة  
فمنها كل فروع القوة الرسمية والبوليس النسائى والمباحث  
الجنايية والبوليس النهري ودوريات المرور والبوليس الراكب  
وفرقة الكلاب البوليسية • ومن الخطأ الذى يسود افهام  
الجهسور أن الحكمدار له سلطان على قوات البوليس فى

الاقاليم والضواحي خارج العاصمة • ان ذلك لم يحدث فيما مضى ولن يحدث في الوقت الحاضر •

ان في انجلترا وبلاد الغال ١٢٥ قوة بوليسية في الاقاليم والضواحي يتراوح عددها من ١٠٠ الى ٢٨٠٠ رجل ولكل قوة رئيس كونستابلات له سلطان مستقل • ولو أن بوليس العاصمة يشمل نحو ثلث قوات المملكة جميعها فعلا • فعلاقاتهم بالقوات ليست علاقة الرقابة بحال من الاحوال • بل علاقة المودة بين شقيق كبير واخوته الصغار في أسرة كبيرة •

ويؤدي رجال بوليس العاصمة خدمات وطنية كثيرة مثل حماية الاسرة المالكة والوزراء والمحافظة على المكتب الرئيسي للسجل الجنائي وإدارة تحقيق الشخصية وإدارة بصمات الأصابع ، غير أن الرجال التابعين لاسكتلنديارد لا يتدخلون في قضية جنائية خارج لندن الا اذا استعانت بهم •

والعمل في اسكتلنديارد موزع بين الاربعة المساعدين للحكمدار بطريقة تجعل كلا منهم مسئولاً عن مجموعة من المسائل متصل بعضها ببعض في جميع أنحاء المدينة على النحو الآتي :

#### مساعد حكمدار فرقة ( أ ) :

وهو مسئول عن البوليس النظامي فيما يتعلق بتوزيع أنواع العمل والتنقلات والتأديب والترقية بين أفراد القوة •

#### مساعد حكمدار فرقة ( ب ) :

وهو مسئول عن أعمال المرور والنقلات البوليسية وتدريب سائقي البوليس ودوريات المرور •

#### مساعد حكمدار فرقة ( ج ) :

وهو مسئول عن أعمال المباحث الجنائية والقسم المخصوص •

#### مساعد حكمدار فرقة ( د ) :

وهو مسئول عن تدبير شئون المعيشة للقوات ومسائل المجندين والتدريب والاختبار •

وأُنشئ حديثاً مكتب صغير للمبحث ورسم الخطط وضع تحت إشراف

نائب حاكم دار مهمته دراسة الآراء الجديدة والمحافظة على نظام القوة .

وبجانب هذه الادارات البوليسية توجد ادارتان مدينتان وهما ادارة السكرتارية المسئولة عن المكاتبات العامة والاقسام المدنية والاستعلامات العامة والاحصاءات والمترقيات والمعاشات والسجلات الاخرى . والادارة القضائية ومهمتها الافتاء في المسائل القانونية وتولى الاجراءات والالتزامات .

وتنقسم العاصمة الى مراكز تتبعها فرق بوليسية تختلف بحسب اهميتها وعدد سكانها . فكل فرقة تنقسم بدورها الى فروع قد تكون ثلاثة او اربعة تحت اشراف مراقب وهو اكبر مرجع في النظام البوليسى وهو مسئول عن جميع اعمال رجال البوليس فى منطقته .

وتحدد لمراكز البوليس دوائر اختصاص تقسم الى «دركات» يشرف عليها رجال نظاميون تحت رياسة كونستابل نظامى وهؤلاء الرجال مازالوا هم العاملين على منع ارتكاب الجرائم فى نظام البوليس البريطانى ومن المدهش أن تجد فى ذاكرة الضباط العاملين أنه لم يكن من قبل نظام تدريبي للجندي البوليس .

ويرى أحد الضباط الذين لا زالوا بالخدمة ان اول يوم اختير فيه لخدمة البوليس أمر بان يقدم نفسه الى أحد المراكز صباح يوم الاثنين فلما توجه اليه لبس الزى الرسمى وأخبر فى ايجاز أنه ليس هناك ما يستدعى وجوده سائر النهار وانما عليه أن يمود فى الساعة السادسة من الصباح التالى وبهذا الاعداد تسلم عمله .

والمعول به الآن يختلف اختلافاً بينا عن ذلك فهناك اختبار دقيق لطالبي التوظيف بالبوليس فقد أرسلت ٢٣٠٠٠ استمارة الى طالبيها فى سنة ١٩٥٢ أعيد منها أكثر من ٨٠٠٠ فبعض طلاب التوظيف لم يقبلوا بسبب السن أو الطول أو الجنسية أو غير ذلك من الاسباب ولكن ستة آلاف منهم تقريبا قد استمدعوا لمكتب الاقتراح لكشف الهيئة ولم يحضر منهم غير خمسة آلاف ، وقد رفضت لجنة الاختبار المؤلفة من الحكمدار ومساعد السكرتير من فرقة (٥) وكبير المراقبين وكبير مراقبي مدرسة التدريب عددا يبلغ نحو ١٢٥٠ شخصا ولم تقتصر مهمة اللجنة على ذلك بل كان نصب عينها البحث عن الاخلاق والذكاء . وأخفق فى الكشف الطبى ألفان فكان الباقى بعد ذلك نحو ١٧٥٠ وهم الذين تقرر قبولهم اذا جاءت التحريات عن سلوكهم مرضية وأنهم اجتازوا الاختبار العلمى فأخفق من هذا العدد ٥٠٠ لهذه الاسباب وانتهى الامر بقبول ١٢٥٠ طالبا فقط

وبعد هذه التصفية الدقيقة يذهب الطلبة الناجحون الى إحدى مدرستي التدريب البوليسية وهما مدرسة بيل هاوس وستمنستر أو هندون للتدريب على دراسة تستغرق ثلاثة عشر أسبوعا للناجحين .

ويلحق في كل اسبوع جماعة ما بين عشرة الى خمسة عشر شابا لكل من المدرستين حيث يوجد ١٥٠ مجندا يباشرون التدريب . والناجحات من البوليس النسائي يحضرن نفس الدراسة التدريبية كزملائهن من الرجال .

وعند العودة يخصص لكل مجند غرفة للنوم والجلوس ويعطى الزى الرسمي ويقسم اليهين امام مساعد الحكمدار . وقد حضرت هذا الاحتفال عدة مرات أثناء خدمتي فاتيحت لي فرصة لتأكيد أهمية العمل المقبل عليه هؤلاء المجندون وضرورة المحافظة على التقاليد المرعية التي تؤدي بها هذه القوة عملها في خدمة الدولة .

ويختلف الكونستابل عن أى موظف عام بحمله عبء المحافظة على الأمن والقسم الذى يؤديه كالآتى :

« اقسم انا ( فلان ) وقد عينت كونستابلا في فرقة بوليس لندن أن أعلن في جد واخلص وصدق وأؤكد اني سأخدم بأمانة وصدق ملكتنا (الملكة اليزابت) في وظيفة الكونستابل وسأؤدي عمل الكونستابل للمحافظة على الأمن ومنع وقوع السرقات والجرائم الأخرى والقبض على الخارجين على الأمن وأبذل بكل احترام أقصى جهدي ومعلوماتي لأقوم بواجبات وظيفتي المذكورة بالنزعة وكما يقضى القانون » .

وهو بصفته كونستابلا لا خادما للحكمدار يؤدي عمله ويكون مسئولا شخصيا عن تصرفاته في عمله وكثيرا ما تحمله الظروف على أن يتصرف وحده ولا تسنح له الفرصة للرجوع الى رؤسائه الضباط لديه بالمعونة والارشاد .

ولكى يمارس هذه السلطة تماما يجب عليه أن يكون ملما بقانون الجنائيات وأن يتدرب على الموقف الذى يتخذه حيال الجمهور .

وفي الثلاثة عشر أسبوعا المقررة للدراسة يتعلم المجند مختلف المواد وهى تشمل قانون الجنائيات وتنظيم أعمال المحاكم الجنائية وقوانين المرور والإماكن ذات التراخيص والقممار والمراهنة وتاريخ تنظيم قوة البوليس نفسها . ومن الناحية العملية يتدرب على فن الدفاع عن النفس وتحرير التقارير وجمع وتقديم الأدلة .

وليس التعليم قاصرا على تلقى المحاضرات ولكن ليكون واقعيا ومفيدا تمثل حوادث خيالية وتصفطن محكمة قضائية يديرها معلم حيث يقدم فيها الطالب حالة محتملة الوقوع ويناقشه فيها המתحن .

وفى نهاية مدة الدراسة اذا جاز الطالب الامتحان يلحق بفرقة البوليس فيعمل بها مدة علمين تحت الاختبار ويستمر فى التعليم ويكون فى بداية الأمر مرافقا لضابط أقدم منه يؤهله لتأدية أعمال رجال البوليس . والفكرة السائدة عندى عن المجندين الأحداث انهم ممتازون .

واذكر ان أحد الكونستابلات ولم يكن أتم تدريبه الا منذ عهد قريب شاهد سيارة خروج محل تجارى بمدينة كنجستون فساوره شعور خفى بأن فى الأمر شيئا غير عادى فقفز على سلم السيارة فجرى السائق بسرعة جنونية وحاول أن يقذفه باحتكاك السيارة بأعمدة النور . وفى شوارع كنجستون ظل الكونستابل متعلقا برغم كل المحاولات للتخلص منه وأخيرا اصطدمت السيارة بسور احدى الحدائق وألقت بالكونستابل من فوق السور الى الحديقة ولكنه تمكن من النهوض وتسلق السور وثبت أن السيارة كانت مسروقة فعلا كما جال بخاطره . ولما هنأته على ذلك صارحتى بأنه يعتبر أن ذلك العمل المجيد ليس الا جزءا من عمله اليومي وكثير من هم على شاكلته .

وهناك كونستابل صغير حديث العهد بالتخرج صادفته تجربة تختلف عن سابقتها . ففى صباح أحد أيام السبت فى الشتاء الثانى بعد الحرب كنت ذاهبا مع زوجتى بالسيارة لنشتري بعض لوازمنا فنزلنا عند باب المتجر ورحت أبحث عن مكان فى شارع جانبي لاترك عربتى فيه وبعد قليل حضرت الى زوجتى وسألتنى أن أصحبها لاعاين شيئا راقها فلما عدت الى السيارة وجدت كونستابلا حديث السن واقفا بجوارها ويبيده الدفتى الذى يدون به المخالفات فسأله عما اذا كان رأى خطأ فقال : نعم ألا تعلم أن السيارة تعترض طريق عبور المشاة فأجبته بحدّة : لا وكيف يتسنى للمرء أن يبصر طريق العبور والطريق مغطى بالثلج ولكنه قال بخلطة : ولكنك تستطيع أبصار اللوحة المميزة واني مضطر لأن أرفع تقريرى بذلك الى الحكمدار يا سيدى فقلت له : حسنا ما عسى أن أفعل عندئذ . فسألنى : هل تعرف الحكمدار ؟ فافهمته أننى هو ذا الحكمدار ولكنه نظر الى بارتياح ثم قال : انى لى أن أعرف انك هو ؟ . وخار كيف يتصرف وسألنى عن بطاقة تحقيق الشخصية .

ولم اكن فعلا احمل بطاقة ولكنى كنت قد نسيت أن أقدم له شعار المحكمدار الفضى الذى بحلقة المفاتيح . ومسح ذلك فزوجتى قدمت له بطاقتها وبعد أسئلة أخرى اقتنع الكونستابل ثم تذكر انه شاهد صورتي بأحد الافلام بمدرسة التدريب . لقد نصحته بأن كل ما يفعله هو الا يحو ما سطره فى دفتره ، انما عليه أن يرفع تقريرا الى نقطة البوليس التابع اليها وهناك يعرفون ما يفعلون وعندما تركت السيارة أنا وزوجتى وجدت الكونستابل يبدو عليه الخوف فوجهت زوجتى اليه الحديث بقولها كفاك ايها الضابط ترضية أنك الضابط الوحيد الذى كان له شرف استجواب المحكمدار فأجابها مكتئبا ( ذلك هو حظى ياسيدتى فأتى غادرت مدرسة التدريب منذ شهر واحد وهذا هو أول عمل بوليسى اعمله وعلى أن أضيف أننى حذرت المحكمدار لخرقه للوائح ) .

وقبيل انتهاء مدة التجربة يقضى الكونستابل مدة منفصلة فى فروع التخصص لأعمال البوليس كادارة المباحث الجنائية ودوريات سيارات المرور وفرقة نهر التايمز وله عندئذ حق اختيار الفرع الذى الرزى الرسمى أو يتقدم للالتحاق بأحد أقسام التخصص .

وعلى هؤلاء الذين يقع الاختيار عليهم أن يدربوا تدريبات عدة اولها التدريب فى البوليس السرى بمعهد ( هندون ) الذى يقدم اليه من يختارون للالتحاق بادارة المباحث الجنائية . وفى كل عام يندب اليها ثلثمائة جندى تقريبا من بوليس العاصمة والمديريات والمقاطعات ومن وراء البحار ليدرسوا بها والدراسة تستغرق عشرة أسابيع ويقوم بالتعليم ضباط ادارة المباحث الجنائية الخبراء وأعضاء معامل تحليل الطب الشرعى والاساتذة المدنيين والعسكريون فى ادارة اسكتلنديارد ويعاونهم محاضرون من الخارج كالنائب العام واستاذ علم الامراض وآخرين .

أما الدراسة النظرية فتبدأ بدراسة القانون الجنائى والاجراءات الجنائية بما يعود على الطالب بالفائدة ومن أهم ما يجب على ضباط البوليس ، معرفته الظروف التى تخوله حق القبض على الافراد فإذا ما تجاوز حدود اختصاصه فللمقبوض عليه أن يطالب بتعويض عن حبه بغير حق مما قد يقضى بتفريم البوليس مئات متعددة أو آلافا من الجنيهات . فمثلا اذا وجد رجل يحمل ليلا آلات كسر البيوت فقد يحق القبض عليه اذا لم يستطيع الادلاء بمعلومات مقنعة عن حمله اياها ولكن اذا كان ذلك نهارا فيقع على عاتق ضباط البوليس اثبات أن هذه



لاذات حملت لارتكاب امر غير مشروع قانونا ويخصص وقت كاف للامام بطريق استجواب المتهمين وان شئت قفل بفن الاستجواب . وعليه ان يتعلم القواعد القضائية التي وضعت فى سنتى ١٩١٢ و ١٩١٨ لان فى مخالفتها ما يقضى على الجهد المبذول وقد يظن لاول نظرة ان هذه الاجراءات التى وضعت لتحمى البريء قد يستفيد منها المجرم وتقف عقبة فى سبيل التحريات اذ انه محظور استجواب متهم مقبوض عليه اى الذى تقرر اتهامه فى ارتكاب جريمة قبل اعلانه بها والا كان ذلك سببا فى افلات المتهم والواقع ان هذه الاجراءات لا تقف حائلا ازاء مهارة رجل البوليس السرى . وهنا يبدو جليا مجال فن الاستجواب .

وتلقى على مسامع الطلبة محاضرات اخرى تبين مدى معونة معامل الطب الشرعى فى اعمالهم فهناك محاضرات عن السموم واهمية الدم فى تحريات الجريمة وفائدة المجرم والتحليلات الكيميائية والاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء .

ولن تأتى الخبرة والحدق لرجل البوليس السرى عن طريق الاستماع للمحاضرات مهما كان المليا ولكن عليه ان يستخدم معلوماته المكتسبة حديثا بطريقة عملية ولتحقيق هذه الغاية يقضى جماعات الطلاب اوقانا عدة فى التمرين العملى على حوادث اجرام من صنع الخيال .

فيشكل تمثال لشخص بالحجم الطبيعى ويفترض موته بعدة طرق ويترك للطلبة البحث عن كيفية الوفاة واسبابها ويمنح الطلاب درجات على حسب ما يبذلونه من جهد وبصفة خاصة عند وصولهم الى مكان الجريمة وملاحظتهم مفاتيح اكتشاف الجريمة والمحافظة عليها والاهمية المترتبة عليها دقة وصف الطالب للحادث نظريا وعمليا وعليه ايضا ان يحفظ كيف يميز ويحتفظ فى ذاكرته بسميزات الوجوه وبصفات الشخصية ليتعرف عليهم . ويعين الضباط المتدربون احسن الطرق لتوجيه قوة الملاحظة وكيفية اكتساب المحتالين والزورين والمبتزين ثقة القريسة وكيف يعالج الجريمة فى ميادين السباق ويتعلم الطالب على ايدى المهرة فى فهم طرق فتح الخزائن واغلاقها واستخدام السلاح والمتفجرات وانواع وخواص الاحجار الكريمة والمجوهرات .

وفى ( هندون ) مدرسة لتعليم قيادة السيارات لا تقتصر مسؤولياتها على تعليم دوريات المرور ولكن تتخطاها الى قيادة عربات البوليس .

وهنا يلقتن من سيناط بهم مراقبة اعمال المرور ان مهمتهم ليست

ضبط المخالفات ولكن اعطاء القنوة الصالحة والنصيحة التي بها يشجعون على ضمان الامان في القيادة الحريصة والمجاملة على الطريق . وعندما يكون أحدهم مسئولاً عن تنفيذ لائحة المرور يكون مزوداً بلائحة إجراءات المحكمة وقواعد أداء الشهادة ويجب عليه أيضاً أن يكون ملماً بإشارات المرور ومعرات عبور المشاة والشوارع ذات الاتجاه الواحد والامان المصرح بالوقوف فيها والمحظور الانتظار بها والمسموح بالوقوف فيها على جانب واحد ويقضى ثلاثة أسابيع في هندون في دراسة عميقة . وضابط البوليس الناجح الذي يفوز بالنجاح في هذه الدراسة في هندون يجب أن يكون سائقاً مقتدراً بل يجب عليه أكثر من ذلك إذا ما اضطرته الظروف أن يقود سيارته بسرعة في لندن .

ومن أهم ما يشتمله التدريب العالي في هندون ملاحظة السيارات وإيقافها وهي تنهب الأرض بسرعة فهذا يستدعي قسماً وافراً من المهارة وتحكما في الأعصاب لان ملاحظة السيارات في الشوارع وهي تسير بسرعة ٧٠ أو ٨٠ ميلاً في الساعة من الأمور المألوفة . ورجل البوليس - خلافاً لما يظنه الناس بناء على التصوير الخاطئ من الصحف - لا يدرّب على اعتقال السيارة أو العربة الهاربة بل عليه أن يستنفذ صبر سائق هذه السيارة اما بملاحقته باستمرار أو الجرى خلفه واما باضطراره الى الاتجاه الى طريق جانبي .

وتنفيذ قوانين المرور ليس في ذاته عملاً يرتضيه الجمهور بل هو محفوف دائماً بخطر انقلاب الرأي العام ضده فدوريات المرور لا تتابع القانون ولكنها تهدف بطريقة مهذبة معقولة الى الحصول على تأييد الجمهور لها . ونجاح رجل البوليس في تسابقه مع السائقين الخصوصيين ذوى المهارة الفائقة هو رأس مال له لانه يبين بجلاء أن رجل بوليس المرور . وان كان ظاهر عمله أن يسدى النصيحة والتحذير ولكن حسبه أن في مكنته أن يدعى بحق انه سائق ما هر للسيارة والموتوسيكل وربما كان أقسى اختبار في حياة هؤلاء هو ما جرى في مسابقة مونتكارلو حيث دعا سير وليم روس منذ أربع سنوات فريقاً من المعلمين بمدرسة القيادة الى قيادة إحدى سيارات شركة تالبوت في السباق وقبلت هذه الدعوة تحية منها للمدرسة وانتهازاً للفرصة لكي يكتسب ضباطنا خبرة قيمة .

وفي سنة ١٩٥٣ لم تصب فرقتنا بأية خسارة في سباق مونتكارلو وكان ترتيبها التاسعة والعشرين ولما وجه سؤال في مجلس العموم عن

اشترك البوليس فى السياق أمكننى أن أؤكد لوزير الداخلية أن نفقات الضباط لم تكن عبئا على الخزنة العامة وأن الضباط أستغلوا أجازتهم السنوية للاشتراك فى المسابقة .

ان الأمل الطبيعى لكثير من الشبان عند الالتحاق بالبوليس هو الحصول على ترقية وإذا ساعدهم الحظ فى المستقبل فقد يصلون الى أكبر منصب فى هذا السلك فإذا كانت خدمة البوليس سليمة منتظمة لوجب أن اتيح هذه الفرصة لجميع من يلتحقون بها وقد كانت سياسة الحكومات المتعاقبة لعدة سنوات مضت أن تشغل أعلى وظائف قوات البوليس من بين الصفوف والأى يوتى بضباط من الخارج الا فى الظروف النادرة التى لا يوجد المرشح اللائق بين قواتها .

ان مشروع انشاء كلية لبوليس العاصمة وهى الكلية التى انشئت قبل الحرب لقبول شبان جامعيين وخريجى المدارس العامة ومنهم رتبة مفتش نقطة كان هذا المشروع معارضا لهذا المبدأ ولهذا كان مشار تهم من رجال البوليس .

وكلية بوليس العاصمة التى أغلقت عند نشوب الحرب لم يعد افتتاحها فيما بعد ولكن حل محلها كلية بوليسية تسير على مبدأ مخالف لمبدأ الكلية القديمة فالجديدة كلية قومية لا تقتصر على بوليس العاصمة ولا تتسع لغير الطلبة الملتحقين فعلا بقوة البوليس والذين انتخبوا للترقية الى وظيفة مفتش أو يكادون ينتخبون لهذه الرتبة .

كنت عضواً فى مجلس مديرى الكلية منذ انشائه . وكنت القى المحاضرات لكل فرقة متخيرا موضوع العلاقة بين البوليس والصحافة وهو موضوع كنت أعقد عليه أهمية كبيرة طيلة مدة عضويتي .

ولا يقتصر الالتحاق بهذه الكلية على المتفوقين من رجال بوليس العاصمة والأقاليم ولكن تتسع لضباط قوات بوليس المستعمرات . ومن أئمن ظواهر هذه الكلية هو ذلك الاختلاط الذى يقع بين رجال القوات المختلفة أثناء المحاضرات وخارجها فكل واحد منهم ما يدلى به من واقع تجاربه وأن ضباط المستعمرات ليقدرول كل التقدير الفرصة التى أتاحها الكلية لهم بتلقيهم طرق وتقاليد بوليس الدولة الأصلية .

وكان من الأهمية بكان أن تفتتح الكلية بعد الحرب بأسرع مما يمكن فبدلا من أن ننتظر حتى تقام لها أماكن جديدة . قررنا أن نستلخم موقعا ليس واسعاً بنى خلال الحرب ليأوى اليه العمال فى مصنع

طائرات بمدينة بريتون وقد أصلحت هذه المباني بعد ادخال بعض التعديلات عليها ولو انه كان يعوزها بطبيعة الحال بعض التجميل المعماري والبيئة الملائمة ولديها وفرة بحاجات الكلية الجديدة قبل أن ترتبط بمبان جديدة ذات تكاليف باهظة وإذا كانت الكلية قد نجحت في ظروف الانتقال المتقدم ذكرها فان الفضل يرجع الى البريجادير ( دنكان ون ) الذي استطاع أن ينجح في خلال خمس سنوات في اقامة منظمة حية نامية يفخر بها رجال البوليس .

والبيئة والتقاليد قيمتهما في خدمة البوليس ، كأي شيء آخر ، ولذلك فان مديري الكلية احدثوا يبحثون عن معر دائم لها وبعد ان لافوا صعوبات عدة وفقوا الى شراء منزل جميل قريب من ( افرسلي ) في مقاطعة ( همشير ) سيأخذ مركزا تقام حوله مباني الكلية الحديثة .

الفصل الخامس

الاقتصاد في عدد  
رجال قوات البوليس



لماذا لا يمكن انزال مستوى التجنيد . الخطوات التي  
اتخذت للاقتصاد في عدد أفراد القوة - المدنيون بدلا من  
رجال البوليس - قضية ضبط المرور - تجربة ابردين -  
طلبة البوليس .



لقد اتعبت القارئ كما اتعبت نفسي وأنا أكتب هذا  
الكتاب عن رجال بوليس العاصمة منذ الحرب وذلك بمؤالة  
ذكر عجز القوات . ولا غرابة في ذلك . ولايضاح ما أقول  
فغالبا وطبيعيا أن يوجه الى السؤال التالي . اذا كان لديك  
عجز في قواتك فلماذا ترفض الحاق المجندين الذين يتوقعون  
للاتحاق بالقوة ؟ . فضلا عن ذلك فماذا أنت صانع لكي  
تنتفع برجالك الى أقصى حد ؟ . وهاتان النقطتان المقبولتان  
تحتاجان الى جواب . وجوابي عن المجندين أننا أنزلنا  
مستواهم الى الحد الأدنى الذي رأينا فيه السلامة فأنزلنا  
الحد الأدنى للطول من خمس أقدام وتسع بوصات الى  
خمس وثمان فكانت النتيجة أن تناول النقد ضالة أحجام  
كثير من رجال البوليس الصغار . ولو أن لك وظائف  
المجندين للحرب يشغلها من هم فوق الست أقدام طولا  
ولا يتجاوز ١٤٪ من هم دون الخمس أقدام وتسع بوصات .  
وآعتقد أن من الخطأ تخفيض مقياس الطول أكثر من ذلك  
لأن الطول والقوة البدنية غالبا ما يسيران جنبا الى جنب .

أما المستوى الطبي فلم تتساهل فيه . لأن أقل نقص  
سيكون أثره ضارا بقوة البوليس أو الفرد . وعمل رجل  
البوليس . كما أؤكدته يتطلب شروطا صحية وقوة بدنية  
وينبغي للطالب أن يحتفظ بها من خمس وعشرين سنة  
الى ثلاثين سنة . وييتما أن قوات البوليس مستعدة

لتمريض عدد قليل ممن خذلتهم قواهم البدنية في السنوات الأخيرة من خدمتهم فإنه لا يوجد الا عدد محدود من الوظائف الصالحة لهذا الغرض ولا يوجد عادة ما يبرر الاحالة الى المعاش لاسباب صحية الا هذا السبيل . ولما كان الضابط يستحق معاشا بعد خدمة عشر سنوات فمن الضروري . محافظة على مصلحة دافعي الضرائب والاتاوات الحكومية . أن يكون رجال البوليس المعينون بصحة جيدة .

والاختبار العلمى يكاد يكون بدائيا بما يكفل للطالب ان يؤدي عمله . وعمل رجل البوليس الحديث يتطلب المزيد من الذكاء . ولا يتفق مع الكفاية المطلوبة خفض المستوى لاكثر من ذلك . والدراسة التدريبية تستنفد مقدرة المجندين ومن ضياع الوقت والمال أن تأتى بأفراد الى مدرسة التدريب لا يستطيعون فهم المعلومات .

وأما جوابى عن السؤال الثانى . وهو هل من الميسور الانتفاع بقوى الفرد البدنية انتفاعا كاملا ؟ . فأتى آخر من يدعى تعدد امكان ادخال تحسينات ما ولقد بذل الكثير فى هذا السبيل .

وكان المعجز أظهر ما يكون فى ( الدركات ) وكثيرا ما سمعنا ان الناس يبدون الملاحظة الآتية : أنا لانكاد نشاهد أحدا من رجال البوليس فى ( دركات ) أحيائنا بلندن . وهذا يساير الواقع الى حد كبير .

ولما كان بعض الواجبات المختلفة التى لا يتيسر اغفالها ذودت بالرجال اللازمين كضباط النقط أو الضباط المنوط بهم اعمال خاصة ومع حساب الفائبين بالاجازة أو المرض فان العدد الباقى ( بالنقطة ) كثيرا ما يكون قليلا بحيث لا يكفى لتزويد ( الدركات ) بالرجال . وبالإضافة المتوالية فى اعمال التخصص وبالمجز فى الرجال سبوت الحال حتى امكن وصفها بالمأساة . وكان عدد العاملين بالدوريات والدركات فى سنة ١٩٣٢ هو ٨٨٪ من العدد اللازم لها . ولكن هذا الرقم تضائل فى سنة ١٩٥٢ الى ٤٤٪ .

والى حد ما أمكن سد الثغرة فى المحطات الخارجية بواسطة ضباط مركبون الدراجات أو الموتوسيكلات فيقطعون مسافات أكبر ويجوسون سريعا خلال ساحات شاسعة قليلة السكان وينفقون الوقت الأكبر فى أرتياد هذه المساحات حيث تستوجب الحالة وجودهم . ومنذ سنوات كان النظام المعمول به هو أن تفرض دوريات إضافية على الدركات



الاعتمادية بحيث تبدأ من الدركت وتنتهى إليها في مواعيد مختلفة حتى تسد الثغرة عند تغيير النوبة .

وليس هناك بديل حقيقى من رجل البوليس المعين في دركه او في المرور لأنه يتجواله في صمت في منطقة معروفة له بأهلها ومبانيها يكون سريع الملاحظة في كل ما يمكن أن يطرأ فيها من غير المألوف .

وكان واجبى أن أركز كل ما أستطيع من الرجال في ( الدركت ) والدوريات لمواجهة أحوال الضرورة القصوى وذلك في أعمال المواصلات وغيرها في النقط أو الجهات الرئيسية . وهناك بعض وظائف من هذا القبيل ينبغي اسنادها الى الرجال المسنين القادرين على اداء مثل هذه الأعمال تبعاً لحالتهم الصحية . وفي غير هذه الظروف فقد وضعت نظاما يقضى بأن يحل كلما تيسر - كتاب مدنيون محل ضباط البوليس وبهذا عاد ضباط كثيرون الى أعمال ( الدركت ) وشبه بذلك ما حدث عندما مددنا ضباط ادارة المباحث الجنائية بالكتيبة والمختزلين فكان لديهم فسحة من الوقت بحيث يستطيعون أن يتفرغوا لأعمال البوليس السرى .

وقد يتغير على مر السنين مدى الأعمال الكتابية التى يقوم بها المدنيون في المقر الرئيسى وكان أول ما تقرر أن زود المجلس المشترك للحكمدارين بثلاثة من الكتيبة ولكن نهاية جرتباتهم كانت ضعف مايتقاضاه المراقب ولما زاد العمل اشتد الميل الى اسناد هذه الأعمال الكتابية الى ضباط من البوليس وعلى ذلك بلغ عدد الضباط الذين يؤدون أعمالا كتابية في سنة ١٩١٤ اثنين وثمانين ضابطا في مقابلة تسعة وأربعين مدنيا . وكانت الزيادة الضخمة في العمل الجديد الذى نشأ بسبب الحرب أدت الى زيادة عدد المدنيين الى ثلاثة أمثالهم حتى سنة ١٩٣٠ غير أن عدد الضباط ظل ثابتا لم يتغير .

وفي فترة ما بين الحربين حل المدنيون محل ضباط البوليس في الفرع الإحصائى ومكتب الممتلكات المفقودة وقسم إجراءات المرور ومصلة السيارات العامة والسجل بادارة المباحث الجنائية ونقلت مهمة اعداد كشوف الرواتب من اقسام البوليس الى موظفين مدنيين فزادت الأعمال وزيادة كبيرة بالرغم من كل ذلك - وبلغ عدد رجال البوليس في أوائل سنة ١٩٥٣ ألفا في مقابل سبعمئة مدنى .

وفي أثناء ذلك ظهر عاملان جديدا أولهما : خطورة العجز في عدد

رجال البوليس والثانى زيادة تكاليف الضباط المدنيين اذا تساوى العدد من الطرفين بسبب العلاوات المتوالية فى رواتب الاولين .

واقترصادا فى عدد رجال البوليس ونفقاتهم كان لابد من الاخذ بما انتهت اليه لجنة اللورد ( اوكللى ) بان لا مبرر فى اى حال لمنح مرتبات ومعاشات وامتيازات بوليسية الى افراد لم يستخدموا لتأدية اعمال بوليسية وقد ألفت لجنة من مندوبين من وزارة الداخلية ومن مكتبى بوزارة السير ( ارثر ديكسون ) فى ابريل سنة ١٩٤٩ مهمتها بحث توزيع الاعمال بين الضباط والمدنيين .

وعرضت اللجنة باسهاب فى تقريرها المؤرخ فى يوليو سنة ١٩٥٣ الى تنظيم المصلحة واوصت باستبدال جميع ضباط البوليس بمدنيين فى عدد من الفروع وأن يحل محل بعضهم عدد من المدنيين . والمصالح التى تناولها هذا النظام هى مصلحة السيارات العامة وقسم التصوير الفوتوغرافى وقسم اوراق القضايا والمراسلات وتسجيل بصمات الاصابع ومكتب السجل الجنائى وقد قبلت هذه المقترحات ووافق عليها وزير الداخلية وهى الآن موضع التنفيذ . وقد لا يتيسر تنفيذ هذه المقترحات فى بعض الفروع الا بالتدريج . حتى اذا ما بلغت الكمال بلغ الاقتصاد اكثر من مائتى ضابط .

كان همى من كل هذه التغيرات أن أتجنب تشتيت رجال البوليس فى تأدية اعمال يستطيع المدنيون القيام بها ، ومن المهم أيضا أن نحصل على احسن النتائج من الضباط فيما هو منوط بهم . وكان حتماً أن أواجه نقدين أولهما : كثرة عدد الضباط الذين يركبون السيارات فلم يكونوا على اتصال بالجمهور وما تستدعيه حاجاته . وثانياً كثرة عدد المستخدمين ومراقبة حركة المرور وتعقب السائقين المخالفين وفى هذا ما يطيح بواجبهم الحقيقى من منع ارتكابه الجريمة أو كشف ما وقع منها . والنقد الاول شديد الصلة بما أسلفت اليه من قبل . وهذا النقص فى عدد رجال الدرك لا يصدر الا عن الذين لا يدركون الدور الباهر الذى تلعبه السيارة والراديو فى منع الجريمة وضبطها وليس من الغفلة القول بأنه بدونهما كان يستحيل بقوة قليلة العدد أن يواجه المستوى الذى بلغته الجريمة واعمال العنف بعد الحرب حتى مع النجاح المتواضع الذى أصبته فى السنوات الاخيرة ونقد توظيف رجال البوليس فى اعمال المرور يقرن فى الغالب باقتراح أنه يمكن أن يحل محلهم هيئة خاصة للاحظة المرور وهذا الاقتراح يظهر انه مبنى على سلسلة عجبية من

الاضاليل وهى انه من اليسير اختيار ملاحظى المرور وانهم يحتاجون الى تدبير أقل ، وأنه ليس من الضروري أن يكونوا بنفس المستوى البدنى والصحى أخيرا . وهذا هو السبب الأساسى لهذا الاقتراح بغير شك انهم لا يكبدون الحكومة ما تكبده بالنظام الحالى .

وبغض النظر عن المشاكل التى يحدثها وجود درجتين للضباط يسيران جنباً الى جنب احدهما لكونستابل له سلطان يستعمله بحكم التقاليد والقانون . والأخرى من طبقة أدنى محدودة السلطان ولا أرى ان مثل هذا الراى جدير بالنظر فضايط بوليس مرور فى نوبته ليس حارسا للمرور فقط . وإنما هو موجود ليلبى كل نداء عاجل ليعالجه بما له من سلطان واجب . فعندما يختبر رتلا من السيارات ليأذن لها بالترخيص أو يياشر مخالفات وقوف السيارات فى الشوارع أو عدم اضاءتها ليلا يجب أن يكون فى كل وقت متيقظا لكل انواع الاحتمالات . فمثلا اذا بلغ من سرقة من عربة أو عن شخص تدعو تصرفاته الى الريبة فله من السلطة ما يخوله القبض فورا على المتهم واذا أمر أطيع لأن أوامره محترمه وكل مقاومة لأوامر رجل البوليس أثناء تاديبه واجبه تعد جريمة والملاحظ الذى هو من درجة أدنى يلقي هذه الطاعة التلقائية من المجهور .

وبجانب هذا فأنى أرى وفرا يذكر فى النفقات أو تيسيرا فى تعيين الحراس فليس مأمونا أن ينتخب أشخاص لهذه المهمة الا من احسنهم أخلاقا لأن ظروف عدم الامانة كثيرة والخدمة محاطة دائما بضمانات التأديب ولصاحبها حق المعاش ومن ناحية تقرير المعاش وحدها فان المقاييس الطبية لا يحسن تخفيضها ومن ناحية العمل يكون من الضرورى توافر اللياقة الطبية لأن كل من لهم خبرة بالموضوع متفقون على أن العمل شديد الارهاق وأنه يجب القيام به فى جميع فصول السنة مهما كانت الأحوال الجوية . ولقد كان ملاحظو المرور لا يطالبون بأداء أعمال ليلية الا أنهم يتولون أعمالهم فى الصباح الباكر وينصرفون عنها فى المساء ويعملون أيام العطلة الأسبوعية والعطلات العامة .

كثيرا ما يقال ان حياة ضابط البوليس القائم بأعمال الدرك حياة رتيبة غير أنه يوجد كثير من الأساليب يمكن بوساطتها تغييرها من وقت لآخر بأسناد أنواع أخرى من أعمال البوليس اليه فكونستابل الدرك الذى رأى مجرما مثل ( رستى ) وقبض عليه أخبرنى أن هذه المناسبة التى وقع فيها الحادث جعلت عمل البوليس عملا لذينا . وهذه المناسبات لاتتاح لحارس المرور الذى يجب عليه أن يلتزم عمله المتشابه سنة بعد أخرى

باستمرار وهو يؤدي عمله بإرشاد ضابط البوليس والفرص المواتية لترقيته محدودة . ومنحه راتبا أقل كثيرا من راتب البوليس يرجح الا يجذب الى هذا العمل الا رجلا قليلي الاهتمام قليلي فرص النجاح . ولست أرى ما يبرر انتخابهم دون رجل البوليس الاعتيادي .

ومن وجهة نظر البوليس سيكون من المجحف أن حراس المرور الجدد الذين لا يدخلون في سلك الكونستابلات لن تكون لهم سلطة القبض في حالة ارتكاب جرائم خطيرة من جرائم المرور ولن يكون لهم سلطة العمل كاحتياطي بوليس في أوقات الطوارئ . وأختتم كلامي بقول : انه لا يوجد بديل مرض من رجال البوليس لتطبيق قوانين المرور .

وفي الوقت ذاته ينبغي لي أن أقرر أن قسما كبيرا من وقت رجال البوليس ضاع بغير وعى منهم ولا سيما في تأدية شهادة خاصة بجرائم المرور أمام المحاكم وقد قدمت اقتراحات متعددة لتوفير هذا الوقت : منها تنظيم أعمال المحكمة بحيث تنظر قضايا المرور في يوم معين أو جزء من يوم وقد جرب هذا الاقتراح في محاكم لندن المختلفة وأصاب بعض النجاح ، واقتراح آخر يقضى بأن يعدل القانون بحيث يسمح لقائد السيارة المعترف بذنبه أن يفعل هذا بطريق البريد وأن يستغنى عن شهادة البوليس في هذه القضايا . فمثل هذا النظام لا يضر بالمخالف بل انه متبع فعلا في اسكتلندا وبعض المستعمرات البريطانية .

ومن بين الوسائل التي توفر فيها عدد قوات البوليس هو النظام المسمى بمشروع ابردين ففي سنة ١٩٤٨ أدخل رئيس كونستابلات ابردين في قسم من المدينة نظام فرقة ميكانيكية بعد أن قضت فترة تجربة عامة فشملت جميع اتجاه المدينة وألغيت الدركات الفردية وقسمت المدينة الى أقسام كل منها مزودة بفرقة تتألف من ثلاثة كونستابلات الى تسعة تبعا لأوقات النهار وأيام الأسبوع . وللدواعي البوليسية في المنطقة . وكان يعينه جاويش رئيسا للفرقة له سلطة توزيع أعمال رجاله بالطريقة التي يراها وتوضع تحت تصرفاته عربة بها راديو تليفوني مستقبل ومرسل يستعين به على الاتصال المستمر برؤسائه ولتنقل الرجال بسرعة الى المكان الذي تستدعي الحالة انتقالهم اليه وهؤلاء الرجال كانوا يمنحون سلطات كبيرة في (النقط) التي يعينون فيها وينفنون بها أعمال (دورياتهم) حسبما يرونه .

ولما وجد أن هذا النظام الجديد قد زاد من اهتمام الجاويش ورجاله بأعمالهم وحميا للجاويش فرصة طيبة يتولى فيها القيادة والتنظيم مستقلة

عن مجرد الرقابة كما ظهر أيضا أن ادخال تنوع على أعمال الأفراد قد ساعد على التخفيف من حدة رقابة أعمال الدرك وأدى الى تحسين الحالة الصحية والنفسية لأفراد القوة وأخيرا دون المساس بالصلة الوثيقة بين البوليس والجمهور فإن هذا النظام دل على أنه لا يقل دقة عن النظام السابق إن لم يزد عليه .

وقد أوفدت ضابطا الى ( ابردين ) لدراسة هذا النظام فظهر أن بعض القوات أدخلت تعديلا عليه وبناء على ما تلقيت من تقارير رأيت أن أقوم بتجربة كاملة في أربعة أقسام فرعية لأخذ مزايا المشروع الذي يقضى بأن استخدام عربة اللاسلكي يمكن من ارسال الأفراد بسرعة الى حيث تدعو الحاجة اليهم وهذا ما كان يحققه بطبيعة الحال بوليس العاصمة المركزى عن طريق عربات اللاسلكي . فالمشروع في شكله الأصلي أثار بعض الصعوبات لأن قلة عدد الرجال لدينا جعل من العسير أن تتجنب ادخال تعديلات مستمرة في أعضاء الفرقة ولكي نستكمل العدد اللازم كان لزاما علينا أن نقوم بأعمال انتقال كثيرة إذ كان يضطر الأفراد الى التوجه من أقسامهم الأصلية الى مركز الفرقة التي عينوا فيها . واختل بذلك الترتيب الاتيادي الموضوع للأجازات وتغيير الدوريات فعدلنا من أمرها لتتغلب على الصعاب وبذا أمكن اتباع هذا المشروع أكثر من سنتين . وهو يفضل النظام القديم فيما يتعلق بأعمال الفرقة في المسائل الخاصة بالحوادث ومقدار الجرائم والاعتقالات وفض الاجتماعات غير القانونية .

ويتوقف الكثير على ما يتمتع به الجاويش رئيس الفرقة من مقدرة وسرعة بديهية وعلى الاهتمام الذي يبديه مفتش الدورية . فإذا كان مستواء عاليا فإن نظام الفرقة سيكون أفضل بغير شك من النظام القديم لأنه يبعث في أعضاء الفرقة اهتماما جديدا في اظهار جماعتهم بمظهر التنافس مع الفرق الأخرى وهو يسمح للجاويش أن يتصرف برجال فرقته وأن يقدر كفايتهم عن كثب وأن يستخدمهم مرة هنا ومرة هناك على حسب مقتضيات الأحوال وأن يستغل عنصر المفاجأة وهو عنصر له قيمته في أعمال البوليس كما أن له قيمته في أعمال الحرب ولذا قررت أن يمتد المشروع من الأقسام الأربعة الفرعية الى أجزاء أخرى من لندن ولو أن احتفالات التتويج حالت دون تنفيذ ذلك عاجلا ، إلا أن الخطط كانت معدة للعمل بها عندما تركت العمل .

ومثل هذا التوفير في عدد رجال البوليس لا يسد إلا فراغا قليلا من أولئك الألوف من الرجال الذين يحتاج اليهم . فلما ووجهت بهم في الحقيقة المرة صممت على أن أنهج منهاج بعض قوات الاقاليم . وأن أنشئ

قوة من طلبة البوليس يأمل أن ما أصاب نجاحا كبيرا خارج لندن قد يصيب نجاحا فيها وبمجرد أن أعلن عن هذا المشروع أغرقنا الطلبات بكثرتها من طراز طيب من الشباب فاخترنا مائة وصيبن طلبا من بين أكثر من ثلاثة آلاف .

وطلبة البوليس تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة وغرضهم أن يظلوا بهذه القوة الى أن يستلغوا للتجنيد في سن ١٨٥ ورواتبهم تتراوح بين ٤ بنس ٦٥ شلن ، ١١ بنس ٧٦ شلن أسبوعيا على حسب السن ويزودون بالملابس الرسمية .

وبعد قضاء شهر في مدرسة التدريب البوليسى تعين أماكن عملهم في قسم أو في فرقة أو في المركز الرئيسى . فمن كان يعيش بلندن فهو يظل عادة يعيش في منزله أما القادمون من المديريات فيسكنون بسكن البوليس أسوة بالعزاب من رجال البوليس .

وهم يخفون عبء رجال البوليس الاعتيادين بقياسهم بأعمال الروتين وبمراقبة مرور التلاميذ في الطرقات والكتابة على الآلة الكاتبة وأعمال التليفون وكان عدد الطلاب ٢٥٠ طالبا في يوم التتويج ونيط بهم العمل في منطقة الاحتفال بالتتويج في ذلك اليوم . وقام سبعون منهم بعمل طيب بإيصال رسائل للصحف ولشريط الاخبار وشركات التلفزيون اللاتي يجب أن تخرج صورهم الفوتوغرافية من وسط المنطقة المزدحمة بالناس لتلحق طبعات الصحف في ( فليت ستريت ) أو لتصديرها بالطائرة في بعض الأحيان الى أمريكا وأوروبا .

كذلك أدى الطلبة الضباط الأعمال المنوطة بهم في ظروف أشد قسوة فأحدهم وعمره ١٧ عاما كان يعمل باسكتلنديارد في أحد الأيام فشاهد معركة في ( هاى مركت ) ففرق بين المتنازعين الى أن وصل ضابط نظامى . وصيى آخر في نفس السن واسمه ( اسبرو هوك ) ( أى ) صقر الصافير ) وهو اسم على مسمى وكان له من يقظته أنه شاهد فتاتين كانت أوصافهما قد سبق نشرها على أنهما مطلوبتان للعدالة فتعقبهما الى أن التقى بأحد الكونساتبلات وألقى القبض عليهما .

وكان عدد الطلبة الضباط في بداية الأمر قليلا لأن العمل الذى كان يمكن أن يستند اليهم محدود ولا يحقق غرضنا لو أننا شغلنا أوقاتهم جزئيا . غير أن التجربة أوجدت أنواعا أخرى من الأعمال فقررت بموافقة الجميع أن أزيد العدد الى ثلثمائة .

ولم نشرع فى انشاء قوة الطلبة الضباط لكى نستفيد منهم فورا •  
انما كان الامل ان الطلبة يمسد ان يلموا بالعمل داخل الكلية يهتمون به  
حتى اذا ما قضوا مدة التجنيد الالزامى عادوا الى وظائف كونستابلات  
نظاميين • ومن سبق القول ان نقرر مدى ما تم من هذا ولكن استرشدنا  
بتجارب القوات الاخرى لتوقمنا ان يعودوا اليها زرافات وبودنا الا يستدعى  
ابدا الطالب الضابط للاشتراك فى أعمال القوات المسلحة وانما يسمح له  
بان يلتحق فى البوليس بوظيفة كونستابل اذا بلغ التاسعة عشرة فيؤدى  
حينئذ خدمته الالزامية غير ان ادارات التجنيد لم توافق على ذلك خشية  
ان تلجأ جهات اخرى الى مثل هذا الطلب وانى اعتقد عموما انه خير  
للطالب ان يغادر البلاد فى خدمة القوات المسلحة • ففي ذلك توسيع  
لخبرته قبل الاستقرار فى أعمال البوليس •





الفصل السادس

الجريمة بعد الحرب



أسباب ازدياد الجريمة بعد الحرب • مسئولية الهاربين من الخدمة • الفدائيون - الشنوذ الجنسي - جرائم العنف مبالغ فيها - كراهية البوليس - القيود التافهة - المقامرة - مراهقات الطريق - النساء في قوة البوليس - البغاء - اقتراح سلطات لنفى غير المرغوب فيهم من رعاية الكومنولث •



كانت أولى تعاليم السير ريتشارد ما بين لرجال بوليس مدينة لندن المجدد قوله • ان اختفاء الجريمة هو أصدق دليل على كفاية رجال البوليس • وإذا اتخذنا ما تقدم مقياسا عليه فان قوات بوليس العاصمة وأية قوات أخرى بالملكة لا تستطيع أن تحظى الا بقليل من الرضى نتيجة لاحصاءات الجرائم التى وقعت فى السنوات التى تلت الحرب • ولكن فحص أسباب الجرائم واحصاءاتها منذ سنة ١٩٤٥ ليس مهما بلغت أرقام الاحصاءات دليلا على نقص فى مهارة أو نشاط قوات قليلة العدد بعد أن واجهت بشجاعة وبراعة أعمالا يكاد يكون من المستحيل تأديتها •

يقال دائما ان زيادة الجرائم نتيجة حتمية لكل حرب كبيرة • وأيدت التجربة عقب الحرب العالمية صحة هذا القول وما جرته من خراب ولم يكن البوليس واحدا فى تقديره المشاكل التى سيكافحها •

لم تكن الحرب يوما لتولد روح احترام حياة للأفراد ولما يملكون • وحرب غايتها الاثناء كالحرب الاخيرة اضطرت الحكومات الى أن تحد من حريات الافراد وحقوق التملك فمن غير المعقول أن تكون الحروب مدرسة يتوقع الانسان منها أن يسمود الناس احترام القوانين وتزدهر فيها حقوق الغير •

وقد جلبت الحرب أيضا قيودا متعددة وهي وان كانت ضرورة للجهود الحربية لم تكن كذلك للرجل الذي يشعر بأنه لم يقابل هذه القيود بنفس الشعور النفساني الذي كانت تحمله الجريمة في معناها القديم وبذا نشأ الاستهتار بالقوانين وعم حتى امتد تدريجيا الى دائرة واسعة المدي .

ان الحرب نفسها اتخذت شكلا غير معروف حتى اليوم فالوف من الناس انتزعوا من بيئتهم المألوفة وأجليت النساء والأطفال والشيوخ مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر وأسكنوا في أماكن غريبة عليهم وبين أناس جدد بطرق غير مألوفة وقاسى الأطفال من ذلك بنوع خاص وحرمت مئات الألوف من الشعور بالاستقرار والطمأنينة - هذا الشعور اللازم لتنمية عقل الطفل . وبعد الحرب لم يكن ليثير الدهشة أن يوجد بين هؤلاء الصغار الذين بلغوا دور المراهقة نسبة كبيرة من المجرمين المقدمين للمحاكمة .

وبغض النظر عن الآثار الأدبية والاجتماعية فان نظام الاطلام ( عدم الاضامة ) وأعمال التخريب المادية الناشئة عن الغارات الجوية تضافرت لتخلق بين الشباب وسائل اغراء غير معروفة فالوف الأبواب والنوافذ التي لم تمتد اليها يد الاصلاح الا جزئيا هيأت فرصة عجيبة للخطف والسرقة . وحينما كان يقبض على المجرمين الأحداث كان على مصلحة الاختبار والمدارس المعتمدة ومعاهد بورستال أن تعالج شئون هؤلاء الأحداث بعدد قليل من الموظفين اللازمين لأنهم أعطوا كثيرا من خيرة شبانهم للقوات الحاربة فكان الباقون يمانون الما نفسانيا من أنهم غير قادرين على معالجة هذا العدد الوفير من الصغار الذين انيط بهم أمرهم .

وساد الظن أحيانا أن تدريب ملايين الشباب على أعمال الحرب كان في حد ذاته سبباً يؤدي بهم الى استخدام العنف اذا ما عادوا إلى حياتهم المدنية وكان يعزى الى تدريب الفدائيين وحده دون سواه هذا الخلق ولكني لم أجد لهذا الزعم أساسا من الحقيقة .

فالغدائيون يدربون في الواقع الى درجة كبيرة من التنظيم النفسى . والاعتماد على أنفسهم مستهدفين غرضاً مطلقاً فهموه وقبلوه . ولكن لا هم ولا أعضاء القوات المسلحة الآخرون قنعوا سبباً جوهرياً لتبرير هذه التهمة الباطلة ولا تنس أنهم يمثلون جزءا كبيرا من شباننا وشاباتنا ولم يجد البوليس فيما مر به من تجارب ما يؤيدها غير أنه اذا لم يكن من العدل أن تحمل القوات المسلحة المسؤولية عن زيادة جرائم العنف فليس يصح هذا بالنسبة لجرائم الحياة .

ان الحرب بطبيعتها مدعاة للاسراف والذين خاضوا غمارها كانوا يشعرون دائما بتحللهم الى حد ما من روح الاحترام للملكية فهم يأخذون كل ما احتاجوا اليه على أنه ربح أو عثور على لقيا ولكن واقع الأمر لا يبدو للصوصية . وقد أتى بعضهم لسوء الحظ بصادات اكتسبوها ابان الحرب الى الحياة المدنية عندما عادوا اليها فليس عجيبا ان ترتفع الجريمة بعد الحرب فتبلغ مستوى جديدا عاليا .

وتم طائفة أخرى يعزى اليها سبب زيادة الجرائم بعد الحرب وهي طائفة الهاربين من الحرب فقد بلغ عددهم عدة الوف ولا شك أن بعضهم وجد من العسر عليه أن يستقر هادئا في حياة مدنية مع مضي الزمن وبدون بطاقة تموين ولا بطاقة تحقيق الشخصية وقد أصبحنا من لوازم الحياة الحديثة . وجد هؤلاء أن من العسر عليهم أن يعملوا عملا يرتزقون منه بطريق معتاد فلجئوا الى الجريمة كحل مؤقت لمشاكلهم .

غير أنه قد بولغ كثيرا في احصاءات الجرائم المنسوبة اليهم فان المجرم الخطير لا يجد الا صعوبات قليلة في تزويد نفسه بكل ما يحتاج اليه من مستندات بيد أن قسما وافرا من جرائم بعد الحرب اقترفتها فتية تقل أعمارهم عن سن الاقتراع ولم يكونوا هاربين من الجندية .

والجريمة في القانون الانكليزي تنقسم الى شعبتين رئيسيتين .

١ - جرائم قابلة لاقامة الدعوى .

٢ - جرائم غير قابلة لاقامة الدعوى .

وتشمل الأولى جميع الجرائم الخطيرة التي تنظرها المحاكم بناء على اقامة الدعوى أي أمام قاض ومحاكمين ، اما في دورات موسمية أو أمام محكمة الجنابات . وهي لا تنظر دائما على هذا الوضع لأن كثيرا من المتهمين يرغبون في أن تتم محاكمتهم أمام القضاء المستعجل أي أمام قاض معين أو أمام هيئة من القضاة . غير أن هذه الجرائم مهما اختلف نوع المحكمة التي تنظرها فانها تدخل في عداد الجرائم الصالحة لاقامة الدعوى فيها وهي تبدأ من سرقة ستة بنسئات الى جريمة القتل . اما الجرائم الأخرى فتتظر كلها أمام محكمة مستعجلة وتشمل من الجرائم ما يماثل جريمة السكر ومخالفة القرارات أو اللوائح الحكومية وجرائم المرور الصغرى وعلى القوم نهى أقل خطورة وأقل شناعة من الجرائم الصالحة لاقامة الدعوى فيها وكثيرا ما تنم عن الإهمال بل على سوء

الحظ أكثر من النية الإجرامية ولو أن جريمة كجريمة القيادة الخطرة للسيارات يصعب حسابها من هذا الطراز .

وبناء على ما تقدم فإن احصاءات الجرائم الصالحة لإقامة الدعوى فيها تمثل رقما قياسيا لحالة الجريمة وهذه الأرقام هي ما نشير إليه كلما تكلمنا في هذا الصدد .

وأرقام الاحصاء الصالحة للمقارنة لا ترجع الى ما قبل سنة ١٩٣٣ عندما أدخل لورد ترنشاود نظاما جديدا لاحصاء الجريمة وكان هذا النظام يقضى بتسجيل كل جريمة بلغ عنها الا اذا دلت التخريات صراحة على أن البلاغ غير حقيقي وأنه كيدى وقبل هذا التاريخ كانت البلاغات التي لا تتوافر فيها الأدلة تشطب من السجلات بناء على رأى الضابط الرئيسى فى المنطقة وترتب على هذا أن أسلوب الاحصاءات لم يكن موحدا كما كان هناك اغراء حقيقى يدفع الضابط الرئيسى لحذف القضايا المشكوك فيها مخافة أن يتضخم سجل نقطته الخاص بالجرائم المجهولة الفاعل .

ونتيجة القاعدة المعمول بها الآن قد تؤدي الى أن يشمل الاحصاء حالات ليس فيها فى الواقع أية جريمة وهذا خطأ ستنتج حقيقته مع مرور الزمن .

ان غالبية الجرائم هي ما تقترب ضد الملكية سواء بالسطو أو السرقة وقد زادت بأكثر من ١٥٪ فى سنة ١٩٣٨ والسرقة يصعب منعها أو اكتشافها فورا ولكن حوادث السطو تختلف عنها كل الاختلاف ولذا تنال قسما خاصا من العناية ولسوء الحظ كان النقص فى عدد الرجال يحول بين رجال الأمن وبين السيطرة عليها فى كل مكان ولو أن عربات اللامسكى عوضت الى حد كبير هذا العجز فاذا وصل ركب احدى السيارات بسرعة فقد يعتقل اللصوص قبل ارتكاب الجريمة أو متلبسين بها . وحتى لو أخفق فى هذا فإن التعجيل بالحصول على أوصافهم وأوصاف سياراتهم كثيرا ما يؤدي الى اعتقالهم عند تفتيش المنطقة المحيطة بهم وفى كلتا الحالتين فإن القبض العاجل يوفر جميع الوقت الذى يضيع فى التحقيق بعد وقوع الجريمة .

ويعمل احصاء دقيق بالأوقات التى تقع فيها حوادث السطو وتسجل أماكن السطو بشكل واضح فى غرفة الخرائط وهي خرائط كبيرة الحجم تبين أقسام البوليس بالعاصمة . ووضع اعلام برتقالية اللون على خريطة ضاحية ما تدل لأول وهلة على وجوب اعطاء عناية خاصة لهذه الضاحية بواسطة الدركات والدوريات وسيارات اللامسكى والفرقة الطائرة اذا

استمدعى الأمر ذلك . ولقد ساعدت كذلك الكلاب البوليسية بشكل متواضع فى معالجة هذا النوع من الجرائم واذا ما زاد عددها واتسع استخدامها فيزيد بغير شك نصيبها فى المكافحة .

ولو أن جهود البوليس فى معالجة هذا النوع المزيج من الجريمة لم تنل ما تصبو اليه من نجاح فلقد خففت أكثر مما كان منتظرا فى هذه الظروف فمن سنة ١٩٤٩ تمكن البوليس من ازالة الستار عن أكثر من ٢٥٪ فى حين كانت النسبة فى السنوات من ١٩٣٣ الى ١٩٣٨ هى ١٩٪ وقد كانت القوات حينذاك كاملة العدد وبهذا تكون المقارنة فى مصلحة قوات بوليس ما بعد الحرب وتبين أن الاجراءات التى اتخذت لتحسين وسائل النقل والمواصلات والعلاقات العامة للقوات الحديثة ساعدت الى حد ما فى التخفيف من أثر النقص فى عدد أفراد القوة .

تستدعى الجرائم ضد المال ( الملكية ) عملا بوليسيا اكبر وتثير مشاكل أكثر صعوبة من الجرائم ضد الأفراد ولكنها قلما تبلغ هذه الدرجة فى إثارة الشعور ولذلك لا يهتم بها الا ضحاياها البائسون . والجرائم ضد الأفراد - وهى جزء ضئيل من جملة جرائم السنة - لا تبلغ من حيث العدد الا نحو ٥٪ من عدد الجرائم ضد الملكية ولكنها منذ الحرب زادت بنفس النسبة تقريبا وليست الزيادة فى حوادث القتل أو الشروع فيه أو التهديد بالقتل ولكنها فى حوادث الجروح والجرائم الجنسية . فالاصابات بالجروح تنشأ عادة من معارك صغيرة أو خلافات عائلية وفى كثير من الحالات لا تكون الاصابات خطيرة ولكن عددها قد زاد عما قبل الحرب بنسبة ثلاثين أو أربعين فى المائة .

وزادت الجرائم الجنسية زيادة خطيرة شديدة الجسام فلم تقتصر الزيادة على جرائم التعدي على النسوة . ولكن الجريمة غير الطبيعية بين الذكور زادت بأكثر من ثلاثة اضعاف ما كانت عليه قبل الحرب وأن ارتفاع العدد من ٢٢٤ حالة شنود جنسى فى سنة ١٩٣٨ الى ٧٣٦ فى سنة ١٩٥١ لا يرجع الى عدم نشاط البوليس وليس من شك أن هذه الجرائم اتسع نطاقها أكثر مما تدل عليه الارقام لان البوليس منذ سنوات عدة قصر تدخله على حوادث الفعل القاضع أو فساد الفتيان والشبان .

ان قسما كبيرا من الاهالى أصبح لا ينظر الى هذه الجرائم بعين التفاف كما كان الحال فى الماضى وهذه احدى نواحي المشكلة وليس ذلك فريدا فى نوعه فى بلادنا بل مثل هذا أو أسوأ منه منتشر فى كثير من

البلدان الأخرى ولو أنه لا يتيسر عند المقارنة بيننا وبينهم لسببين  
أما لأن الشفوذ الجنسى لا يعد جريمة جنائية وأما لاختلاف القوانين .

ومن الصعب تحديد أسباب هذه الزيادة فهي تماشى التراخي  
العام فى المبادئ التى تتطلبها حسن العلاقات الجنسية ولكننا فى حاجة  
الى أكثر من ذلك لنبين الزيادة الخطيرة فى أسباب حوادث المفسدين .

إن العجز عن مواجهة مطالب الحياة الحديثة . ونشيدان اللذة  
والتسلية والأرباح المادية يتوالى ظهورها الفينة بعد الفينة فى تاريخ  
المجرمين فىالنسبة لبعضهم قد يكون الالتجاء الى طبيب نفسانى علاجاً  
كما دلت التجربة التى أجريت فى مدينة ( رومورد سسكرب ) قبل  
الحرب الا أن نسبة الحالات التى يمكن علاجها بهذه الطريقة ضئيلة جداً  
والمشكلة يعوزها الحل العاجل أو الميسور .

ومشكلة ( الوست اند ) مشكلة عرضية تستدعى دوريات ليلية  
منتظمة يقظة لكل ما يريب وبخاصة حول الأماكن العامة وهذا عمل غير  
سار ولا يحبه أحد ، والدوريات التى لا يلحق بها أحد الكونستابلات  
الصغار أو قليلو التجربة تتغير كل ثلاثة أشهر وهم يقومون بالدوريات  
كل اثنين مما ليتوفر بذلك فى كل وقت وجود شاهد من الضباط أما  
كبير المفتشين الذى يتولى الرئاسة فيغير أيضاً بين وقت وآخر حتى ينتفى  
احتمال تعرفه بمن يعملون فى هذا الحى أو يمارسون أنواعاً أخرى من  
الرذيلة ويتعرضون لما يقدم لهم من مغريات .

ويوجه البوليس نشاطه على وجه الخصوص الى منع اغواء الشبان  
ولا سيما المجندون فى الجيش فى سن ١٨٥٠ . وبينهم اسكتلنديارد  
والسلطات الحربية اتصال وثيق فى هذا الشأن .

يضاف الى الجرائم ضد الأفراد جرائم السرقة بالاكرام ولو أن  
الاحصاء الجنائى يدرجها بين الجرائم ضد الملكية وقد زاد هذا النوع من  
الجرائم منذ الحرب زيادة كبيرة وبلغ القصة فى سنة ١٩٤٨ اذ كان عدد  
الحوادث ٣٧٣ حادثاً أى أكثر من ثلاثة أضعاف متوسط ما وقع منها  
خلال السنوات الخمس السابقة على الحرب . وبعد عام ١٩٤٣ أخذ العدد  
يهبط بالتوالى حتى بلغ ٢١٤ فى سنة ١٩٥١ ثم ارتفع ثانياً فى سنة  
١٩٥٢ الى ٢٩٨ .

تستدعى السرقة بالاكرام الى دعاية كبيرة فى الصحف وأن  
القريب اذا طالع ما تكتبه الصحف عنها فيحق له أن يعتقد أن الجنايات



بلندن لا تفتقر عما يقرأه عن القصص المثيرة لرعاة البقر في أمريكا والواقع أن في كل من الخمس السنوات الأخيرة حدث أقل من ثلثائة جريمة سرقة من هذا النوع في جميع أقسام بوليس العاصمة ولم نستخدم أسلحة ما فيما يقرب من سبعين في المائة منها واعتمد السارق على استخدام قبضة يده .

كثيرا ما تناولت الكتابة والأحاديث هذا الموضوع فأصبح من الجدير بالذكر مقارنة الأرقام هنا مثلا بأرقام جرائم الولايات المتحدة التي نشرها المكتب الاتحادي للمباحث الجنائية في الستة الأشهر الأولى من سنة ١٩٣٥ فقد كانت ضحايا القتل ٦٤٧٠ وأكثر من ٥٤٠٠٠ اعتدى على أعضائهم أو شرع في قتلهم و ٢٩٠٠٠ هاجمهم لصوص يحملون البنادق أو أسلحة أخرى أو يستخدمون القوة ويبلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو عشرين ضعفا لعدد سكان مدينة لندن ولو قسمت هذه الأرقام على عشرين لكان نصيبنا غاية في التواضع ولا أعنى بهذا التهوين من شأن هذه المشكلة بل أقصد أن أظهر النسبة الحقيقية .

اسلفت القول بأن الجرائم التي تحركها النيابة العامة تكاد تشمل جميع الجرائم الخطيرة التي تقع تحت طائلة القانون ولكنها تمثل نسبة صغيرة من الجرائم التي تنظر أمام المحاكم ، ومن بين الذين يلقي بوليس العاصمة القبض عليهم نحو الثلاثين منهم متهمون بجرائم لا تقام فيها الدعوى في حين يعلن للحضور أمام القضاء مائة ألف آخرون بناء على طلب البوليس لمؤالهم عن هذه الجرائم الصغيرة وعدد هذه الاعلانات تضخم كثيرا خلال الحرب وبعدها مباشرة بالمخالفات التي ارتكبت ضد لوائح زمن الحرب وقد لقي الاختفاء التدريجي لهذه اللوائح ترحيبا كبيرا من رجال البوليس لأنه تركهم أحرارا لتركيز اهتمامهم على الجرائم الجدية الخطر كذلك دلت التجارب على أن قانونا لا يلزم الناس احترامه خليق بأنه يفقد سائر القوانين بصفة عامة احترامهم لها ، وفي مجتمع رفيع كمجتمعنا لا بد من وضع لوائح ترعى المصلحة العامة . غير أن التجارب العملية تجعل ضابط البوليس يتفق مع هؤلاء الذين يرون لأسباب أخرى وجوب الاقلال ما أمكن من هذه اللوائح وعدم الاحتفاظ بشيء منها الا بالقدر الذي تدعو اليه الضرورة صراحة . وكثير من رجال البوليس يذهبون الى أكثر من هذا الحد ويقولون انه مالم تنفذ اللوائح الجديدة تنفيذا كاملا فمن الخير ألا تصدر ، ومن وجهات نظر البوليس يصبح القانون الذي لا ينفذ لعنة أو مرطقة سواء كان علم التنفيذ مرجحه سوء فهم القانون أو سوء صيغته أو نهوه عدد كبير من الجرائم يستحيل الاحاطة بها .

وعلى النقيض لما يعتقده الناس . قلما يكون الاعاز باصدار لوائح اضافية صادرا عن البوليس الذى يتفق فى هذا الموضوع وفى كثير من المسائل اتفاقا كبيرا مع ما يراه رجل الشارع أكثر من اتفاق المشرع مع رجل الشارع فاحد أعمال البوليس غير المجزية والتي تجلب لهم كثيرا من المتاعب هو تنفيذ القانون الخاص بالمراهنة والمقامرة فلن تجد فى أى ميدان آخر قانونا كهذا القانون يعوزه ويسوده الاضطراب والسخف فهو عبارة عن عملية ترقيع من جزازات وتنف بعضها حديث وبعضها بالبلغ من العمر أرذله . وهو يضم فى خليط غير متجانس مواد تصور خوف أفاضل الناس من الشر وشنف الرياضيين بالمتعة البريئة .

وقد أضيف الى كتلة التشرييع المضطربة سلسلة من الأحكام القضائية نجحت فى أن زادت الفوضى سوءا ، ولا يوجد ما يستدعى تطهيرا كاملا كهذه الحالة الا أن الحكومات واحدة بعد أخرى خشيت الاقدام عليه وتركت هذا الواجب لمن يخلفها ومع ذلك فالتوقع من البوليس هو تنفيذ القانون وإن كان لا يؤمن به ، لأن القانون لا يغير الطريق أمامهم وعليهم أن يوجهوا أنفسهم وأن يفرضوا على القانون تفسيراتهم الشخصية له وبهذه الطريقة يكونون قد بذلوا ما يستطيعون لتنفيذ القانون بأحسن ما تملية عليهم قواعد الذوق السليم ونصروا عنايتهم على أنواع المقامرة التى تسمى الى الجمهور أو التى يمارسها بالربح أناس أذكيا لا ضماير لهم على حساب الضحايا الأبرياء .

وعند أداء شهادتي أمام اللجنة المؤلفة لبحث موضوع القمار واليانصيب اقترحت أن يسل القانون ليكون عمليا فلا يعتبر القمار محرما الا اذا اتضح أنه يمارس كتجارة يستفيد منها صاحبه ربحا ماليا وقد قبلت اللجنة المشار إليها هذا رأى وضمنته مقترحاتها فإذا صدر به تشريع لانتقدنا من موقفنا الحال الذى يجاقى المنطق . هذا الموقف الذى يجعل لعبة بريئة من لعب البوكر فى النادى عملا غير مشروع وبذا نتفرغ الى دائرة أقل اتساعا يكون فيها تهديد حقيقى للمصلحة العامة .

وفى الوقت الحاضر تخضع دور القمار لأحكام البند السادس من قانون القمار الصادر فى سنة ١٨٤٥ والذى يخول حكماء البوليس بناء على طلب كبير مراقبى البوليس سلطة اصدار أمر يخول لضباط البوليس المذكورين فيه حق دخول دور القمار وأن يستولوا على ما بها من أموال المقامرة وأدواتها وأن يعتقلوا الأشخاص الموجودين بها .

وقبل اصدار هذا الأمر يجب على مراقب البوليس أن يقتنع بأن

القمار دائر في الدار ويكون ذلك عادة بمراقبة رجال البوليس له لأنه يتعذر عادة دخولها في حين يكون اللعب جاريا . فإذا ما تسلم رجل البوليس بهذا الأمر اقتحموا المكان وغالبا يختفى الشخص المسئول عن المخالفة وإذا ما أدين مدير الدار قام المالك الحقيقي بدفع قيمة الغرامات ويستبدل بالمدير مدير آخر ، وبعد فترة من الزمن قد تطول أو تقصر يستأنف العمل من جديد . وبعض دور القمار أغار عليها البوليس أربع مرات أو خمسا في أشهر قليلة . إلا أن الأرباح كانت من الكبر بحيث جعلت أصحابها لا يبالون بدفع الغرامة ثم يظلون يباشرون عملهم .

غير أن مدى هذا البلاء كثيرا ما يفالئ فيه لأنه يكاد يكون مقصورا على محال الطبقة الدنيا في الوستاند والايست اند وأغلب اللاعبين هم قهرصيون أو مالطيون أو من الشعوب الملونة . وفي بعض الأحيان تصعب شهرة بعض دور القمار في الضواحي معروفة فتتخذ الإجراءات ضدها ولكنها حالات قليلة .

والمراهنة في الشوارع مشكلة أشد خطورة والقانون هنا مثله كمثل قانون المقامرة كلاهما غير منطقي بل يزيد عليه سوءا بأن يزدو الشكوى بمادة أخرى هي أنه يوجد قانونان أحدهما للفنى والآخر للفقير ولكل شخص أن يراهن بالنقد على سباق الخيل . أو يراهن بالنسيئة في مكاتب الرهان ولكن لا يجوز أن يتوجه إلى هذا المكتب ليقوم بالدفع ولا أن يراهن بالشارع .

ومراهنات الشارع كثيرة جدا وتستهنف قسما كبيرا من وقت البوليس وهو لا ينجح إلا في القليل من هذه الحوادث لأن الفاعلين الأصليين قلما يقبض عليهم والغرامات التي تفرض على من يديرون العمل ووكلائهم يعدونها في حكم مصاريف الإدارة وبذا لا يستطيع أن يصل أكثر من أن يجد من مزاوله هذه المراهنة .

والجانب الآخر الخطير لهذه العملية هو الحقيقة المرة من أن ضباط البوليس قد يرشون من وقت لآخر وإن كان عددهم قليلا وإذا ماضبطوا عوملوا بشدة غير أن أصحاب دور المراهنة لا يفتشون يدعون أنهم يدفعون الرشاوى للبوليس حتى يتمتع مدير أعمالهم بحرية العمل وهذه الادعاءات من اليسير قولها وإن كان من العسير تنفيذها وتستغرق التحريات وقتا طويلا وحتى إذا كانت الادعاءات باطلة فانها تلوث سمعة البوليس مع أنه لم يثبت أكثر من اثنتين أو ثلاث من دعاوى الرشوة خلال عام بين جميع أقسام البوليس أثناء مدة رياستى عليها .

ولحل هذه المشكلة - مشكلة مراعاة الشوارع - اقترحت على اللجنة الملكية أن تسجل أسماء أصحاب مكاتب المراهقات وأن تصرف رخص مكاتب الرهان وقد دل هذا النظام على صلاحيته في أيرلندا ، وأيدت اللجنة هذا الاقتراح فهو يبسط عمل البوليس ويتيح القانون تنفيذا صحيحا . ولا شك أن هذا الاقتراح سيلقى معارضة . غير أن هذه المعارضة سيكون من الصعب تبريرها بسبب أن قسما كبيرا من المقامرة على كرة القدم وسباق الكلاب لا يزال في حضي القانون .

لا تثير أعمال اليانصيب مشاكل مهمة . فقد نجح البوليس في حصر اليانصيب غير المشروع في نطاق ضيق جدا . وقد أباح قانون سنة ١٩٣٤ اليانصيب الصغير الخاص .

ولكثير من رجال البوليس نظرة خاصة مستقلة إلى القمار فإذا كانت البلاد بوساطة برلمانها ترغب في إباحة أنواع معينة منه أو تحرم أنواعا أخرى . فرجال البوليس مستعدون لبذل قصارى جهدهم لتنفيذ ما تقصد إليه اللجنة التشريعية إلا أنهم يطلبون أن يكون الفارق بين النوعين قائما على أساس واضح مفهوم والا يطلبا بتنفيذ قوانين يرى عسدد كبير من الأهلين أنها مدعاة للسخرية وانها غير عادلة فضلا على أنها لا تلقى تأييدا من الرأي العام .

وثم واجب آخر صعب وغير سار . . ذلك هو تنفيذ القانون الخاص باللعارة والتحريض على الفسق . وهنا يتبين مرة أخرى أن القانون غير عادل ولكنه في كل محاولة تبدو لاصلاحه نجد معارضة كبيرة حتى أن الحكومات لا تود أن تحترق بنار ههذه المحاولة وكثيرا ما يوجه اللوم إلى البوليس لتقاعده عن اتخاذ الإجراءات اللازمة وليس البقاء في ذاته جريمة ولكن العيب عيب القانون .

وليس في قوة القانون الحالي أن يلغى البغاء مهما اشتدت وطأة التنفيذ . ويتفق معي كل ضابط بوليس بأنه من المشكوك فيه أن يتصور وجود قانون يؤدي إلى ذلك القرض ومع ذلك فالبوليس ما زال يقوم بدور ( مسن بارتيجنون ) التي تبحث عن مكنتة تكنس بها المحيط الأطلسى . مصغوف البنات والنساء تتوالى يوما بعد يوم على المحاكم وهن يدفعن الغرامات التي أصبحت قيمتها غير متناسبة بسبب هبوط قيمة العملة ثم بعد ذلك يذرعن الشوارع جيئة وذهابا .

ولكن إذا كان تنفيذ القانون الجنائي في هذا الصدد غير مرضي فالمعكس يمكن أن يقال في الإجراءات الواقية لمنع الجريمة بوساطة رجال

البوليس ولا سيما البوليس النسائي فواجهن البحث عن البنات والفتيات. المهددات أخلاقيا وتصرفهن الحازم والمزوج بالعطف أصبحت الوسيلة لانقاذ عدد كبير منهن في كل عام من حياة الدعارة واعادتهن الى آبائهن أو ردهن الى الحياة الكريمة .

ويلقى قانون الأجانب عينا كبيرا على عاتق رجال البوليس اذ يبلغ عدد المسجلين منهم في دائرة اختصاص بوليس العاصمة ١٢٠.٠٠٠ وأغلبهم من البولنديين والروس والألمان والitalيين وفي كل عام يصدر وزير الداخلية أوامره بنفى عدد يتراوح بين المائة والمائتين من المملكة المتحدة وتنفيذ هذا يستلزم من ضباط بوليس العاصمة أن يقطعوا آلاف الأميال في رحلات داخل المملكة المتحدة . وفي كثير من دول أوروبا .

كثيرا ما يظن أن الجرائم في جملتها سببها الأجانب ولكني أخشى أن يكون مبعث هذا الظن رغبة تملئها الأمانى ليس الا . وأن معظم مجرمينا نشتموا في بلادنا ويجب أن ينظر في أمرهم هنا . وقد تقنعت أكثر من مرة باقتراح لتعديل القانون حتى يخلونا إعادة طبقات معينة من الرعايا البريطانيين الذين يعيشون في الأرض فسادا واعتادوا الجريمة الى بلادهم فالكبرسيون والمالطيون وباقي رعايا بريطانيا الملونين مسئولون عن نسبة كبيرة لا تتفق مع نسبة عددهم في عدد كبير من الجرائم المتصلة بالقمار وكسب العيش الدنيء عن طريق المومسات لتبيع المخدرات والخمور . وإذا أمكن إرسالهم الى بلادهم بعد ادانتهم فسوف يبدو تحسن واضح في الاحياء التي يبذلون فيها نشاطهم .

والرأى السائد حتى الآن هو أن من المهم جدا الإبقاء على المبدأ الذي يتمتع اية رعية بريطانية مهما كانت ، جنسه أو لونه حق الحضور الى الوطن. كما يحلو للكثيرين منهم أن يصفوه مع أنهم لم تقع عيونهم عليه .

وانى أقدر القيمة السيامية من بقاء هذا المبدأ وأود ألا اقترح الخروج عليه ولكن اذا كان لا يقتصر حق كل جزء من الكومنولث على نفى. الأجانب بل يتعداه الى نفى الرعايا البريطانيين الذين يخالفون القانون فكيف لا يكون لنا ولو سلطة محدودة جدا لاختراج غير المرغوب في بقائهم ممن يخلون بواجب الضيافة مع بقاء الحق العام في الدخول . . . وهذا السلطة قد لا يلجأ الى استخدامها كثيرا وأن مجرد وجودها وسيلة للوقاية كما حدث أخيرا لأحد اخوان ( مسيئا ) الذي ثبت ادانته منذ أربع سنوات مضت فكان ذلك مانعا لباقي أعضاء الأسرة من الحضور إلينا من مصروودول البحر الأبيض حيث كانوا يعملون .



الفصل السابع

الشبان الذين في الخطر





أسباب جريمة الأحداث - أثر الأجرة - حوادث  
توماس وهاري جنتكز - قتل اليك دانتيكس - معالجة المجرم  
العنيف - الشقيقان كريج وزميلهما بنتلي - إطلاق النار على  
كونستابل البوليس ميلز - خطر إبادة منح الترخيص  
بالأسلحة النارية - لماذا لا نسلح رجال البوليس ؟



من أشد ظواهر ما بعد الحرب انفجارا بالتشاؤم تلك  
الزيادة المطردة في الجرائم التي يرتكبها الشبان ولا سيما  
فتيان السادسة عشرة والسابعة عشرة وقد كانوا أطفالا إبان  
الحرب ، وقليل منها ما كان ارتكابه مصحوبا بالعنف مما  
يجتلب كثيرا أنظار الجمهور حتما .

وتعزى أسباب كثيرة للأحداث الذين يقتربون جرائم  
العنف هذه ، واني شخصا أشك في الأثر الممزو الى الكتب  
والأفلام المثيرة ، فالولد الاعتيادي يحب ما يثيره كما كنا نفرح  
ونحن في مثل عمره بقراءة كتب القصص المخيفة التي تباع  
ببنس ٠٠ ولكنني أشك في أن هذا الطفل ينقل مليا ما يقرأه  
أو يشاهده في الفيلم فقد يقد العرض منها كمثلية السكر  
أو طرق المباحاة للعصصيات الخرافية ولكن تأثير هذا في  
النفس لا يكون أعماق غسورا من تقليدنا للهنود الحمر  
والقراصنة .

واعتقد أن كثيرا من الأولاد الذين يقصون في خطر ،  
كان لابد من وقوعهم فيه سواء قرؤوا كتباً أو شاهدوا أفلاما  
أو لم يفعلوا هذا أو ذاك فأس البلاء في الواقع كامن في  
الأسرة المتهممة ويرجع إليها سبب الاجرام في كثير من  
الحوادث فحياة هؤلاء الأطفال بعيدة عن الاستقرار فهم في سن  
مبكرو يشتمون الغارة على المجتمع . وهم يحاولون خلق دنيا

لأنفسهم بدلا من الحياة الاعتيادية المستقرة التى يجب أن يحياها كل طفل .

ومع أن حياة كل من « هارى جنكنز » الذى أطلق النار على « اليك دانتيكس » و« حياة » كريستوفر كريج » الذى أطلق النار على كوتستابل البوليس « ميلز » فى مدينة كرويدون والتى كان لكل منهما أخ يكبره فى جريمة من جرائم العنف واذا ضل أحد أفراد الأسرة فغالبا ما يتبعه آخرون .

وبدراسة جرائم الأحداث نشاهد أن اتجاه الأخ الأكبر أقوى ما يكون تأثيرا فى أخلاق اخوته من أى شيء آخر .

لقد عاشت أسرة جنكنز فى حالة ضنك فى مدينة « برمودسى » وفى عام ١٩٤٥ ادين « توماس جنكنز » الأخ الأكبر لهارى جنكنز أحد المحكوم عليهم فى قضية قتل الكابتن « روبرت بنى » من البحرية الملكية الذى لقي حتفه على أثر توقيفه سيارة كانوا يقودونها فوق كبرى لندن بعد غارة خاطفة وتحطيم فى المدينة ، وقد أنشأ أحد أصدقائه مدالية « بنى » وهى تمنح كل عام الى من أدى من المدنيين أشجع عمل لتدعيم القانون والنظام فى منطقة بوليس مدينة لندن أو فى دائرة لندن .

وقد حكم على توماس جنكنز بالسجن ثمانى سنوات فى هذا الحادث وحينما أفرج عنه عاد الى ارتكاب الجريمة ، وفى سنة ١٩٥٣ اتهم فى حادث ربما أدى الى ادانته فى قتل ضابط بوليس .

فى فبراير سنة ١٩٥٣ وصل الى علم البوليس أن لصوصا يعتزمون سرقة كاتب أجور عند عودته الى مصنع بمدينة « شاتهام بلاس هاكنى » ومعه نقود أحضرها من البنك ، ولكى يفسد البوليس خطتهم رأى أنه بعد أن يترك كاتب الأجور مباني المصنع متجها الى البنك يجب أن يقف مدير المصنع بأحد النوافذ المطلة على الطريق لمراقبته ، وعندما يجتمع الكاتب المال يستال تلفونيا عما يفعل بعد ذلك فاذا كان المدير ارتاب فى شيء وجب عليه ابلاغ بوليس هاكنى حيث يتلقاها الضباط المعينون لمراقبة المصنع عن كتب .

وحوالى الرابعة مساء رأى المدير ثلاثة رجال عرفوا فيما بعد وهم : روبرت ساندروز ، وتوماس جنكنز ، وجبون كراكتل يتكاثرون حول « شاتهام بلاس » فأبلغ البوليس . وقبل الخامسة تحدث الكاتب تلفونيا ليسال عما يفعل فأجيب بأن يتجه الى المصنع ، ولما وقفت به

السيارة أمامه صعد المدير إلى قمة السلالم الموصلة إلى المصنع - وبصعود الكاتب الدرج تبعه أحد الرجال الثلاثة فصاح المدير وعندئذ وضع الرجل يده في جاكته من جانب صدره الأيسر فسرعان ما عاجله المدير بضربة من قضيب حديدى فجرى هاربا والمدير من خلفه يجرى ووراءه كذلك بعض العمال .

فى هذه اللحظة كان ثلاثة كونستابلات هم « سنتش » و « دورست » و « بولوين » ، قد أبلغوا بإشارة لاسلكية أثناء وجودهم بالدورية فى السيارة أن يتجهوا إلى « شاتهام بلاس » . ولما وصلوا شاهدوا جنكيز وساندرز يجريان بعيدا فطاردهما بالسيارة وعند مفترق الطريق اتجه جانكيز وساندرز اتجاها مخالفا له واستمر الضباط يقتفون آثارهما على الأقدام .

ولما صار سنتش على قيد خطوات من ساندرز أعلن أنه ضابط بوليس وأمره بالوقوف ولكن ساندرز صاح قائلا « اغرب عني يا ابن الفاعلة ! ولا أفرغت رصاصة فيك » وعندئذ أخرج مسدسا من جيبه وأطلقه وخر « سنتش » على ركبتيه ثم قام ثانية وحماذاه « دورست » واشتبك الضابط مع ساندرز الذى أطلق طلقتين آخرين ، وبعد معركة حامية جرد ساندرز من سلاحه ووجد أنه يحوى ثلاث رصاصات أطلقت وثلاث أخرى باقية للاستعمال ، وأصيب سنتش بجرح صغير فوق عينه اليمنى ، ووجد فى حزام معطف المطر ثقب من رصاصة ولم يصب دورست بأصابة ما . وفى الوقت نفسه أمسك بولوين بجانكيز وبعد معركة القى القبض عليه .

وكان ساندرز مثل جنكيز من المجرمين الخطيرين القساء وسبق له أن هرب من بضعة أسابيع سابقة من سجن واكفيلد حيث كان ينفذ عقوبة السجن المحكوم بها عليه وهى أربعة عشر عاما لحيازته سلاحا بقصد تجريض حياة الجمهور للخطر . وأما الرجل الثالث كراكتل فولى هاربا حتى ضبط أخيرا ، وفى ٣٠ من مارس سنة ١٩٥٣ قضت محكمة الجنايات المركزية بسجن كل من ساندرز مدى الحياة وجنكيز خمس سنوات وكراكتل ثلاث سنوات .

كانت الظروف المحيطة بقتل اليك دانتيكس فى ٢٩ من إبريل سنة ١٩٤٧ كذلك الضوضاء التى تحدثت بالطريق العام ، وهى تلقى ضواها على نوع الحياة التى تقع فيها مثل هذه الحوادث .

حوالى منتصف الثالثة مساء وقعت غارة مسلح على محل زهونات فى

شارع شارلوت بهي سوهو فقد هاجم رجلان ملثمان المستخدمين بمسدس أطلق منه رصاصة أو اثنتان ، وفي خلال المعركة أطلق ثالث الرصاص وهو واقف بالباب ، وقذف مستر كيتس مدير المحل البالغ من العمر سبعين سنة الرجلين بأحد اتقاعد فوثبا فوق طاولة المعروضات وجريا الى عربة كان ينتظرهما فيها الرجل الثالث ، وقد سسد طريق العربة بوساطة سيارة تقل فاضطر ثالثهم الى مفادرة العربة وهاموا على وجوههم وبينما هم يجرّون رأى مستر كيتس رجل يركب موتوسيكل يجرى وراءهم ثم سمع صوت عيار نارى ووجد راكب الموتوسيكل يرتدى بجوار الرصيف وعندما عرج الرجال على طريق « توتنجهام كورت » اشتبك أحد المدنيين مع واحد منهم وأسقط من يده المسدس الذى كان يحمله غير أن الرجل تخلص منه والتقط مسدسه واختفى وكان راكب الموتوسيكل هو اليك دانتيكس وقام ضابط البوليس فعلم له الاسمحات الأولى ولكنه لفظ آخر أنفاسه قبل وصوله الى المستشفى وكان يعمل ميكانيكى سيارات وله زوجة ومئة أطفال صغاد .

وما حدث بعد ذلك كان مثالا عمليا لطبيا للعمل الروتينى للمخبر فان الرجال الثلاثة رآهم ثلاثة وعشرون رجلا أدلوا بأوصافهم وطبيعى فى مثل هذه الحوادث الخاطفة ألا تتفق الأوصاف ولحسن الحظ استطاع مستر كيتس أن يدلى بوصف جيد للرجلين اللذين دخلا حانوته وأن يقرر أنهما أطلقا النار على سائق الموتوسيكل .

فأولا يجب البحث عن الرجال . بعد ثلاثة أيام من ارتكاب الجريمة تقدم سائق سيارة أجرة الى مركز بوليس « توتنجهام كورت » وقرر أنه فى حوالى منتصف الساعة الثالثة من مساء ٢٩ من ابريل كان يسوق سيارته فى شارع « توتنجهام كورت » عندما قفز رجل على سلم السيارة فأزاحه سائقها وراه يتجه نحو مبانى مكتب يدعى « بروك هاوس » فاستدعى البوليس خادم هذا المكتب الذى قرر أنه كان واقفا بالباب فاذا برجلين ينحيا عن مكانه ويصعدان على السلم جريا ، ثم رآهما يغادران المبني كما لاحظ أن أحد الرجلين تخلص عن المعطف الذى كان يرتديه عند دخوله وقد أيد سائق سيارة نقل شهادة الخادم .

وقد وجد بواب « بروك هاوس » مفتاح سيارة تعرف البوليس فوراً عليه بأنه مفتاح السيارة التى استخدمت فى الفارة . لقد سرقت السيارة من شارع قريب لمح الحادث قبيل القيام بالفارة .

وبعد ذلك بيومين وجد أحد الرصاصين فى بروك هاوس معطفا

المرجال وفي جيبه قلنسوة وقفازان وكان المعطف مخبأ خلف طاولة غير مستعملة وقد نزع من المعطف القصاصات التي عليها اسم صانعه غير أنه عند تفتيشه عثر كبير المفتشين الذي كان يباشر تحقيق القضية على بطاقة صانع المعطف فكانت هاديا الى أنه صنع في مصنع « تاجيو برتون ليبتد » الذي يضم عددا كبيرا من الحياطين ودلت سجلات المصنع على أن المعطف سلم لأحد ثلاثة فروع في لندن فاستجوب مديرو هذه الفروع عن مبيعاتهم وأخيرا استطاع مدير فرع « ويتفورد » أن يقرر من سجلاته أن هذا المعطف بيع في ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ الى رجل يدعى توماس ويقطن في منزل ١٦٠ « بارك بلندنجز » في جنوب شرقي لندن رقم ١٥ .

استجوب المخبرون « مسز فراكمب » في هذا العنوان فقالت ان هذا المعطف لزوجها « توماس كمب » ولكنه سرق منه منذ بضعة أسابيع في أحد المحال العامة وقوبل كمب نفسه قبل أن يعود الى داره فقال بعد تردد انه فقد معطفه في إحدى دور السينما وأخيرا اعترف بأنه كان يبحث عن معطفه في الفترة الواقعة بين ٥ من مايو و ١٠ منه سنة ١٩٤٩ وأخبرته زوجته أنها أعارته الى أخيها شارلس هنرى جنكنز من نحو أسبوع .

هذه التحريات التي تضمنت مقابلات عشرات من الناس استغرقت أكثر من أسبوعين وفي ١١ من مايو وجد جنكنز وسئل عن تحركاته يوم ٢٩ من ابريل فامتنع في بادى الأمر عن الكلام ولكن عندما عرض عليه المعطف وأحيط علما بالمكان الذي عثر عليه فيه قال اني لا أستطيع أن أجزم بأن هذا المعطف لتوم ولكن يشبهه ولن أزيد على هذا شيئا لأن الأمر يبدو لي جد خطير .

وفي اليوم التالي استجوب ثانية بعد أن حذر وأبلغ أنه سيعرض للتعرف عليه فقال لو تعرف على أحد لأخبرتكم عن المعطف ولكني لن أقول أين كنت الا في آخر الأمر ولا أحمل نفسي وزر ما حدث .

عرض للتعرف عليه في ١٣ من مايو ولكن لم يتعرف عليه أحد من اليهود ومع ذلك فقد حجزه البوليس وبعد ظهر هذا اليوم قدمت أخته مسز كمب لتقابلته .

قال جنكنز لها : اخبري كبير المفتشين لمن أعرت المعطف فأجابته متسرة الى حد ما : هل تقصد أن أقول « أنا » !! فأجاب جنكنز : بالطبع .

وذكرت مسز كمب اسم « بيل ولسن » وهنا أضاف جنكنز اننا رأيناه منذ أسبوعين في « سوث اند » ، وكان يتسكع وبصحبته فتاة شقراء

تعمل في مقهى في أول الحى وإذا أردتم أن تنهبوا الى سوٲ اند فيجدر بكم أن تتوجهوا الى رقم ٣٢ ولست أدري اسم الطريق . واهتم كبير المفتشين بهذه المعلومات لا لأن لها قيمة في ذاتها وإنما لأن جنكنز الذى يعرفه البوليس كان يعرف عنه حماية شركائه .

توجه كبير المفتشين الى سوٲ اند وكان ولسن قد غادرها وبمساعدة بوليس المنطقة عثر على ساعتين سرقهما فى احدى حوادث السرقة السابقة فى « كوينزواى » فى « بايزواتر » ظن فيها أن جنكنز كان متهمًا بارتكابها ، وكانت تقدر قيمة المسروقات بنحو خمسة آلاف من الجنيهات كما عثر على بندقية استخدمها فى الحادث نفسه شاب يبلغ من العمر احدى وعشرين سنة اسمه « جراجتى » ، وكان العثور على البندقية فى حديقة تطل على البحر ، وعلم المخبرون من احدى المرشدين أن شابا عمره ١٧ عاما يدعى « ترنس رولت » يعمل شريكا لجنكنز فاستدعى وباستجوابه اعترف باشتراكه مع جنكنز فى ارتكاب الجريمة ، ولكنه ادعى أنه لا يذكر أين كان فى ٢٩ من ابريل ، واستدعى جراجتى أيضا واستجوب عن تحركاته فى ذلك اليوم ولكنه ادعى أنه كان مريضا وملازما الفراش ولا لم يقم دليل يدين جراجتى أو ترنس رولت فقد سمح لهما بالانصراف .

ثم وجه المخبرون اهتمامهم ثانية الى جنكنز وأخته مسسر كمب وبحسب أقوالهما تكون مسر كمب قد أعارت المطف الى أخيها وأنه اعاره بدوره الى ولس .

فى السادس عشر من مايو كان يسير جاويز من البوليس السرى — عمل من قبل فى بوليس العاصمة ويعمل الآن بالبوليس البحرى الملكى — فرأى ولس فى الطريق وكان يعرفه بحكم عمله السابق ويعرف أنه مطلوب للاستجواب فى حادث دانتيكس فاحتجز ولس وسلمه الى احدى ضباط بوليس العاصمة وعندما استجوب ولس قال على الفور : انى أدرك خطورة الأمر وسأدلى لكم بنصيبى فى حادث « كوينزواى » ولكنى أبرى نفسى من حادث « شارع شارلوت » فلا شأن لى به ! ..

ثم اعترف بما اقترف فى حادث « كوينزواى » مع جنكنز وجراجتى ورجل آخر، وذكر أنه توجه الى سوٲ اند ثم تصرف فى المجوهرات ببيعها لتجار متعددين فى « الويست اند » ، واعترف أيضا بأنه فى اليوم السابق على يوم ارتكاب هذه الحادثة توجه هو وجنكنز وجراجتى الى جانب محل الرهونات فى « شارع شارلوت » لمعاينته وبناء على هذه الأقوال احتجز جراجتى مرة أخرى وحذر فأجاب على أثر التحذير : « وأنظن

انه قد أخذ بعض الناس يثرون منذ أن استجوبتموني وقد سمعت أنكم وضعتم أيديكم عليهم جميعا وما أريد أن أقوله يحتاج الى إمعان الفكر ، ثم وصف بعد ذلك تفصيلات ما حدث في سرقة « كوينزواي » الذي اعترف بارتكابه مع « جنكنز » و « ولش » ورجل آخر وفي خلال سرده للموضوع كان حريصا على أن يستبدل باسم جنكنز اسم ولش عند تعرضه لحادث القارة على المحل ثم تعرف على البنديقة وعلى قرابها اللذين وجدا في سووثاند وعلى معطف وجد بعنوان جنسكنز واعترف بأن هذه الأشياء كان يستخدمها ويلبسها في حادث كوينزواي . تبين في هذا الوقت السبب الذي من أجله خان جنكنز زميله ولش لأن ولش اختص نفسه بكل الثمرة في حادث « كوينزواي » فانتقاما منه ذكر جنكنز حكاية المطف المصار وغبسة منه في أن يصبح ولش متهما في مقتل دانتيسكس .

كان لهذه الرواية صدى بعيد الأثر لم يكن يعنيه جنكنز لأنها أدت في بداية الأمر الى استجواب ولش ثم ادخال جراجتي في التهمة في حين كان جنكنز حريصا على ألا يزج باسمه فيها .

وفي خلال ذلك كان أصغر الثلاثة وهو « ترنس رولت » موضوعا تحت المراقبة وبعد أن أدلى جراجتي بأقواله عرف مقر ترنس رولت من عنوان له في بلدة « برمودس » واقتيد الى مركز توتنجهام كورت حيث انهار وقال والفم يحز في قلبه : آمنت بأن الحقيقة لا بد من أن تظهر لأني أراكم قد وضعتم أيديكم « على كريس » وهو يعنى بهذا الاسم جراجتي .

وراح يعترف ويقول : « ان الذنب واقع على لا مخالفة فانا السبب في القبض عليهم فقد دبرت الأمر وما أنا أسرد عليكم كل ما كان من أمرنا . أن كريس لم يقصد قط قتل ذلك الرجل » .

واستطرد يعترف بما اقترفه في السطو على المحل التجاري وسرقته منه الأسلحة النارية وبعض النخيرة وكيف استخدمها هو وجراجتي . وجنكنز في غارة «شارح شارلوت» ووصف ما حصل بعد ظهر ذلك اليوم من إطلاق النار ومن هربه مع جنكنز في بروك هاوس حيث أخفى جنكنز المطف والقلنسوة .

والتي القبض فورا على جنكنز ووجهت اليه رسميا تهمة القتل كما وجهت الى جراجتي ورولت وبدأت محاكمتهم أمام المحكمة المركزية الجنايية أمام القاضي « هاللت » في ٢١ من يوليو سنة ١٩٤٧ واعترف جراجتي

ورولت بما حدث ولكنها ادعيا أن نصيبهما في الحادث لم يبلغ درجة القتل لأن غرضهما المشترك الذى خرجا من أجله تم عندما سرقا المتجر .

أما جنكئز فاستند على ادعائه أنه لم يكن وقتئذ بمكان الحادث غير أن المحكمة لم تصديق الشهود واستمرت المحاكمة ستة أيام وقد تعرض القاضى فى حثيثاته الى جراجتى ورولت بالنص القانونى الآتى :

وإذا حاول أحد الأفراد لمصلحة المصادلة فى وقت ارتكاب الجريمة وتمتقب المجرم وهو يحاول الهرب من محل الحادث وكان المجرم يعلم نية هذا الفرد ومع ذلك يستخدم المجرم احدى وسائل العنف لمنع هذا الشخص من إيقافه فعلى المجرم الذى يفعل هذا أن يتحمل تبعه ماينجم عن فعله ويصبح متهما بالفعل إذا كان اجراء المتف الذى يتخذه ينشأ عنه قتل شخص ولو بغير قصده .

وبعد خمس وأربعين دقيقة أصدر الحكم بادئتهم نى جريمة القتل وحكم على جراجتى وجنكئز بالإعدام أما رولت فلأنه قاصر فكان القرار يقضى بحجزه الى أن يفرج عنه صاحب الجلالة وتأييد الحكم استثنائيا وفى ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ نفى حكم الإعدام فى جنكئز فى سجين « بنتونفيل » .

ويوجد لسوء الحظ كثير من الشباب مثل اخوان جنكئز الذين وجدوا أنفسهم فى حياة الجريمة وهم فى سن العشرين المبكرة وهؤلاء يقدمون لنا احدى المشاكل العويصة التى يواجهها قانون الجنايات وهم فى حربهم مع المجتمع يتبعون القاعدة القديمة والحيلة السهلة التى تقول ان الذى يأخذ هو صاحب القوة ، وان الذى يحتفظ بما أخذ هو الذى يستطيع ذلك .

فهم لا يعترفون بأى قانون وضعى أو أدبى إذا اعترض فائده لهم .  
خناذا نصنع أو ما الذى ينبغى علينا أن نفعله حيالهم ؟

« عاملوهم بالقسوة » هذا رأى الذين يدينون بمذهب الارهاب وينتمون على تغير الحال التى كانت سائلة فى سالف الزمان من شدة نى نظام السجون . ولكن القسوة وحدها لم تؤد يوما ما الى أى تحسن ، والعود الى ارتكاب الجرائم كان طبيعة القرن التاسع عشر أكثر منه فى هذه الأيام . وما أكثر ما وجدت فى بداية عهدى بوزارة الداخلية فى سجلات معتادى الاجرام منذ ثلاثين أو أربعين سنة ضمت أنهم عوقبوا بأحكام قاسية بالسجن فى مستهل حياتهم فكانت سببا فى أن أصبحوا



كالوحوش الضارية ثم ان اتصالهم بمن هم أعرق منهم فى الاجرام دفعهم بطابع الجريمة فى الحياة الدنيا وما تملأ الحرارة نفوسهم فسرعان ما يستأنفون نشاطهم مع زملائهم القدامى فى الجريمة ولا يلبثون حتى يعودوا الى السجن وهكذا تستمر حلقة الامى .

وكل من له خبرة بذلك النظام القديم يوافقنا على فشله ، مثله مثل كل نظام يقوم على معصاة الادعيين كمجرد أرقام لأنه مهما كان النظام تاما داخل السجن فسوف تنتهى مدة العقوبة ويسود السجن طليقا الى الدنيا الواسعة .

وإذا لم يحل محل النظام الآلى المتبع فى السجن نظام أشد منه احكاما فانه من الراجح ان يستأنف السجن حياة العتب من جديد .

حقا ان الحياة التى تسير كل خطوة فيها بارشاد وملاحظة وتخل صاحبها من كل مسئولية مادام بعيدا عما يجلب له الأذى لتمتص كل تفكير فى الابتكار وتتركه أضعف من أن يستطيع مواجهة الحياة فى الخارج بل أضعف منه حينما دخل السجن .

منذ بضع سنوات بحث المسئولون عن السجنون فى بلادنا وبلاد كثيرة أخرى عن طريقة جديدة وهى مبنية على الاقتناع بأن كل مسجون يعتبر انسانا وليس مجرد رقم فى السجل ، وأن فترة السجن لا نضعها نصب أعيننا وسيلة للعقاب فى حد ذاته بل وسيلة للإصلاح والتهديب فنأمل أن تمنع الاحداث المجرمين من أن يصبحوا مجرمين عتاة . ان نظام « يورسال » الذى يقضى بأن يبعد عن السجنون ابصادا تاما كل مجرم تقل سنه عن احدى وعشرين سنة أثمر ثمرة طيبة الا أنه لا يزال يؤخذ على نظام يورسال بعض المآخذ وهى النواة الصلبة فى مشكلة السجنون وقد اختصت بعناية كبيرة منا كاعضاء فى لجنة السجنون فى السنوات السابقة على الحرب .

جمعنا « تشيلزفورد » نحو ٢٥٠ شابا فى حوالى الخامسة والعشرين من العمر كانوا متهمين فى بعض الجرائم الخطيرة هؤلاء الشبان أنضموا لنظام تدريبي شديد قاس أشرف عليه مدير بارز هو كابتن فيلبس الذى كان يعمل فى الجيش مع القوات الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الأولى وقد لقي متاعب أذكرها جيدا لأنها جاءت فى الوقت الذى توليت فيه رئاسة اللجنة بعد ذلك بتقليل . فمؤامرة «دارنمور» فى سنة ١٩٣٢ كانت خميرة للقلق فى جميع سجوننا . وقد كان الكابتن فيلبس يجمع بين

السيد الحازم والقلب الواعي الكبير وعلى الرغم من قلة المعاونة التي تلقاها كان تأثيره عظيمًا لدرجة أن خمسين أو ستين في المائة من بين سجنائه ولوا بعيدين عن الشر يعد الافراج عنهم وهذه النسبة المرتفعة أكبر مما كنا نأمل الحصول عليه وقد دلت على فساد الرأى القاتل بأنهم لابد عائدون إلينا .

فعلى هدى هذه التجربة وأمثالها أنشأنا النظام الجديد الذى يقضى بالتعليم الاصلاحى للأحداث معتادى الاجرام ولم يرض على تنفيذه وقت كاف للحكم على نتائجه غير أنى لا أشك فى أنه اذا أحسن اختيار الموظفين القائمين على تنفيذه فإن تجربة «تشيلز فور» ستعيد نفسها . ولا مندوحة من وقوع بعض الهنات ، وأنها ستكون موضعا للتشنيع الا أن هذا ينبغي ألا يحول بيننا وبين المضى . ولست أظن أنه فى وسعنا أن نتخلى عن الأمل فى أن يعود بعض هؤلاء الشبان الى الحياة المحترمة ، وأن الربح الذى تحصل عليه فى حالة النجاح ليستحق كل ما يبذل فى سبيله من مال وجاء .

اما عن مواضع الاخفاق فيبقى لدينا النظام الجديد ، وهو نظام الحيز الوقائى ، وهو يستغنى الآن على نطاق أوسع مما كانت قوانين ما قبل الحرب تجيزه ، وبمقتضاه يقيس ابعاد كل عائد قاس لم يستجب الى طرق الاصلاح الأخرى زمنا طويلا وذلك لحماية المجتمع . فإذا كان عدد من يمكن اصلاحه قليلا فقد كفى الجمهور شرهم عدة سنوات .

نشأ الأخوان « كرينج » فى ظروف أحسن من ظروف الأخوين جنكنز وهذا يذكرنا بأن الفقر دائما منبع الجريمة . كان أبوهما موظفا فى أحد البنوك ، وكانوا يعيشون فى الضاحية السكنية بمدينة كرويدون . وقع الأكبر كرينج فى خطر . ففى منتصف الساعة الثالثة مساء ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ وصل الى البوليس بلاغ بأن رجلين اسم أحدهما كرينج والآخر « برنى » يقيمان فى كنتجون وأن فى حوزتهما فراء وملابس مسروقة وقيل انهما كليهما مسلحان ويرجع أن يستخدما مسدسهما ما لم يؤخذتا بقتة ، وأن التعجيل فى القبض عليهما أمر واجب لأنهما يزعمان التصرف فى المسروقات على وجه السرعة .

على الفور توجه مفتش البوليس السرى الى محل وجودهما ومعه اثنان من الجاوشية مع سائق سيارة بوليس . وتوجه الثلاثة الأولون الى حجرة بالطابق الثانى فى المنزل فوجدوا الباب مفلقا ، ولما سمع المفتش صوت نافذة تفتح صعد السلم مسرعا . ولما نظر الى الخارج رأى « برنى »

متسلقا حاصورة المدخنة فتداه وأمره بالهبوط ، ولكن برنى تسلى الى قطعة من الارض مسورة تجاور المنزل وهنا هبط الجاويشان السلم بسرعة فوجداه يشرع فى تسلق سلم خشبى يؤدى الى اسطبلات خلف المنزل فى حين كان سائق البوليس يحاول الامساك به .

وقعت معركة عنيفة بينهم . انتهت بغلبة رجال البوليس عليه واقتيد الى الحجرة التى بالدور الثانى . وهى الغرفة التى دخلها المقتش بأحشا عن كريج ، وقد وجد بعض الفراء والملابس المسروقة فى أحد القماطير . فبقى اثنان منهما مع برنى وتوجه الاخران الى الغرفة المجاورة وكانت مغلقة الباب .

بعد فترة من الزمن فتحت امرأة الباب . ولما دخل البوليس الحجرة . وكان كريج نائما بها . استيقظ ومد يده تحت الوسادة يبحث عن مسدسه فوجد عليه الجاويشان وانتزعا المسدس . وكان صمام الأمان مفتوحا والمسدس محشوا وفى جيوب كريج بعض الطلقات .

تبين بعدئذ أن هذين الرجلين كانا متهمين فى حادث سرقة مصحوبة بالقوة ومطلوب القبض عليهما فى «التهام أبى» فى «لكس» وقد حوكما أمام محكمة جنايات « أولد بيل » وأدينوا فى تهمة سرقة مع حمل سلاح . وسرقة مصحوبة بالقوة . كما أدين كريج بتهمة حمل السلاح بقصد تعريض الحياة للخطر ، وأدين برنى بتهمة اخفاء أشياء مسروقة وحكم على كريج باثنتى عشرة سنة عن كل تهمة ، وعلى برنى بالعقوبة نفسها عن التهمتين الأوليين وسبع سنوات عن تهمة اخفاء أشياء مسروقة . وكنتيجة طبيعية لهذه الجريمة كانت تلك المعركة الصاخبة التى لم تشهد لندن مثيلا لها منذ معركة سدنى ستريت فى سنة ١٩١٠ حينما اشتبك مستر تشرشل - وكان حينذاك وزيرا للداخلية - فى حصار بيتز النقاش وشركائه .

فى الساعة ٩١٥ مساء السبت ٢ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ وصلت الى مركز بوليس كرويدون اشارة تليفونية من رجل يقول انه رأى رجلين يتسلقان سور بوابة موصلة الى أحد المحلات التجارية ، وفى خلال عشر دقائق كانت فرقتان من البوليس قد وصلتا ، وكان ضابط المباحث « فيرفاكس » و « هاريسون » و « ين ويجدن » فى احدى السيارات . أما « مايلز » و « ماكبولد » فقد كانا بسيارة اللاسلكى وكان اللصوص على ما قيل - فوق سطح المخزن ولذلك تسلى « فيرفاكس » حاصورة المدخنة فوجد على السطح رجلين بجوارها فظل يتسلق حتى صار على بعد

سنة أقدم منهما وخاطبهما قائلا « أنا ضابط بوليس فأخرجنا من خلف المدخنة » .

فرد عليه أحدهما - وقد عرف فيما بعد أنه كريستوف كريج « ان كنت تريدنا فتقدم واقبض علينا » .

قال فيرفاكس « حسنا » وهجم عليهما وقبض على ثانى الرجلين وهو « بنتلي » ثم تحول يقتفى أثر « كريج » الا أن بنتلي تمكن من الهرب وهو يصيح « ناوله اياها يا كريج » .

وما انتهى من قوله حتى سمع طلعا ناريا - ولم تكن الطلقات النارية بالأمر المألوف في شوارع لندن وذلك من حسن الحظ - وكان فيرفاكس وزملاؤه لا يخلون سلاحا فأصيب فيرفاكس في كتفه وسقط على الأرض . ومع ذلك نهض من سيقطته وأخذ بتلاييب بنتلي وأطلقت رصاصة أخرى وحسن الحظ أيضا لم تصبه . وتمكن فيرفاكس من أن يجذب بنتلي خلف مصباح في السطح وسرعان ما فتشه فوجد معه سكيناً وقبضة حديدية . وعندئذ أخبر بنتلي أنه سيقوده الى أحد الأبواب ليتقى به الطلقات النارية . الا أن بنتلي حذره من أن كريج سيميد إطلاق النار عليه .

بعد ذلك بقليل صرخ ماكدونالد - وهو رجل بدين أخفق في محاولة تسلق ماسورة المدخنة - قائلا انه على مقربة من السطح لكنه لا يستطيع الصعود اليه فخرج فيرفاكس من مأمنه وأعانه على صعود ما بقي من مسافة قليلة وأخبر ماكدونالد أنه أصيب بـ « حمار ناري » . وهنا قال بنتلي « اني طلبت من الحفل ألا يطلق النار » .

وصاح فيرفاكس يطلب الى كريج أن يلتصق مسدسه فأجابه كريج « تعال خذ » ثم أطلق رصاصة أخرى كانت مصوبة الى « هاريسون » الذي تمكن من الصعود الى السطح وكان يزحف على السطح المائل ( المخزن ) متجها نحو السطح المستوي ولم يكن يحمل سلاحا أيضا وكان يضع قدمه في الميزاب وظهروا الى السطح . ولذا كان هدفا صالحا لكريج الذي أطلق عليه مرة أو مرتين ، فلما وجد هاريسون أن استمراره في زحفه بمثابة انتحار أخذ في الهبوط ثم عرج على سلم المنزل ومعه مفتاح للباب الموصل للسطح ، وبلاحظ أنه خلال هذه المبركة التي دارت مع شخص مسلح يائس يجلس على سطح المنزل وسط ظلام الليل لم يفكر أحد من رجال البوليس في الانسحاب أو انتظار المجد ، ولكن رجال البوليس الذين كانوا في أسفل المكان صعدوا فوق السلم سراعا . وعندما دخلوا من إلباب.

الموصل للسطح أطلق كريج النار مرة أخرى فسقط قائدهم « مايلز » بمد  
أن اخترقت رصاصة ما بين عينيّه .

خرج كريج من خلف المدخنة وأخذ في إطلاق النار ولكنه في هذه  
المرّة كان يطلقها نحو السلم فتخطى هاريسون جثة مايلز وألقى بعصاه  
نحو كريج ثم قذفه بزجاجة وبقطعة من الخشب ولكنه أخطأ .

سكر كريج بنشوة القوة وصاح : « أنا كريج ، لقد حكمتكم على أخى  
بائنتي عشرة سنة أقدموا يا رجال البوليس التوافق » انى لا أعدو السادسة  
عشرة سنة . » وأطلق رصاصة أخرى وظل يردد ما يقول :

وهنا قال لهم ينتل خفوا خفركم وإلا أطار روسكم برصاصه . ثم  
حينما كان رجال البوليس يهبطون به السلم توجه الى كريج وقال : « انظر  
يا كريس انهم ياخفوننى الى أسفل المنزل . وسواء قصد بهذا القول ان  
يطلق كريج النار او لم يقصد فقد أطلق كريج النار على الفور » .

اثناء ذلك كان الخبر بلغ مسامع رجال بوليس كرويدون فأرسل  
ضابط النقطه من تلقاء نفسه دون طلب منه بعض المسلمات . وبعد أن  
تسلح فيرفاكس الجريح عاد الى السطح وصاح في كريج : « ألق مسدسك  
فإن مى مسلمات مثله » .

جرى فيرفاكس نحو كريج وهو يطلق النار في الظلام وصاح كريج  
يقول له : « نعم ان مسدسك من نوع كولت ٤ - ٥ هل أنت تختفى وراء  
المجن ( الدرع ) وهل هو مما لا يخترقه الرصاص ؟ وهل تود أن تدخل  
معى مباراة في إطلاق النار ؟ ان هذا ما أبقيه . . . . »

ثم وجه كلامه الى ينتل وسأله : هل أصابك سوء يا دريك . وعندئذ  
سمع صوت طلقات أربع ثم صوت طلقة أخرى تبعها صوت كريج وهو  
يقول : « لقد فرغ المسدس » .

وجاؤا الى الجرى لمخادرة السطح فسقط بين يدى ضابط البوليس الذى  
كان واقفا أسفل المكان على مسافة ٣٠ قدما . ومع أنه أصيب إصابة  
فادحة فإنه قال لمن حوله « وددت لو أنى مت . أرجو أن أكون قد قضيت  
على الجميع » .

توجهت في صباح اليوم التالى الى كرويدون بعد هذه المعركة اليائسة  
وقابلت هاريسون وماكدونالد وجاك - الذى كان أيضا على السطح - أما  
ميرفاكس فكان حينذاك فى المستشفى وكان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين

صانوا بجدارة تقاليد بوليس العاصمة ، أقل اهتماما بحوادث الليلة الماضية منهم بمصير أرملة رجل البوليس « مايلز » الذى قتل بالرصاص . وكان شعورى فى الواقع شعور من يدخل منزل أسرة توفى أحد افرادها فجأة وان من بين ما يمتاز به رجال البوليس هو أنهم حينما يقع واحد منهم أو أحد أفراد أسرته فى ضيق يقنعون كل مساعدة بشئ حساب .

وفيرفاكس الذى رأيته فيما بعد هو رجل وسيم الوجه متوسط الحجم وهو مثقف مفكر أقرب الى الكتبة منه الى رجال البوليس . ومع ذلك فهو رجل كفاح ، وقد أخذ يهون من الدور الذى لعبه فى المعركة عندما كان يسرد على بطريقة صريحة الأعمال التى أتتها على السطح دون أن يحاول أن يصيغها بصيغة مؤثرة كان يراها جزءا من عمله اليومى وقد قام بما يمليه عليه الواجب .

وقد تأمل للشفاء سريعا وركبى بعد وقت قصير الى رتبة جاوليش واعترف فيها بعد بشجاعته فمنح « صليب جورج » أما هاريسون وماكدونالد فمنحا « ميدالية جورج » وأما جاك فمنح « ميدالية الامبراطورية البريطانية » كما منحت ميدالية بوليس الملك للشجاعة الى « مايلز » بعد وفاته . وفى الاحتفال بجنائزته فى كنيسة كرويدون اجتمع حشد من الناس لتكريم ذكره . كان من بينهم وزير الداخلية وكل ضباط البوليس من جميع الرتب .

وفى الوقت المناسب وجهت تهمة القتل الى كريج وبنلى وقدما للمحاكمة بتهمة القتل . وبنى الدفاع عن بنلى على أساس أنه وزميله كريج ولو أنهما كان لهما غرض مشترك عندما دخلا المخزن . فهذا الغرض انتهى بمجرد القاء القبض على بنلى . وعلى ذلك فلا يعتبر مدانا فى جريمة القتل . ولم يقبل هذا الدفاع وأدين كل من المتهمين ، ولما كان كريج دون السن فقد حكم عليه بالسجن حتى يفرج عنه بالعفو الملكى فى حين تأيد الحكم استئنافيا ضد بنلى . وقد رفض وزير الداخلية تأجيل تنفيذه ونفذ فيه حكم الاعدام فى سجن واندورث .

واحد أسباب بروز هاتين الحادثتين اللتين وصفتها هو أن القتلة استخدموا الأسلحة النارية فى محل عام . وأن ذلك نادر الحدوث فى بريطانيا .

ان عدد الحوادث المصحوبة بحمل السلاح فى أقسام بوليس العاصمة تتغير فى عام عن الآخر فمذ ستى الحرب فهى ما بين عشر حوادث وستة

وأربعين وبالرغم من تهويل الصحف في هذا الموضوع في السنة أو السنتين الأخيرتين فإن إحصاءات السنوات ١٩٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ هي على التوالي ١٦ ، ١٠ ، ١٩ ، وهي ليست بحال من الأحوال أرقاما غير طبيعية . ونسبيا مهما كانت ضالتها ففي ذلك أكبر العزاء . وهذه الحوادث على قلتها نسبيا لازالت أكثر من أن تدعو الى ارتياح وتظهر الحاجة الى وجوب تطبيق قانون الأسلحة النارية الصادر في سنة ١٩٣٧ تنفيذا صارما وهو القانون الذي يقتضاه لا يسوغ لأى شخص أن يحرز سلاحا ناريا بدون الحصول على شهادة من حكمدار البوليس . والأسلحة التي بأيدي اللصوص لا رخصة لها وإنما حصلوا عليها عن طريق السرقة أو بوسائل أخرى غير مشروعة .

وفي أعقاب الحرب مباشرة وردت كميات كبيرة من الأسلحة النارية الى هذه الدولة عن طريق الذين دخلوا في مسارح القتال فيما وراء البحار . واجراءات الرقابة الدقيقة والتفتيش في ألمانيا وفي جهات أخرى ، وفي موافى الخول وضعت حدا عاجلا لهذا النوع من التجارة ، بيد أن النداء الذي وجه لتسليم الأسلحة النارية أسفر عن الحصول على ما يقرب من ٣٠٠٠٠ قطعة وأدت ادانة ماري جنكنز وشركائه الى الاستيلاء على بعض المسدسات والى هبوط عاجل في عدد جرائم القوة وان كان هبوطا مؤقتا .

كثير ممن يطلبون الحصول على ترخيص بأسلحة نارية يرغبون في أن يكون لديهم السلاح لحماية أنفسهم في منازلهم لانهم يستشعرون الخوف مما يقرعونه عن مهاجمة أصحاب الدور . ومن النادر أن يحمل لصوص المنازل سلاحا ولكن اذا عم حمل السلاح لسكان الدور لتولد عن ذلك خطر حقيقى اذا اقتدى اللصوص بهم واستعملوا السلاح عند دخولهم وخروجهم طبقا للأسلوب الذي ينهجه رجال العصابات في الافلام السينمائية . وهذا الاحتمال - فضلا عن الخوف من أن طالب رخصة السلاح قد يكون غير أهل لذلك أو أنه سيء النية - حمل وزير الداخلية أن يقترح على جميع رؤساء البوليس أن يتشددوا في اعطاء هذه الشهادة ما استطاعوا .

وبوصف كوني حكمدارا رفضت عددا كبيرا من هذه الطلبات وبخاصة اذا كان سبب الطلب هو رغبة الطالب في حمايته في مسكنه الخاص لأنه اذا قبل هذا كسبب مبرر لما كان لعدد التصاريح نهاية وبذلك يتدهور الحال سريعا . على أن لكل طالب يرفض الحكمدار طلبه أن

بستانف لدى هيئة عليا • وفي فترة قيامي بأعمال الحكم دار كان عدد الاستثنافات كثيرا أو لم ينجح منها الا اثنان فقط •

والقضايا التي تماثل قضية جنكنز وكريج تؤدي الى اقتراح وجوب تسليح البوليس ، أما رجال البوليس أنفسهم فلا يرغبون فيه لانهم يعتقدون أنهم لو سلحوا ل زاد الميل عند المجرمين الى أن يتسلحوا أيضا وأن يطلقوا الأسلحة في الحال • وفي خلال ثماني سنوات لم يقابل من رجال بوليس العاصمة بالرصاص الا اثنان ولم يجرح بالأسلحة النارية الا أربعة أو خمسة وهذا على تقيض الحال في الولايات المتحدة الأمريكية التي يحمل فيها رجال البوليس الأسلحة النارية ، فقد قتل منهم في سنة واحدة هي سنة ١٩٥١ - ٦٤ شخصا •

نحن ندرّب رجال البوليس على المصرة غير المسلحة وهم يكادون ينجحون باستمرار في تجريد الخصم المسلح من سلاحه دون أن يصابوا هم بأذى •



الفصل الثامن

البوليس الصحافي الجديد



تزويد الجمهور بالمعلومات - تعاون الصحافة والجمهور  
فى القاء القبض على دونالد جورج توماس - الخطوات التى  
تتخذ لتصحيح الاشاعات المضللة - الجرائم المبلغ عنها والتى  
لم تقع أبدا - نظام ٩٩٩ - غرفة الاستعلامات - مسيرات  
اللاسلكى أثناء العمل - المواصلات العمومية والدولية -  
حاملو ميدالية ينى - عناية البوليس بتجنب الحيف .

\*\*\*

هذه اللحظة التى أصبحت فيها حكمدارا ادهشنى  
الاهتمام الشديد الذى أظهره كل من لقينى فقد كنت أسأل  
على الدوام عن آخر ما وقع من الجرائم ، وكثيرا ما يكون  
السائل وقد طالع صحف الاخبار يعلم عنها أكثر مما أعلم .  
فالبوليس يمس حياة المواطن الاعتيادى من مواضع علة  
تجمل من المستساغ فهم ما يبدية من اهتمام . وهذا الاهتمام  
يظهر واضحا فى الاشادة بهذه المسائل فى الصحف حيث  
تسجل أعمال البوليس يوما فيوما قريبة كانت أو بعيدة عن  
الصواب . فحوادث البوليس تنصدر عمود الاخبار وكان  
أحد قراراتى الاولى وجوب الاعتراف بهذه الحقيقة وأن تنفيذ  
منها فعلى أية حال يستحيل منع نشر أعمال البوليس حتى لو  
كان هذا المنع مرغوبا فيه فالصحف ذات خبرة فى جسع  
الاخبار وقد مضى العهد الذى كانت فيه أعمال المصالح الحكومية  
أو البوليس سرا يجب علم الاقضاء به الى رجل الشارع .

لقد انتهزت كل فرصة أتيجت لى لالقاء محاضرات فى  
الأندية والمنظمات من كل نوع عن عمل البوليس وكثيرا  
ما كنت أذكر قصة عن جاوش مقسّم فى السجن من رأسه  
عندما أدخل أول تليفون الى اسكتلنديارد وقال فى أنى  
« لست أدري فى أى طريق نحن مفسوقون . فلن نطول بنا  
الوقت قبل أن يبدأ الجمهور فى دق التليفون لنا » .

هذه الحالة الذهنية استمرت الى حين وصل الى اسكتلندبارد . وما زلت اذكر فزع أحد الضباط الصغار عندما أعلنت بأني اتفقت مع مصور صحفي على أن يأخذ صورة لأحد مؤتمراتي الصباحية وكان على أن أقنع هذا الضابط بالإبقاء على وجهه وراء قطعة من الورق عندما كانت تؤخذ الصورة .

اني أعتقد تماما أن الجمهور الذي يدفع أكثر من ١٨ مليوناً من الجنيهات سنوياً لبوليس المدينة يحق له أن يعرف ما تقوم به قوة البوليس بقيمة ما يحصل عليه ازاء ما يدفع من مال . وكان من أول ما فعلت الحصول على الموافقة على تعيين ضابط استعلامات للجمهور .

كان موجوداً في ذلك الوقت مكتب صحافة صغير في اسكتلندبارد . وكان يعطي جزءاً محدوداً من المعلومات عن الشئون البوليسية . غير أن موظفي هذا المكتب لم تكن لديهم الخبرة كالصحفيين أنفسهم فشعرت بضرورة ربط علاقاتنا بالصحافة على أساس مرض . وأن يكون الضابط المشرف على هذا المكتب رجلاً وقف على الوسائل المتبعة في حي الصحافة في « فليت ستريت » ويعرف القائمين بالعمل هناك .

ولقد أسعدني الحظ عندما وفقت في الحصول على خدمات « ب. ه. فريزلي » ، فقد عمل سنوات عدة في دنيا الصحافة كما اكتسب خبرة كضابط صحفي في شركة الاذاعة البريطانية وفي وزارة الحربية وفي الهند . وكان عنوان الوظيفة هو ضابط استعلامات للجمهور روعي في اختياره تأكيد أن الغرض من انشاء هذه الوظيفة الجديدة هو توزيع الاخبار وتجنب النقد الذي كثيراً ما كان يوجه الى ضباط الاتصال من أنهم لم يمينوا الا للأطراء على وزراءهم أو المصالح التابعين لها أو لتلمس الأعذار لهم .

وبعد ذلك بقليل دعوت رؤساء تحرير صحف لندن اليومية لمقابلتي وبعد أن أوضحت لهم بصرامة الموقف من حيث الجريمة - وقد كان حينذاك باعثاً على القلق الشديد - أخبرتهم أن سياستي هي أن أعطي الصحافة أوفى البيانات وأسرعها عن نشاطات البوليس الا ما تدعو الضرورة الى تجنب اذاعته مما قد يتدخل في تحقيق قائم أو في سير العدالة وقد اتبعت هذه السياسة منذ ذلك الحين حتى اليوم وأتت بأحسن النتائج للطرفين .

وكانت الاختيار السرية تحترم في كل الظروف ، وكان الجمهور يفيد من الحصول على بيانات صحيحة ولم يكن هذا مطرداً في كل الاوقات .

فقد حدث مرة خلال التحقيق في حادث قتل أن كنت أقضى عطلة في « ديفون » حينما أخبرني الخادم اني - بحسب ما جاء في جريدة صباحية - عقلت مؤتمرا في منتصف الليل في اسكتلنديارد مع « رونالد هاو » مساعد الحكمدار في ادارة تحقيق الجنايات . و ثم خير أشد بعثا للدهشة هو ما قرأته في صحيفة هولندية في صباح أحد أيام الاثنين من أني قطعت اجازتي التي أقضيها في هولندا وغادرتها بالطائرة الى لندن يوم السبت الأسبق لأعقد فيها مؤتمرا في منتصف الليل أيضا .

وعندما عتبت على مراسل الصحيفة المسئول عن هذا قال « ماذا في هذا ليست قصة طريفة ؟ » أما انا فكنت أظن أن هذا الخبر ينذر بوقوع خطأ في البوليس اذا ما استدعت الظروف عقد مؤتمر في منتصف الليل بهذه الكثرة ولكن ربما كان الصحفيون هم الذين أصيبوا بالخطا دون سواهم ، وهذه الاخطاء الصغيرة لم تنل من حسن اعتقادي في قيمة العلاقات الطيبة بالصحافة ولا بالجهد الذي أبذلها للمحافظة على هذه العلاقات ، وقد كانت قيمة جدا لرجال البوليس فان الحادث الذي استشهد به كثيرا كحادث مثالي في التعاون بين البوليس والصحافة والجمهور هو القبض على قاتل « ناثانيل ادجار » .

كان ادجار هذا في الثالثة والثلاثين والتحق ببوليس العاصمة في سنة ١٩٣٩ وبعد أن قضى ثلاث سنوات في الكلية البحرية الملكية خلال الحرب عاد الى خلية البوليس في سنة ١٩٤٦ وكان متزوجا وله ولدان صغيران وفي شتاء ١٩٤٧ - ١٩٤٨ كثر حوادث سرقة المنازل في منطقتي « هاي جيت » ، « سوث جيت » ولكافة هذه الحوادث ندب عدد من الضباط النظاميين للمساعدة في إدارة المباحث الجنائية وكانوا يعملون بها وهم يرتدون ملابس مدنية وكانوا ينتقلون من قسم الى آخر بالفرقة .

كان ادجار أحد هؤلاء الضباط وفي مساء ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٨ كان يقوم بعمل الدورية في منطقة « سوث جيت » مع « ماك بارتلان » وحوالي الساعة الثامنة مساء افترق الضابطان على أمل العثور على أحد المشبوهين اذ كانا يتعقبانه في الصباح ، ولم يمض وقت طويل حتى اتصلت من تدعى « مسز لينج » تليفونيا بغرفة الاستعلامات في اسكتلنديارد وأبلغت انها أثناء سيرها مع أخيها سمعت ثلاث طلقات وشاهدت في الحال رجلا يجرى ويختفي في شارع « برود فيلدز » في « ويندهل » ، وأنها عرجت هي وأخوها على ويندهل وعند مدخل الجراج

فى المنزل رقم ١١٢ رأت اذجار ملقى على الارض يئن والدم ينزف منه .  
بغزارة \*

وتوجه فى الحال بعض ضباط البوليس فى سيارة لاسلكية الى وينزهل فوجدوا اذجار واستطاع ان يقول لهم « كان الرجل واقفا بجوار الباب وقد أخفت منه تذكرة تحقيق الشخصية واسمه وأطلق على ساقى ثلاث طلقات ودفتر المذكرات فى جيبي الداخلى » ، وبالعثور عليه وجد مكتوبا فيه هذه العبارة الآتية :

« مستر توماس دونالد ٢٤٧ كمبردج رود انفيلد بيل ٢/٢٥٧ ،  
نم فقد اذجار وعيه وفاضت روحه فى المستشفى فى الساعة التاسعة .  
والنصف مساء اليوم نفسه نتيجة اصابته بثلاث رصاصات بالجانب  
الايمن وفخذه الايمن . »

كان اذجار أول من قتل بطلق نارى من رجال البوليس منذ سنوات بعيدة جدا أثناء تأديته أعمال وظيفته ، وكان طبيعيا أن يكون لهذا الحادث أثره العميق فى نفوس زملائه ولم يكن البوليس بوجه خاص يكن عداوة للمجرمين وقد اعتاد البوليس أن ينسب فى نفوس رجاله فهم الطبيعة البشرية وهى تحت قسوة الاقدار ، ويعلمهم كيف يتسامحون معها .

ولكن اذا كان القتل أحد زملائهم ، فكيف يعودون الى طبيعتهم ؟  
وليس فى وسعنا أن نطالعهم فى مثل تلك الظروف أن يكونوا فوق البشر ،  
وصلت الى منزلى اشارة تليفونية فى تلك الليلة تخبرنى ب وفاة اذجار مع .  
التأكيد بأن لا بد من ضبط القاتل ، ولم يجد مقتش الفرقة السرية أية صعوبة فى معرفة شخصية دونالد جورج توماس أحد الهاربين من الجيش .  
والمطلوب البحث عنه والقبض عليه منذ ١٣ من اكتوبر سنة ١٩٤٧ ولكنه لم يوجد فى بيته فى انفيلد وفى الصباح المبكر لليوم التالى قابلت « هاور »  
فى اسكتلند يارد وللمرة الاولى أصدرنا للصحافة الصيغة التى اتبعت فيها  
بعد ذاك حين أن البوليس يرغب فى أن يقابل بأسرع وقت دونالد جورج  
توماس الذى يظن أنه قادر على مساعدتهم فى تحرياتهم وقد اطلع على هذا  
الاعلان مستر « ستانلى وينكلس » القاطن فى كمبرول فأبلغ أن توماس  
كان يزوره بمنزله أحيانا وأن مسز وينكلس اختفت منذ ثلاثة أسابيع وأنه  
معتقد أنها فى صحبته وقسم للبوليس صورة فوتوغرافية لزوجته فرائنا  
أن نبعث بها الى الصحافة لنشرها .

كان لهذا الاجراء نتائج عاجلة فعملت نسخ من الصورة وظهرت فى

صحف الصباح يوم ١٧ من فبراير وفي الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم رأت مسز « سميد » صاحبة بتسيون في « كلايهام » الصورة وأطلعت زوجها عليها وذكرت أنها تعتقد أنها لا امرأة كانت تسكن مع رجل بالغرفة العليا الإمامية من منزلها فرأى مستر سميد أن يتقابل أحد رجال البوليس وأدل إليه بشكوكه ، وفي الحال اتصل الضابط تليفونيا بغرفة الاستعلامات باسمكتلند يارد وأخذ يراقب المنزل ، وبمسد لحظات وصلت سيارة البوليس اللامسلكية وبها ثلاثة ضباط ثم أعقبهم المفتش مودى من مركز بوليس « بركستون » واتفق مع مسز سميد على أن تقدم طعام الافطار الى ساكنى الغرفة العليا كالمعتاد على أن يتبعها هو وسائر رجال البوليس على السلم .

وضعت مسز سميد الصينية على الارض وطرقت الباب فسمعت صوتا من الداخل يقول « أوكى » أى نعم ثم هبطت السلم وانتظر الضباط في صمت خارج الباب حتى سمعوا صوت المفتاح فى القفل وانفتح الباب وما ان وقعت عين توماس - وكان مرتديا صدرية وبنطلونا - من خلال فتحة الباب على ضباط البوليس حتى أغلق الباب بشدة ولكن رجال البوليس اقتحموا الباب ودخلوا الغرفة ، فوثب توماس الى السرير ومد يده تحت الوسادة .

التى الضباط الثلاثة أنفسهم عليه وأمسك المفتش بيده اليمنى التى كانت تلبس على مسلسل وكانت معركة عنيفة قصيرة انتهت بالقبض عليه .

حذر المفتش توماس وسأله : هل المسلس محشو ؟ فاجابه : انه مملوء بالرصاص وأنه كله معد لك .

وعندما اقتيد الى مركز البوليس قال « انكم سمعنا الحظ ألا ترون أن شتى من جراه شاة كشتقى من جراه كبش !! »

ووجد البوليس فى غرفته مجموعة من الرصاص عددها ١٧ من عيار ٠.٣٥ . وعصا من مطاط ، ومدقعا رشاشا وعددا من تذاكر تحقيق الشخصية وكتابا عنوانه ( اطلاق الرصاص فى سبيل الحياة بمسند تمسكه بيد واحدة ) طبعة ١٩٤٢ ، كتبه اثنان من الفدائيين هما كابتن فيدبرن وكابتن سايكز وجاء فى مقدمته وصفا له بأنه « عبارة عن وسائل مؤرست وجربت خلال ربع قرن ملء بالحوادث واتبعها قوات بوليس أخرى فى الشرق الاقصى وغيره على الرغم من أن هذه الوسائل غيرمستقيمة وكان رجاء المؤلفين أن يكون فى سرد هذه الاساليب ما يساعد على اكتساب

الكفاية ومن ثم الأمان للذين يقضى القدر بأن يستخدموا المسدس بيد واحدة أثناء تادية الواجب وعناوين بعض فصول هذا الكتاب هي : أغراض المسدس - انتخاب المسدس - التدريب فى منهاج ابتدائى للمقترعين وتدريب أساليب الفصول المتقدمة \*

ولما اختبر مسدس توماس الاتوماتيكي ماركة « لوجر فى نقطة البوليس وجد بخزائنه ثمانى رصاصات وواحدة بالأسورة وقد أدلت أخيرا مسز ونكلسن بأن توماس سبق أن اعترف لها بأنه قتل ادجار ولكن توماس نفسه رفض أن يقول شيئا الا بيانات زائفة عن تحركاته فى ليلة الحادث وبفحص الرصاصات التى وجدت فى جثة ادجار ثبت جليا أنها أطلقت من مسدس توماس \*

وتكشف ماضى توماس عن أنه ولد فى ١٦ من يوليو سنة ١٩٢٥ وغادر مدرسته بادمونتون فى الرابعة عشرة من عمره وكان معدودا من حيث الذكاء من الستة الاوائل فيها ، وكان رئيس فرقة الكركت وعضوا فى معسكر الفتيان \*

وبدأ العمل ساعيا فى التلفراف ثم كاتبا صغيرا ، وبدأت متاعبه مع البوليس قبل أن يتم السادسة عشرة من عمره فارتكب حوادث وضع من أجلها تحت الملاحظة اثنى عشر شهرا قضاهما فى إحدى المدارس المعتمدة أثناء الحرب ، وقد أفاد من هذه المدة فانه عندما غادرها أسرع فى دراسة الرياضيات والهندسة الكهربائية فى مدرسة صناعية وكان قد استعدى للتجنيد فى يناير سنة ١٩٥٤ ولكنه هرب بعد أسبوعين ثم سلم نفسه الى البوليس البحرى وأمضى مائة وستين يوما فى الحجز وعلى أثر الافراج عنه هرب مرة أخرى وظل مختفيا ثلاثة أشهر حتى أطلق النار على ادجار وأدانته المحكمة فى جريمة القتل . وكان تنفيذ عقوبة الاعدام فى ذلك الحين موقوفا نتيجة لقرار اتخذه مجلس العموم عند التصويت على عقوبة الاعدام ، وبناء على ذلك استبدل بحكم الاعدام على توماس الاشغال الشاقة المؤبدة . وهذا الجزاء غير طبيعى ينظر اليه ضباط البوليس بشعور انتقادي ومثل هذا قد يواجه وزير الداخلية فى قابل الايام بمشكلة محرجة عندما تعرض قضية توماس للنظر فى الافراج عنه \*

استطيع أن أدلل بقضايا كثيرة أخرى ساعدت فيها الصحافة والجمهور رجال البوليس . هذا « جون ادوارد الين » الذى قتل طفلا ثم هرب من « برودمور » وبقي طليقا مدة عامين حتى نشرت صورته إحدى



صحف المساء فعلم صاحب المختبر الذي كان يشتغل فيه تحت اسم مستعار هو « كنت واتس » وطلب بوليس جلاسجو في مناسبة أخرى الحصول على وجه السرعة على صورة رجل مطلوب ولم يكن في الوقت متسع لارسالها بالبريد أو بالقطار ولكن مجاملة من احدى صحف لندن اليومية أرسلت الصورة لتغرافيا الى جلاسجو في خلال ساعة أو ساعتين ومكنت البوليس هناك من التحقق من الاوصاف المطلوبة .

غالبا ما تقوم الشكوى على أن الصحافة تبالح في ابراز التفاصيل في حوادث العنف وبهذا تقدم الى المتهم - وخاصة المجرمين الأحداث - شهرة تستهويه وهذا رأى له قيمته وانى أرد أن نعالج هذه المسائل بطريقة أقل اثارة للمواطف ففضلا عن أثرها في المجرمين فإن المبدأ المعروف عند ضباط البوليس المحنكين هو أن كثرة الاعلان عن حادث مثير تتبعه في الغالب الأعم حوادث أخرى مماثلة .

ومن سوء الحظ بلا جدال أن الجريمة - وعلى الاخص جرائم العنف - ارتفع مستواها ارتفاعا كبيرا عن قبل الحرب ولا يوجد شخص وبخاصة رجال البوليس يرى ترك هذه الفوضى بغير علاج حازم ، وفي حالة مايتضح للجميع خطورة هذا الموقف فعندئذ فقط نضمن تأييد الجمهور لتعزيز قوات البوليس التي تحمي القانون والنظام . ويشتمل كل عام على فترات حسنة وأخرى سيئة ففي امسيات الشتاء الطويلة تزيد أرقام الجريمة دائما للسبب البديهي وهو أن المجرم يستطيع تحت ستار الظلام أن يمارس مهنته بأقل خطر يعرضه للقبض عليه . وكانت الايام الاربعة الشاذة في كثافة ضبايها في ديسمبر سنة ١٩٥٢ مبعث وباء لخطف الحفائب والاعتداء والسرقة حتى تضاعفت الأرقام العادية للأسبوع .

وفي نشر الصحف مثل هذه السلسلة من الحوادث وإظهارها بأنها موجة اجرامية سيصاب الجمهور بنوع حتى أن المتقدمين في السن سيتحصنون في دورهم ليلا ، ويعتقد آخرون أن الخروج بعد الظلام غير مأمون العاقبة ولكن كثيرا ما يظهر أن زيادة عدد الجرائم انما هي زيادة مؤقتة وبعد أسبوع أو أسبوعين يهبط عددها حتى يختفي ثم تختف معركة النشر والاذاعة ، ومن الغريب أيضا أنه كثيرا ما يبلغ ذعر الجمهور من نوع من الجرائم ذروته في الوقت الذي تدل الدلائل على أن مسببات الضرر في طريقها الى الزوال . وفيما يتعلق بمنطقة بوليس المدينة فإن أحدث مثل يضربه لذلك هو الاضطراب الذي أدى الى اصدار قانون منع الجريمة الصادر في سنة ١٩٥٣ وهو القانون الخاص بأسلحة الاعتداء .

وفي سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كانت حوادث سرقات العنف تقسوق ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب ، وزادت نسبة الحوادث التي استخدم فيها اللصوص اسلحة نارية بنفس النسبة ، ولكن منذ سنة ١٩٤٨ هبطت حوادث السرقات من ٣٧٣ الى ٢٩٨ في سنة ١٩٥٢ ، أما الحوادث التي استعملت فيها الاسلحة النارية او اسلحة أخرى فقد كان عددها أقل بكثير من هذا العدد .

وفي أحد الاضطرابات حينما ساد النعر العام بسبب نشر الصحف لسلسلة من جرائم القسوة لجأت الى الطريق غير المألوف بأن أعلنت أن التحقيق أثبت في حادثتين أو ثلاث أن لا جريمة على الاطلاق ، وضربت مثلا بحادث اذ تقدمت إحدى الفتيات ببلاغ مثير عن اعتداء حصل عليها وثبت أنها عمدت الى ذلك لتبرر أمام والديها أسباب تقيها خارج المنزل الى ساعة متأخرة من الليل ، والحادث الآخر هو اختراع خفي قصة هجوم ليلي ليستر نتائج إهماله في الخفارة ، ومما يدعو للصجب أن هذه الخطة غير المألوفة لقيت ترحيبا من الصحف فخلعت موجة الجريمة في الصحف في الواقع .

من السهل أن ننتقد الصحف ، وأن ننسى الضغط الذي يلاص صدور هذه الصحف ، وإذا كنت قد أشرت الى مسائل كان من الميسور تنظيمها تنظيمًا أحسن فقد فعلت هذا بعيدا عن روح تلمس الأخطاء التافهة ولو فعلت لكنت جاحدا لأنني بمعونة الصحافة وحدها استطعت أن أجعل الجمهور يعلم شيئا عن مشاكلنا وأن نكسب مؤازرته الودية أثناء سني الحرب العصيبة في المشاكل التي نشأت بسبب قلة عدد رجال القوة .

لقد أصبح النشر في الواقع جزءا لا غنى عنه من مجموع أسلحتنا . ولم تقصر نشاطنا على الصحف اليومية بل مددنا يد المعونة لكتاب المقالات في مختلف النشرات الدولية وتعاوننا في اخراج برامج عدة في الراديو والتلفزيون وقد يكون أكثر نجاح لاقيناه في مطالبة الجمهور لمساعدة نفسه هو سلسلة الاحاديث التي تذاغ في الراديو تحت عنوان « هذه هي أموالك التي يسعون وراءها » . وهذه الاحاديث تصف مختلف وسائل الخداع وقد طلب فيها الى المستمعين أن يأخذوا حذرهم كما أن السينما أتاحت لنا فرصة عظيمة ونحن بجانب التسهيلات التي قلّمناها باعطائها أفلاما كثيرة معززة بالوثائق عن أعمال مختلف المصالح تعاوننا مع استوديوهات « ايلنج » في اعداد فيلم « المصباح الازرق » الذي أعطى صورة صادقة لجهاذ رجل البوليس في عمله في قلب قصة جنائية مثيرة

أخذ كثير من تفصيلاتها من حوادث واقعية حدثت في جرائم حديثة العهد .  
وقد عرض هذا الفيلم في جميع أنحاء العالم فكانت وسيلة قيمة لنشر  
معلومات عن كفاية رجل بوليس العاصمة وتقاليده العالية .

وبالإضافة إلى وسائل النشر هذه نظمنا في أولمبيا معارض كثيرة  
في المخازن الحكومية وفي القاعات ، ودور السينما توضح عمل البوليس .  
وتوحى إلى الجمهور بوساطة الصور والنماذج باتخاذ الوسائل التي  
يستطيع بها أن يحمي منزله بالاتجاه إلى الإجراءات البسيطة مثل احكام  
اغلاق النوافذ ليلا وتركيب أقفال متينة على الأبواب ، وقد أثمرت بغير شك  
هذه الوسائل ثمرتها الطيبة ، ولكن المعركة الدائمة التي لا تنتهى هي  
المعركة التي يكافح فيها عدم التفكير والاهمال وهما من حلفاء الجريمة  
والجرمين .

إن نحو نصف حوادث دخول المنازل والشقق إنما يتم بوساطة  
الأبواب والنوافذ التي تترك مفتوحة أو غير محكمة الاغلاق ، وعلى الرغم من  
التحذيرات المتكررة فإن سكان الدور ما زالوا يعلنون عن غيبتهم عندما  
يسافرون بأن يتركوا صحف الاخبار وزجاجات اللبن تتراكم على عتبة  
الباب أو يضعوا لافتة على الباب مكتوبا عليها (غائبون حتى يوم الاثنين) .  
وقد بلغت إحدى السيدات أقصى حدود الاهمال فتركت جواهرها في  
الليلة السابقة في عربة في فناء لعدة منازل في ايست اند ، فلما سرقت .  
ولم يكن بد من سرقتها أنت الينا . ولجورد حسن الحظ استطعنا أن  
نسترددها من أحد الذين يخفون الاشياء المسروقة في ايست اند . وكنا  
نؤمل أن تأتي التجربة بالحكمة ولكن لا ! فإن هذه السيدة تركت جواهرها  
مرة أخرى في عربتها بعد بضع ليال ، ولما وصل البلاغ الينا بأنها سرقت .  
ثانية علقنا على ذلك بإشارة أنا معترف بها اذ كتبت «تستاهل ٠٠٠ !» .

ولا يقتصر الامر على سكان يتحنون الفرص للصوص فإن عددا كبيرا  
من الشركات التجارية تعرض على السرقة بالطريقة التي تتبعها في توريد .  
نحن مبيعاتها أو في تسلم الأجور من البنك فإن مهرة اللصوص يضمون  
خططهم الاستكشافية بنفس اليقظة والاهتمام بالتفصيلات تماما كما يفعل  
الضابط العربي فالرسلول الذي يتخذ طريقا واحدا لا يغيره وساعة  
معينة في ذهابه وإيابه يكون لقمة سائفة . فمن واجبات ادارة تحقيق  
الجنايات بتذكير المصانع بشروط هذه الطريقة وإرشادها إلى الخطوات الواجب  
اتباعها لحماية ممتلكاتهم .

وكثير من الشركات لديها أنواع مختلفة من أجراس التنبيه ضد

السرقاٲ مركبة فى مصانعها ومبانيها التجارية وبعضها مركب بحيث اذا فتح باب أو نافذة يذق من لقاء نفسه آلة التليفون ويطلب رقم ٩٩٩ وهذا الرقم يطلب غرفة الاستعلامات فى اسكتلنديارد وتحكى اسطوانة جرافون العنوان وأن اللصوص دخلوا المبنى ويداع هذا البيان فوراً بالراديو الى عربة البوليس القائمة بالاعمال اللورية وكثيراً ما يصل البوليس فى الوقت المناسب ليجد اللصوص بداخل المبنى وفى احدى الليالى أطلق جرس الانذار فى مصنع واحد ثلاث مرات بوساطة ثلاث فرق من اللصوص مختلفة وقبض على ثلاث عصابات من المجرمين .

هذا هو التليفون الذى كان يخشاه جاويش البوليس الشيخ - وقد اصبح أكثر عامل فردى فى مساعدة الجمهور على معاونة قوة البوليس القليلة العدد فى معركة الجريمة . وفى يوليو سنة ١٩٣٧ وضع اتفاق مع مصلحة البريد الصامدة بمقتضاء أنه اذا طلب رجل فى لندن رقم ٩٩٩ بالتليفون يوصل فى الحال بالبوليس أو بادارة المطافىء أو بادارة الاسعافه ثم وسعت هذه الخدمة حتى شملت الملكة كلها وأخذ عند هذه المكالمات التليفونية مع بوليس العاصمة يزداد باستمرار . فبعد أن كان عددها ٣٥٠٠ فى سنة ١٩٤٥ وصل الى ١١٠.٠٠٠ فى سنة ١٩٥٢ ، وفى خلال هذه المدة ارتفع عدد الذين قبض عليهم رجال بوليس السيارات اللاسلكى من ٤٦٢ ذرة الى ١١.٠٠٠ وبطبيعة الحال كان عدد كبير من هذه المكالمات وصل بعد فوات الوقت المناسب أو حصل بطريق الخطأ ولكن لا بأس من تحمل هذه المكالمات الفاشلة اذا كانت النتيجة تسفر عن لقاء القبض على واحد من كل عشرة . فان لقاء القبض يضع حدا لاعمال السارق الذى ان لم يقبض عليه قد يمرح ليلة بعد أخرى الى أن ينتهى المطاف به الى القبض عليه بعد أن يكون قد ارتكب خمسين حادثاً أو أكثر ولكن حينما يقبض على اللص متلبساً بالجريمة فان هذا يؤدى الى اقتصاد كبير فى وقت رجال البوليس الثمين والا كان عليهم أن يبدعوا تحرياتهم من به الشوط .

وانتهزت كل فرصة لاشاعة نظام ٩٩٩ مشجعا الجمهور للافادة منه وجاءت البيانات تترى من جهات لم يكن فى الحسبان أن تتصل بنا وقد اثمرت الجهود . والقصة التى أخصها بالذكر لفرط سرورى بها هى قصة صبيين فى نحو الثامنة من العمر كانا يلعبان عادة فى الشوارع القريب من مدخل يؤدى الى فناء مزدحم بالبضائع فى الايست اند بلندن وكان قد تعرف بهما سائقو عربات النقل الثقيلة التى تدخل الى الفناء وكانوا كلما

اقتربوا منها يحيونهما بكلمة طيبة وابتسامة ، وفي ذات يوم خرجته سيارة نقل وعوضا من أن يتلقيا التحية المعتادة فوجئا بعبوس ولعنة منه سائقها ، فقال أكبرهما هذا أمر غريب لابد أن في الأمر سرا فخذ رقم السيارة ومساير رقم ٩٩٩ بقرص التليفون ونتيجة لهذا الاجراء أوقفتها سيارة البوليس ووجد أنها تحمل بضائع مسروقة وانتهت القصة بهذه الخاتمة السارة . أما الولدان فقد زار مفتش البوليس بعد أيام مدرستهما ويحضور زملائهما فيها وجه اليهما الشكر نيابة عنى وقدم اليهما هدية صغيرة تقديرا لحسن عملهما .

وغرفة الاستعلامات تقع فى أسفل مبنى اسكتلند يارد وهى مركز لجهاز البلاغات الواردة الى بوليس العاصمة ويتصل مركز التجمع بجهاز تليفونى خاص مع جميع مراكز البوليس وصناديق البوليس والتليفونات. المقامة على الاعمة ، ويوجد ٤٠٠ صندوق بوليس زرقاء اللون مقامة على أعمدة تليفونات فى جميع أنحاء لندن ويتصل كل منها بخط يتصل مباشرة بالجهة المحلية التابع اليها ، وبواسطتها يستطيع ضابط الدرك أن يبلغ عن أى أمر يحتاج الى عناية أو يمكن استدعاء البوليس بواسطة وميض الضوء فى أعلى الصناديق . وغرفة الإستعلامات هى الأخرى مركز شبكة « الآلة الكاتبة عن بعد » وتمتد الى كل قسم وفرقة ومحطة بوليسية وجراج القسم ويستطاع بهذه الشبكة أن يذاع المطلوب بالراديو فى وقت واحد على مساحة غاية فى الاتساع ان احتاج الامر وتمتاز بتجهيزها بالآلة تسجيل على الآلة الكاتبة ما تلتقاه من رسائل .

وسر نجاح غرفة الاستعلامات هو فى اتصالها السريع باللاسلكى، المزدوج بمائة وسبع عشرة سيارة لاسلكية فى كل منها كونستابلان أو أكثر تقوم بأعمال الدورية فى كل قسم طوال الاربع والعشرين ساعة ، واتصالها أيضا بشبان وأربعين سيارة مرور وفرقة حوادث وموتوسيكلات، وباتصالها بالمشآت النهرية لقسم التيمز وباتصالها أخيرا بسيارات حرف (ك) التى ليس من السهل حساباتها سيارات بوليس ، وكذلك اتصالها بمربات أخرى تابعة للفرقة الطائرة لإدارة المباحث الجنائية .

ويجرى العمل بغرفة الاستعلامات ليلا ونهارا بواسطة ضباط ذوى خبرة طويلة فى أعمال البوليس وينهال عليهم فيض من الاشارات مرسله من محطات البوليس ، وبوليس الدركات ، ومن بوليس السيارات والموتوسيكلات والسفن النهرية ، ومن أفراد الجمهور المبلين بواسطة ٩٩٩ . ويوجد على أربع موائد يملوها زجاج فى غرفة الاستعلامات خرائط-

ذات مقياس كبير لاقسام بوليس العاصمة مؤشر عليها بعلامات ذات اشكال والوان مختلفة تمثل جميع العربات والقوابر المكلفة بالاعمال البوليسية، وعندما تستدعى احداها وترسل في مهمة أو تعطل بسبب ما توضع عليها حلقة ملونة حتى أن الضباط الموجودين بغرفة الاستعلامات يرون لأول نظرة أى الوحدات يمكن استدعاؤها ، وأيها أقرب الى المكان الذى يراد أن ينقل اليه رجال البوليس وبمثل ذلك يمكن توجيه فرق المرور وفرق الحوادث الى الاماكن التى تستدعى العناية بها لوقوع حوادث فيها أو غارات سطو وعند سنة ١٩٥١ جهز عدد من الموتوسيكلات للاستجابة الى النداءات اللاسلكية التى تصدر من غرفة الاستعلامات .

وعندما يتوقع حدوث تجمعات أو اشتداد حركة المرور كما يحدث فى حفلات العزبي أو حفلات التتويج تستخدم بعض أو كل العربات المخصصة للمواصلات ، وبها يستطيع الضباط المتوبون أن يحصلوا من غرفة المراقبة المخصصة لمثل هذه المناسبات على صورة وافية بما يجرى فى دائرة اختصاصهم ويمكن طلب المعونة اذا احتاج الامر الى ذلك .

وجاء استخدام الراديو « السائر - الحاكى » بنتائج طيبة فى تعزيز عربات المواصلات ودوريات المرور فى الايام المليئة بالفصل ، أو لنداء الاحتياطى عندما تنذر القوضى بسوء المصير ، وكذلك عندما تراقب ادارة المباحث الجنائية دورا ينتظر أن ترتكب فيها جريمة ، ففى بعض الاحيان يكلف أحد الضباط المزودين بالجهاز «السائر-الحاكى» بالمراقبة ، ولا تستدعى الفرقة الرئيسية الى محل الحادث الا عندما يحين الوقت المناسب لحضورها .

حدث فى ابريل سنة ١٩٥٣ تصادم بين قطارين من القطارات التى تسير تحت الارض فى نفق بين محطتى « سترانفورد ولايتون » وقتل عشرة اشخاص واصيب خمسون بجروح خطيرة وبواسطة غرفة الاستعلامات فى اسكتلنديارد استدعيت فرق الطافى وعربات الاسعاف من لندن واسكس وروست هام ، واسرع بوليس فرقة (ك) بالعمل فنقلوا مرضات واطباء واجهزة الى محل الحادث وقد اتخذ البوليس العدة لاستعمال الجهاز «السائر - الحاكى» ، ولو أنه نظرا لكمية المعدن التى بالنفق فقد كانت الاشارات الى مسافات قصيرة نسبيا وظل العمل قائما بحالة مرضية طوال الليل حتى ظهر الخط فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى .

ما من يوم يمر الا ويزداد اعجابى بغرفة الاستعلامات وهى تمارس عملها ، ففى أحد أطراف هذه الغرفة الطويلة الخضراء البيضاء حيث توجد

لوحة خطوط تليفونات لاستقبال نداءات ٩٩٩ ، وحيث يوجد فى الطرف الآخر سبيل لا ينقطع من الرسائل الصادرة عن محطة الاذاعة (م ٢ ج و) - وهذا هو اسم غرفة الاستعلامات - والمرسلة الى السيارات والسفن التابعة لاقسام البوليس .

ويرجع الفضل فى بعض أعمال الضبط الحاذقة الى رجال غرفة الاستعلامات وسيارات اللاسلكى . فمثلا ظهر فى أحد الايام من مارس سنة ١٩٥٠ أن وصلت اشارة عاجلة من تليفون « سبيدول » تنبيه بانها تلقت من « هولدر جرين » طلبا باستدعاء البوليس اليها ، فاتجهت سيارة اللاسلكى وسيارة حرف (ك) الى المكان ، وكان رجال سيارة اللاسلكى اول من وصل الى مكان الحادث فوجدوا أن ثلاثة رجال اقتحموا للمنزل حيث قيدوا الخادمة وكموا فيها ، وبعد أن سرقوا بعض المتاع فروا هاربين ، وعرفت اوصاف المتهمين وأجرى البوليس تفتيش المنطقة . وفى خلال عشرين دقيقة قبض على اثنين من اللصوص وبعد بحث طويل قام به رجال سيارة أخرى حرف (ك) وجدوا الثالث . وفى حادث آخر وردت اشارة من خفي « سترانفورد » يبلغ فيها أنه يشتبه فى سلوك سائق سيارة دائمة الانتظار خارج المصنع فوصلت سيارة البوليس اللاسلكية فلم تجد بالسيارة أحدا ولما كانت رخصة الضريبة التي على السيارة يظن أن بها تغييرا فقد أبلغ الضابط رقم الآلة المحركة والشاسيه الى غرفة الاستعلامات بالتليفون الأذاعى لمراجعتها ، وبعد دقائق قليلة أجابت غرفة الاستعلامات بأن السيارة مسروقة وأن الرقم الموضوع عليها ليس لها فوضعت تحت رقابة البوليس حتى عاد السائق واعترف بأنه سرقها من بيكادلى .

وتوجد بطبيعة الحال حوادث لمطاردة السيارات كثيرة دائما وتقع عادة فى الليل وعلى طول شوارع لندن الخالية من الناس ، وربما كان أشهر حوادث المطاردة هو ما جاء بتقرير بوليس « سرى » عن لصوص اقتحموا نادى «جولف» قريبا من لندن وسرقوا منه كمية كبيرة من الويسكى وأرسل فى الحال تنبيه لاسلكى الى جميع سيارات البوليس فى جنوب غربى لندن ، وبعد دقائق قليلة أبلغ رجال سيارة لاسلكية أنهم شاهدوا سيارة سوداء ( صالون ) تتفق مع الاوصاف المعطاة وأنهم يتعقبونها متجهين شمالا فى الطريق الرئيسى المضى من « ستينز » الى لندن ، وعندما وصلت هذه الاشارة صدرت الأوامر الى سيارتين من سيارات اللاسلكى بأن تحاولا اعتراض السيارة السوداء ، وأثناء ذلك شعر اللصوص بتعقب

البوليس فزادوا سرعتهم ولا وجدوا أنه يستحيل عليهم الهرب من سيارة البوليس أخفوا في قنف رجالها بزجاجات الويسكي بقصد كسر الزجاج الأمامي لسيارة البوليس ولكنهم أخطأوا الهدف ، ولما ظهرت أمامهم سيارة البوليس المتترضستان مالوا بالعربة لكي يفادوها فاصطدموا بعمود التلغراف وانتهت بذلك هذه المطاردة المثيرة .

ولبيان مقدار العمل الذي قامت به غرفة الاستعلامات خلال شهر يونيو سنة ١٩٥٣ نذكر أن ١٢٠٣٠ نداء وصلت من مراكز البوليس ١٤٢٦ من ضباط البوليس ولا أقل من ١٠٠٨٩ من أفراد الجمهور وهذه الأرقام ذات دلالة واضحة على الطريقة التي أمكن بها الاتصالات السريعة بين البوليس الميكانيكي والجمهور اليقظ ليساعدوا قوات البوليس الصغيرة نسبيا في تادية واجبها في سنوات ما بعد الحرب عندما زادت الجرائم زيادة مفزعة والتي استغل فيها المجرم الوسائل الحديثة في التحرك السريع .

وطريقة الاتصالات هذه امتدت الى ما وراء البحار بواسطة اللجنة الدولية للبوليس الجنائي وهي لجنة تمثل البوليس في نحو خمسين دولة ينوب عنها مديرو وضباط المباحث الجنائية فيها ، ولهذه اللجنة شبكة لاسلكية تبدأ من باريس وتشمل جميع الدول الأوروبية الخارجة عن الستار الحديدي ، ويمكن بواسطتها أن ترسل على وجه السرعة الاستفتاءات والاستعلامات وتنتشر سكرتارية اللجنة بانتظام البيانات المتعلقة بالمجرمين البوليين . وكان نتيجة لذلك أن وقع كثير منهم في أيدي البوليس ، ولهذه اللجنة فرع خاص في هولندا مختص بمسائل التزوير والتقليد .

وقد استطاع بمساعدة ادارات البوليس الوطنية أن يكون مجموعة كاملة لكل أنواع تزوير العملة وتقليدها وبهذه الطريقة أمكن الحد من نشاط المصاببات التي تقوم بتزييف الأوراق النقدية وأصبح بوليس مختلف الدول التي يعنىها الامر قادرا على الاشتراك في مكافحة هذه التجارة غير المشروعة .

وفي بلادنا هذه يقوم رجال اسكتلنديارد بدور البوليس الوطنى المحلي والبوليس الوطنى المركزى نيابة عن جميع قوات البوليس ، ولذلك فإن غرفة الاستعلامات على اتصال مستمر مع باريس وعدد الرسائل المتبادلة بينهما أخذ في الزيادة المستمرة سنويا منذ الحرب وقد بلغت في سنة ١٩٥٢ نحو ألفى رسالة .

ومن الشواهد البارزة على تعاون الاهالى مع البوليس ما تشتمل عليه



مجلات لجنة الانتخاب التي تمنح ميدالية « بنى » • ففي كل عام تقدم تقارير البوليس عن أعمال الشجاعة التي يقوم بها المدنيون تأييدا للقانون والنظام ، وهي مكونة من حكماداري المدينة والعاصمة وكبير القضاة وأحد كبار ضباط البحرية ومندوب عن شركة «جولد سمث» المحينة لأمانة صنلوق المؤسسة ، وقد أخذ عدد الحالات المعروضة في الازدياد سنة بعد أخرى ؛ وقد بلغ تأثير اللجنة بمستوى الشجاعة الذي تضمنته الحوادث أن قرر بناء على اقتراح اللورد ماونتيباتن الذي كان عضوا باللجنة أن تصدر شهادات لرجال وسيدات قاموا بأعمال أظهرت المستوى المطلوب من الشجاعة ، ولكن لم تبلغ درجة استحقاق الميدالية • وقد منح منذ ذلك الحين ثلاثون ميدالية من بينها ست لسيدات !!

وفي سنة ١٩٥٠ منحت ميدالية « بنى » الى « مستر توماس تمبل ، أحد سكان « بجن هل » • ففي ليلة ٢٧ من سبتمبر استيقظ مستر تمبل قبيل الساعة الواحدة على صوت جرس تنبيه خاص مركب ضد السرقة في حانوت مجاور للحانوت الذي يديره فاستدعى البوليس المحلي وبعض عمال المحل وارتدى ملابسه وخرج الى الشارع وفي هذه اللحظة وصل البوليس ، وبعد مكالمة سريعة للمبنى دخل مستر تمبل واحد الكونستابلات وترك الآخرين للمراقبة من الخارج ، وبينما كان المستر تمبل يقترب هو والكونستابل من المكتب بالطابق الأول خرج منه أحد الرجال وشهر مسدسه وأطلقه نحوهما ثم لحق به في الحال رجل آخر وجريا مما من المكتب واختفيا في أحد الاركان • أما تمبل ورجل البوليس فلم يابها باطلاق النار واستمرا في تعقبهما واشتبك رجل البوليس مع اللص الثاني وإذا باللص الأول يتحول ويطلق رصاصتين أخريين أصابت أحدهما الكونستابل ثم هبط اللصان السلم وفي أثرهما مستر تمبل •

افترق الرجلان ثم سمع تمبل صوت زجاج يتهشم فاستنتج تمبل من ذلك أن رجل البوليس الذي يحرس المبنى من الخارج تمكن من القبض على أحدهما فعاد مستر تمبل الى الكونستابل الجريح ليقوم بمساعدته فوجده راقدا على الأرض وفوق رأسه يقف اللص الثاني ، وتناول مستر تمبل قطعة ثقيلة من الخشب واستطاع أن يبعد اللص عن الكونستابل وحاصره في ركن من المبنى الى أن وصل اليه المدد •

قابلت عدة مرات في شتاء سنة ١٩٥١ الفائزة بميدالية « بنى » وهي «مزر «فيليس هولمان ريتشاردز» انهاسيدة نحيفة القوام متوسطة السن

والطول ، ليست بنيتها بنية فضال ، وفي صباح ١٧ من ابريل حاول رجلان مسلحان بقضيتين حديدين ثقيلين ان يهشما ويسرقا محل تاجر مجوهرات في شارع سلون فحطم احدهما نافذة المحل ووقف الثاني يربق الطريق في الخارج وانتظر ثالث على مقربة في سيارة مسروقة وتصادف وجود أحد رجال البوليس الرسميين قريبا من المكان فاشتبك في الحال مع اللص الذي كان في نافذة المحل . ورأى اللص الثاني ما وقع فأسرع الى مساعدة زميله وتضاfer اللصان على مهاجمة رجل البوليس والاعتداء عليه بالثقبان الحديدية .

في هذه اللحظة كانت مسز ريتشاردز تغادر الاتوبيس على مسافة قريبة من مكان الحادث فاستغاثت وجرت نحو اللص الثاني وقبضت على ذراعه لتمنع اعتدائه على ضابط البوليس مرة أخرى ومع أنها كانت عرضة لنظر الإصابة فقد تطلعت به في اصرار الى أن وصل مدد من البوليس وقبض على اللصين ، وعندما قدما للمحاكمة اتى القاضي على مسز ريتشاردز فكان تعليقها أنه أعطيت أهمية مبالغ فيها لما قامت به فهي لم تفعل أكثر من أنها أسرعت فجرت عندما رأت ما يحدث ، فحيال امرأة كهذه لا يرى الرجل المجرم داعيا لمنزلتها .

ومن يدور عن تخدمهن قوة بوليسية لا مثيل لها ، وفي كل عام خلال مدة مباشرتي أعمال الحكماء كان يفد الى اسكتلنديارد زوار من قوات البوليس في سائر انحاء العالم ليروا ويدرسوا نظام بوليس العاصمة ، وكان بعضهم يأتي ولا غرض له الا الاستعلام عما يعدونه سرا للعلاقات الطيبة القائمة بين بوليس العاصمة وأهالي لندن ، ففي بلادهم كثيرا ما ينظر الى رجل البوليس كأنه من طبقة منفصلة ان لم ينظر اليه كعدو لرجل الشارع .

انهم يتساءلون كيف بلغ رجل البوليس تلك المكانة المرموقة بين مواطنيه الذين يحترمون القانون ويعلمونه صديقا ومعينا ؟ .

كان جوابي دائما أن هذه العلاقة لا تتم بين يوم وليلة ، وان ماوضع ماين وروان « من مبادئ كان واجبا أن يوضع منذ قرن مضى ، فالأجيال المتساقبة من مجندى البوليس كانوا ينشأون في المدرسة على أن يعدوا أنفسهم خدما للجمهور لاسادة ، وكانوا يتعلمون أن واجبههم يقتضيهم أن يكونوا متصفين عندما يقنعون أحد المجرمين في قضية أمام المحكمة ، وأن واجبههم ينتهى قبل التهم بمجرد وضع القضية بين يدي المحكمة . ويجب ألا يهتموا بعد ذلك بما تصدره المحكمة من أحكام واذا كان

لديهم ما يقولونه ضد المتهم فيتحتم عليهم ألا يخضوه عن المحكمة بعد الاتهام ، وإذا ظهر لهم أثناء التحقيق دليل في مصلحة المتهم بلفوه بطبيعة الحال الى الدفاع عن المتهم .

وتدليلا على الدقة التي تتبع لتجنب أى إجحاف فنذكر الحادثة التالية وهي ليست فريدة في نوعها .

بعد بضعة أشهر من فرض قيود عدم الانتظار في لندن ، وهي القيود التي تعد من المخالفات انتظار السيارات في شوارع وضع على مصاييح اضاءته شريط أصفر ، أو في مسافة الخمس عشرة ياردة . الأولى من الشوارع الجانبية الموصلة إلى الشارع ذي الشريط الأصفر وجد أنه حصل خطأ في تحديد المساحة الممنوعة من الشوارع الجانبية فزيدت المسافة عدة ياردات فأمتدعى عدد من سائقي السيارات وأدين بعضهم على أنهم انتظروا بسياراتهم في المناطق الممنوعة وإن كانت في الواقع أبعد عن المسافة التي تقضى بها التعليمات فصدرت في الحال التعليمات بدراسة ملف كل قضية فإذا كان الاتهام لم يوجه بعد سحب القضية ، أما إذا كان قد صدر قرار بالإدانة فكانوا يتوجهون إلى وزير الداخلية بأن يمتنحوا عفوا شاملا فكان يصدر العفو .

كثيرا ما يصف المجرمون رجال البوليس بأنهم وحوش لا أقل ولا أكثر ، تملأ كما يصف التلميذ ناظر مدرسته ، وهم من سجنين قضى عقوبة السجن فشمع بأنه مدين لضابط البوليس الذي قاده إلى المحاكمة فكان ذلك باعثا ليمود إلى ميدان العمل .

في أيرلندا قبل المعاهدة وفي الملايو أخيرا رأينا الصعوبات التي يلقيها رجال البوليس إذا ما أحاط بهم أهال معادون أو واقفون تحت سلطان الخوف منهم لأنه لا توجد قوة لا يستنهبها الرأي العام تأمل أن تتجس في أداء عملها وهي تحتاج إلى وقت طويل لكي تكتسب هذه الثقة ولكن هذه الثقة سريعة الزوال إذا جانب التوفيق عددا ولو قليلا من رجال البوليس بأن تملكهم الفروور والجرفة وجانبوا الحكمة والصواب ورجال البوليس أقدر من غيرهم على معرفة ذلك ، وهم أول من ينتقمون لمسلك من ينال من سمعتهم ، ونتيجة لهذه الاعتبارات يقولون دائما على مساعدة الجمهور في المحافظة على الأمن العام .



الفصل التاسع

قضية هيج



اختفاء مسز « ديوران ديكون » - ثقة هيچ بنفسه -  
أقوال هيچ الاولى - تعقب مجوهرات مسز «ديوران ديكون» .  
اعتراف هيچ بأنه أتلّفها بالأحماض - القاء القبض عليه  
واعترافه بارتكاب خمس حوادث قتل أخرى- مقالات الصحف  
تؤثر في المحاكمة - محاكمة صحفى لعدم احترامه المحكمة -  
محاكمة « هيچ » وإدانته - قواعد ماكنتون - اقتراح استبدال  
عقوبة الاعدام .

في احدى القضايا الشهيرة التي وقعت في خلال مدة  
خدمتي كمحكمة سببت الصحافة لاسكتلنديارد كثيرا من  
القلق حتى أننا في احدى المراحل كدنا نتخلى عن اتهامنا  
الرئيسي في قضية « لجون جورج هيچ » .

كانت قضية قتل « هيچ » لمسز « ديوران ديكون » من  
اشنع ما واجه اسكتلنديارد ، وكان من أعجب انظواهر فيها  
التناقض بين طريقة « هيچ » المحكمة في اتلاف الجثة وافراطه  
في الثقة بنفسه بشير مبرر ، فلم ير المتهم نفسه في حاجة  
لأخفاء تحركاته أو غنائم جريمته . ومن المأثور أن المجرم  
مهما توخى الحذر فقد يفشل عن شيء تافه قد يكون هو أس  
البلاء ومصباح الاتهام ، ولكنه في هذه القضية لم يكن الامر  
أمر نسيان وقد شجعه نجاحه الماضي فيما ارتكب من اجرام ،  
وظن أنه حيث لا توجد جثة قتيل فلا يتيسر توجيه تهمة  
القتل ، وعلى ذلك ترك هيچ في ازدراء سلسلة من الآثار لابد  
من أن تدينه إذا التقطت وشرع في التحقيق ، فضلا على ذلك  
فقد أخذ على نفسه أن يبدأ في التحقيق فعلا ، وحصل أنه في  
حوالي الثانية بعد ظهر يوم ١٨ من فبراير ١٩٤٩ أخبرت مسز  
« ديوران ديكون » وهي سيدة في الستين من عمرها قضت

بعض الوقت في فندق « اونسيلوكورت » في سوث كنستيجتون - صديقها مسز «لين» أنها ذاهبة لمقابلة مستر « هيج » وقالت « انى ذاهبة الى بيته حيث يجرى تجارب على أشياء مختلفة » .

ومنذ ذلك الوقت اختفت عن الاعين ولم يرها أحد .

وفى اليوم التالى لاختفائها توجه « هيج » نفسه الى مسز لين فى الفندق ، وسأل عما اذا كانت مسز ديوران ديكون مريضة ، وقال انى كنت أنتظر أن أنقلها بسيارتى من مخازن الجيش والبحرية ولكنها لم تف بوعدها فانصرفت بعد أن بلغت الساعة الرابعة الا خمسا وعشرين دقيقة .

وعاد يسأل عنها فى اليوم التالى ، ولما أخبرته مسز لين أنها اعترمت ابلاغ الامر الى البوليس . قال هيج : يحسن بنا أن نتوجه معا وفلا ذهبنا الى بوليس « سلسى » حيث ألح هيج أن يثبت اسمه .

وفى ٢١ من فبراير كلفت الجاويشة البوليسية «لامبورن» أن تقوم بالتحريات المعتادة عن الفاتبة وهى من الكثرات المبلغ عن اختفائهن ، ولم نسفر التحريات عن جديد . ومع ذلك فقد قابلت الجاويشة «لامبورن» المدعو هيج مسترشدة بالحاسة السابعة التى يتمتع بها رجل البوليس الثمين أو المرأة البوليسية الذكية وأبلغت رؤساءها أنها ترى أن فى هذا الاختفاء أمرا مريباً .

بعد أن وجه هيج الانظار تجاه شخصه لم يستطع أن يتجنب الانوار الكاشفة فقد قابله فى نفس هذا اليوم مفتش بوليس الفرقة وأخبره هيج أنه يعمل مديرا لشركة منتجات هرستلى ليمتد ، وهى شركة لها مصنع فى بلدة كرولى حيث يتوجه اليها مرة أو مرتين فى الاسبوع وانه تعرف الى مسز ديكون منذ ثلاث سنوات وعرض لها أثناء الحديث معه فكرة عن عمل نوع جديد من طلاء الاظافر ، وانه اقترح عليها انشاء صناعة لهذا الطلاء وانه على استعداد لمصاحبتها الى كرولى بعد ظهر يوم ١٨ من فبراير وكان البرنامج المتفق عليه أن يتقابلا فى منتصف الثالثة مساء عند مخازن الجيش والبحرية ، وقبل هذا الموعد رآها تقادر الفندق مرتدية قميصا سوداء ، وكساء أسود من الاستركان ، ويتدل من عنقها سلسلة بها صليب من نحاس أصفر ، وتحمل فى يدها حافظة حمراء من البلاستيك .

وطبقا لاقوال هيج تكون مسز «ديوران ديكون» قد أخلفت مرعدها معه وبعد أن انتظرها خوالى ساعة فى المكان المتفق ذهب وحده الى «كرولى»



ثم قسم بيانا عن تحركاته في كروى في هذا المساء وهو بيان اتضح فيما بعد أنه غير صحيح) •

استجوب هيج عدة مرات ، وفى يوم ٢٦ من فبراير بناء على طلب يوليس «شلسى» توجه أحد جاويزشيه رجال البوليس السرى فى « وست سكس» الى مخزن وفناء أحد البنائين فى شارع ليوبولد بمدينة كروى وكان هذا المخزن تابعا لشركة منتجات هرستلى فوجد ثلاث دمجانات تحتوى على مايشبه الاحماض ووجد حقيبة من الجلد وصندوقا كبيرا من الجلد للقبعات عليه حرف H وكان فى صندوق القبعات مسدس من عيار ٣٨ ر. من ذوات الست العيون ماركة انفيلد مع ثمانى رصاصات وأوراق بأسماء مسز روزالى الى مارى هندرسون ودكتور ارشيبالد هندرسون ودونالد ماكسون ووليم دونالد ماكسون وامى ماكسون وفى الحقيبة أوراق اخرى عليها أسماء افراد اسرة ماكسون وعقد باسم هيج وفى بطاقة التموين وجد ايصال مؤرخ ١٩ من فبراير من محلات تنظيف بمدينة «راى جيت» عن قراء عجمى •

سئل هيج عن هذا الايصال فى ذلك اليوم فقال انه خاص بكساء لمسز هندرسون وذكر موظفو محل التنظيف أن الكساء أحضره رجل فى ١٩ من فبراير ولما عرض الثوب على شقيقة مسز ديوران ديكون وعمل صديقتها تعرفنا على أنه الثوب الذى كانت ترتديه القابلة فلم يبق الا تحليل شك فى أنه ثوبها غير أن الشك تبدل باليقين عندما جاء تقرير فحص العمل الكيماوى باسكتلنديارد بدليل جديد فقد عثر على قطعة من نفس القماش بفرقة ديكون ووجد أيضا أن بعض حواف قطعة القماش تتفق مع حواف كم الثوب تمام الاتفاق كما وجدت قطعة أخرى بها اثر التآكل تنطبق على قطعة ماثلة من القماش استخدمت لاصلاح ذيل الثوب •

ونتيجة لمقالات نشرتها الصحف حول اختفاء مسز ديكون تقدم أحد أصحاب محلات الرهونات فى مدينة مورشام ببيان عن مجوهرات أحضرها له أحد الرجال فى ١٩ من فبراير ، ولما كان صاحب المحل غير موجود فقد ترك الرجل المجوهرات وعاد يوم ٢١ منه وقدرت قيمتها ببلغ ١٣١ جنيهها وكانت تتألف من خمسة خواتم وعقد من اللدائن ومشبك وحلقان ودبوس لرباط الرقبة من حجر كريم «عين القط» موضوع فى علبة حمراء وصفان من المزلو «المزروع» ومشبك من زمرد وماس ، ومع أن هذا الرجل انتحل لنفسه اسما غير اسمه فان عامل المحل تعرف عليه بأنه هو هيج المقيم فى خنلق «اونسلو كورت» وانه تعامل معه فى سنة ١٩٤٨ •

فى اليوم التالى بعد أن بدأ البوليس فى تحرياته توجه هيج الى محل  
الرهونات وأعلن قبوله ١٠٠ جنيه ثمنا لبعض المجوهرات فدفع اليه فى  
ذلك اليوم ستون جنيهًا ، ثم أربعون أخرى فى اليوم التالى ، وقد تعرفت  
شقيقة مسز ديكون على هذه المجوهرات بأنها من ممتلكات أختها .

وبناء على ذلك طلب الى هيج أن يتوجه الى مركز بوليس « شلسى »  
وفى مساء ٢٦ من فبراير عاد مفتش بوليس مباحث الفرقة من هورشم  
واستجوبه فاعترف هيج بأن الثوب والمجوهرات كانت لمسز ديكون وحينما  
طلب اليه أن يقدم إيضاحًا قال :

« انها أسطورة طويلة قد تجر فى ذيلها الكثيرين » .

ولما ترك هيج مع المفتش وحدهما قال فى برود : اخبرنى ما هى  
مرض الافراج عن شخص ما من سجن «برود مور» ؟ .

فرفض المفتش أن يجيب عن سؤاله وعندئذ قال هيج : لو أخبرتك  
بالحقيقة لما صدقت ، انها أمن فى الخيال من أن تصلق !

وعندئذ حذر الضابط -

قال هيج : «انى أدرك كل هذا ، ان مسز ديكون ليست فى عداد  
الأحياء ، وانها اختفت تماما ولن يوجد لها أثر » . لقد قضت عليها الاحاض  
وستجدون بقاياها فى «ليوبولد رود» . وقد اتبعت نفس الطريقة مع  
أفراد أسرتي هندرسون وماكسون فاخفى كل أثر فكيف تستطيعون .  
أن تثبتوا على تهمة القتل اذا لم تجدوا الجثة !

حذر هيج مرة أخرى ثم قدم بيانًا مسهبًا سجله عليه بالكتابة مفتش  
الفرقة . وجاء فيه أن هيج ومسز ديكون توجهوا الى كرولى فى ١٨ من  
فبراير فى عربته ولما وصلا الى المخزن اطلق الرصاص على رأسها من الخلف  
أثناء ما كانت تفحص بعض الأوراق التى كانت تظن أن فيها ما يصلح  
فى صناعة طلاء الأظافر ، ثم أحدث جرحًا وخزيًا فى عنقها بمطوارة ، ثم  
جمع بعض دمها فى كوب وشربه ، وبمسد ذلك نزع ثوبها الاستركاند  
ومجوهراتها ووضع جثتها فى وعاء يسع ٤٥ جالونا ، ثم خرج ليشرب  
الشاي فى أحد مطاعم كرولى .

ولما انتهى من تناول الشاي عاد الى «ليوبولد رود» وتمكن بوساطة  
مضخة تدار بالقدم أن ينقل بعض حامض الكبريت من احصى الدمجانات  
الى الوعاء الكبير ثم تناول عشائه فى فندق «جورج» بناحية كرولى ثم عاد

الى «سوث كنسنتجون» فى اليوم الثانى وذهب مرة اخرى الى كرولى وفى الطريق باع ساعة مسز ديكون الى تاجر مجوهرات فى « بنتى » بمشرة جنيتها وعقب معاينة الوعاء فى «ليوبولد روده» ذهب الى محل الرهونات فى هورشام ومعه الجواهر حيث ترك معطف الاستركان «الفراء العجى» لتنظيفه فى «ريجيت» .

وفى يوم الاثنين ٢١ من فبراير عاد الى كرولى ، ولا وجد ان الجثة لم تنب تماما أفرغ ماذاب ونقل الى الوعاء كمية اضافية من الحامض بوساطة المضخة وبعد أن تم ذلك عاد لزيارة محل الرهونات وتسلم ستين جنيتها فى ذلك اليوم وتسلم أربعين أخرى فى اليوم التالى .

وفى يوم ٢٢ منه وجد أن جثة مسز ديكون قد تحللت فالتى نفايتها خارج المخزن ، وأما الشيء الوحيد الذى لم ينب فكان حافظة يدها الحمراء لمصنوعة من البلاستيك فالتقاها مع النفاية .

وقال ان النسيس الموجود بصندوق القبعات هو الذى استخدمه فى قتل مسز ديكون وأضاف الى ذلك أنه أخذ قلم حبر ونحو ثلاثين شلنا نقدا كانت فى حافظة يدها قبل أن يضعها فى الوعاء ، أما الصليب الذى كان على السلسلة التى كانت تتقلدها فقد دفنه فى الارض المجاورة لسور فى حارة بناحية «يكستد» هو وبعض المفايح التى أخذها من القتيلة ، وأخيرا قدم بياناً بحوادث القتل التى ارتكبها منذ سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٤٨ وكانت ضحاياه فعلا ثلاثة أشخاص هم ماكسون والدكتور هندرسون وزوجته .

وبذلك انتهت هذه التحقيقات التى تولاهها كونستابلات وست سكس وعندئذ طلب رئيس الكونستابلات بوست سكس معونة اسكتلنديارد ، وفى أول مارس فتش بوليس العاصمة فناء البناء ومخزن أدوية كيوبولد رود . فعثر فى المخزن على مبراة وقطعتين من السيلوفان الأحمر ومعطف وكمامة غاز وحقيبة ووزرة من المطاط وقفازين من المطاط وبعض بقع دموية على بياض الجدار وأخذ عينات من التمجانتين وكان لا يزال بهما سائل وأخذ من الفناء جردلا وعصا خشبية وبعض التربة وبقايا الجثة .

وفى مساء اليوم نفسه فتشت غرفة هيج فى فندق «اونسلو كودت» فعثر على قميص أزرق وجد على أكاماه مايشتبه فى أن تكون بقعا دموية وعينهما عرض على هيج قرر أنه له ووافق على أن النماه هى دماء مسز ديكون وقد سلمت هذه الأدوات الى مدير معمل اسكتلنديارد وأرسل هيج الى بوليس هورشام ووجهت اليه رسميا تهمة قتل مسز ديكون .

واختبر خبراء العمل البقايا والتربة التي أخفت من فناء كرولى  
موجودوا فيها مقبض حافظة حمراء من البلاستيك ، وأسنانا صناعية ،  
وثلاث حصوات من حصوات المראה ، وبعض شظايا من العظام البشرية .  
وكتلة من مادة صفراء تشبه دهن جسم مذاب . ويفحص الحصوات ظهر  
أنها لآدمي ، وكذلك العظام فانها عظام بشرية يغلب أن تكون لسيدة  
متقدمة فى السن وأثبت تقرير العمل وجود دماء على معطف الغراء ، وعلى  
أكمام القميص الازرق ، وعلى الوزرة الزرقاء وحقيبة كاماة الغاز وعلى  
بقع البياض وسكينة عثر عليها فى سيارة هيج .

وكانت على مضخة القدم آثار الدهن وحامض الكبريت ، وكذلك  
على القفازين المصنوعين من المطاط على باقى الاشياء التي وجدت بالفناء  
وتعرف طبيب الاسنان على الاسنان الصناعية التي وجدت وقرر انه  
صنعها لمسز ديكون كما أن العينات التي أخلت من الدمجانات احتوت  
أيضا على حامض الكبريت .

وفى اول مارس عثر على بطاقة فى غرفة هيج التي بالفندق ظهر  
منها أنه كان دبر بإحكام طريقة ارتكابه الجريمة فدون بها : برميل -  
دهان مدنى - طلعة تدابر بالقدم - قفازات - لوزة الخ . . . وبعض عناوين  
تجار أصناف معينة ثبت من التحريات أن هيج حصل منهم على الكبريت  
والبرميل الذى أذاب فيه الجثة .

ولما استجوب زميل هيج وهو المدير الآخر فى ادارة شركة منتجات  
هرستلى . صرح أنه بناء على طلب هيج منه نزع أحد ساقى احدى الطلمبات  
وكان هذا ضروريا لتنفيذ خطة هيج لأن الطلمبة اذا ما ظلت ساقها بها  
لا يتيسر ادخالها فى دمجانة الحامض وذكر شريك «هيج» أيضا أن «هيج»  
أعطاه فى ٢٢ من فبراير ستة وثلاثين جنيه كدفعة أولى من القرض الذى  
اقترضه منه فى ١٥ فبراير والبالغ قدره خمسين جنيه وفى ٢٢ من  
فبراير كان هيج تسلم ٦٠ جنيه من محل الرهونات عن بعض مجوهرات  
مسز ديكون .

وشهد شهود بأنهم رأوا هيج يقود سيارته فى كرولى مساء ١٨ من  
فبراير وتذكرت كاتبة فندق جورج أن امرأة عرفت أنها مسز ديكون من  
الصور الفوتوغرافية التى نشرتها الصحف قد زارت الفندق بضع دقائق  
بين الرابعة والخامسة فى مساء ذلك اليوم وأنها غادرت مع هيج فى عربة  
ثم عاد هيج الى الفندق حوالى التاسعة مساء وطلب منشقة وصابونة .

أما بيع ساعة مسز ديكون الى تاجر الجواهر فى بنتى فقد ايسء  
التحقيق وفى الثامن من مارس عشر على السلسلة ذات الصليب بوساطة  
أحد عمال المناجم تحت سور فى « بوكستد » كما وصفه هيج .

كنت أرقب باهتمام غريب ما يتمخض عنه يوميا هذا الحادث العجيب  
الذى بعد أن جرد من حواشيه أصبح قضية قتل صريحة وواضحة كاصليح  
وأوضح ما يرجوه الانسان فالتهم المقبوض عليه أدلى بأقوال تأيد منها كل  
تفصيل فى حاجة الى تأييد ومع ذلك فقد دخل الآن فى هذه القضية السافرة  
اشكال وهذا الاشكال هو الصحافة .

قبل القبض على هيج فى أول مارس ببضعة أيام نشرت الصحف  
مقالات توحى بأنه لم يكن مسئولاً عن قتل مسز ديكون فحسب وانما عن  
قتل عدد كبير غيرها واستمرت هذه المقالات حتى اليوم الذى اتهم فيه  
ولم يكن لدى المحكمة بيانات عن هيج الا اسمه وسنه وعمله واسم مسز  
ديكون . عندئذ أبلغت الصحف فى شدة أن نشر أى شىء آخر فى هذه  
المرحلة من القضية يحتمل أن يؤدى الى تهمة عدم احترام المحكمة وعلى  
الرغم من هذا التحذير نشرت بعض الصحف تقريراً رسمياً عن اجراءات  
محكمة البوليس وكان النشر فى الصفحات الداخلية من الجريدة فى حين  
ملأت صفحاتها الأمامية بتفصيلات عن عدد غفير من جرائم قتل مزعومة  
نسبتها الى هيج .

وفى مارس نشرت الصحف تقريراً قيل فيه ان اسكتلنديارد قائمة  
بتحقيق قضية شرب المتهم فيها دم قتلاه ، وتوالت على اسكتلنديارد  
احتجاجات الجمهور على نشر هذه التفصيلات كما وردت الينا طلبات من  
صحف أخرى للحصول على تأييد أو نفى هذا الحادث . والأدهى من ذلك  
فى نظرنا أن الادارة القضائية شغلت جدياً فى التفكير فيما اذا كان اتهام  
هيج بقتل مسز ديكون قد اعتوره تحيز أضاع من سير العدالة حتى أنه  
يمكن صرف النظر عنها كلية ؟

بناء على ذلك وزع « فيرنلي » ضابط الامتعلامات مذكرة سرية لجميع  
محررى الصحف بوساطة جمعية الصحافة يقول فيها ان البيان الوحيد فى  
هذا الموضوع قدم للبوليس بعد التحذير وفى قضية رهن القضاء وان هذا  
البيان قد يقدم على سبيل الشهادة وأن أية حكايات تمسها قد تضر  
بمحاكمة المتهم وزاد الضابط بموافقتى التامة التحذير المصوغ ، بالعبارة  
الشديدة الآتية :

« يرغب المحكمدار أن يوجه أنظار المحررين الى أن نشر محتويات هذا

البيان أو الإشارة إليه أمر غير جائز وسيكون دون شك محل نظر المحكمة التي تقاضى المتهم .

ومع ذلك فإن بعض الصحف لم تبال بهذا التحذير ففي ظهر هذه اليوم وزع «فيرنلي» مذكرة أخرى خاصة بنشر الصحف تفصيلات مزعومة في قضيتي هندرسون وماكون وأضاف إليها عبارة أشد تنص على أن النشر سيكون حتما محل عناية خاصة من المحكمة .

استمرت استعلامات الصحافة وفي الساعة السادسة مساء من ذلك اليوم صدرت مذكرة تقول ان بوليس العاصمة ليس لديه بيانات أخرى يعطيها .

وفي منتصف الليل تقريبا اتصل بي فيرنلي تليفونيا وكنت اثناء تناول العشاء في حفل عام وقال لي أنه يرى من الضروري أن يلجأ الى طريق غير مألوف بأن يصدر بأسمى مذكرة الى محرري الصحف يقول فيها في عزم :

« اني اشعر بأنه ليس من الصالح العام الاستمرار في التكهن باماكن مختلف الأشخاص القائمين الذين ترد أسماؤهم بالصحف وأي جديد في هذه المسائل ستبلغه ادارة اسكتلنديارد رسميا بالطرق المعتادة » وأخيرا كان لهذا الاجراء بعض الاثر وهدأت الصحافة قبل أن ترتكبن الخطأ مالا يمكن اصلاحه ولو أنه بقي علينا أن نقول أن أحد محرري الصحف قدم للمحاكمة بتهمة عدم احترام المحكمة وحكم عليه كبير القضاة بالحبس ثلاثة اشهر .

اما هيچ نفسه فحُكِمَ أمام محكمة جنائيات سكس أمام القاضي « همفريز » في ١٨ من يوليو وبعد محاكمة استغرقت يومين ثبتت ادانته وحكم عليه بالاعدام .

سلم الدفاع عنه بقتل مسز « ديكون » ولكنه حاول أن يدلل على أن ( هيچ ) لم يكن في وعيه وقت ارتكاب الجريمة ، وكان الشاهد الوحيد للدفاع رجلا من علماء النفس قال ان « هيچ » مصاب بمرض العظمة وأنه يعتقد أن المتهم ما كان يعلم أنه يرتكب خطأ حينما قتل مسز « ديكون » . ولكن عند المناقشة اعترف بأن « هيچ » وقت ارتكاب الجريمة لا بد أن كان يعتقد أن القانون يؤاخذ به ، ونظرا لهذا الاعتراف لم يجد النائب العام ما ينسب للاستشهاد بمن يفند أقواله .

وفضلا على اعتراف « هيچ » بقتل مسز « ديكون » فقد اعترف بقتل « دونالد ماكسون » في سنة ١٩٤٤ وكذلك بقتل والعي ماكسون في

سنة ١٩٤٥ فى الطابق الأرضى من منزل « بجلوستر رود » واعترف كذلك بقتل دكتور وسنز « ارشيبالد هندرسون » فى كرولى سنة ١٩٤٨ ، وذكر أنه تخلص من جثثهم بنفس الطريقة التى تخلص بها من جثة مسز « ديكون » وأيدت التحريات هذه الاعترافات وأثبتت أن الدافع له على الجريمة هو المال ، فبعدد من الايصالات المزورة وانتحال صفة الوكالة وضع يده على مساكن ضحاياهم وأموالهم وحساباتهم فى البنوك ثم باع ما يخصهم بهورشام وغيرها ، وأمكن تتبع بعض هذه الأشياء والتعرف عليها كلما وجدت بعض مقتنياتهم فى غرفته بفنلق «اونسلو كورت» وكان حريصا فى اختيار ضحاياهم بأن يكونوا من قليل الأصدقاء والأقارب وكان يبعدهم عن طريقه بوسائل مزورة وخطابات تبين سبب غياب الضحايا وحقه فى ادارة أعمالهم .

قد يبدو غريبا على الرغم من بعض الشكوك التى تظهر من وقت لآخر انه لم يتقدم أحد من أقارب أو أصدقاء الرجال والنساء المتوفين بإبداء شكوكهم الى اليوليسى ولولا أن اعتزازه بنفسه هو الذى دفعه للكشف عن أعماله فى قضية مسز « ديكون » لكان محتملا أن يظل اختفاء الضحايا الخمس محجوبا ، ولقد كان «هيج» يفخر بأنه تخلص أيضا بنفس الوسيلة من جثث ثلاثة أشخاص آخرين ولكن التحقيق الدقيق أثبت كذبه .

فى قضية « هيج » وفى قضايا أخرى مشهورة وقعت خلال مدة عمل كحكمदार وجه الانتقاد الى القواعد القضائية الخاصة « بالجنون القضائى » وهى القواعد المعروفة باسم قواعد « ماك نوتن » فكثيرا ما يقال إن الانسان يجب أن يكون فى غير وعيه حين ارتكابه جرائم قتل من النوع الذى ارتكبه « هيج » وهيت وكرميتى « وفى قضية « هيج » بنوع خاص فإنه لم يجشم نفسه عدم ترك سلسلة من الآثار التى تنم عليه والتى يصعب اغفالها واتخذت دليلا على شذوذه وأنه كان بحالة غير اعتيادية كاملة غير أن الحالة غير الاعتيادية ليس معناها الجنون ، فهل يوجد بيننا رجل فى حالة اعتيادية كاملة ؟! اذا قيل أن أى رجل عاقل لا يترك آثارا ظاهرة تنم على سوء أعماله فيجب ألا ننسى أن مجرمين ارتكبوا جرائم أقل خطورة قاموا بنفس الدور ولم يتقدم أحد ما للدفاع عنهم بحجة الجنون ولذلك قبض عليهم -

إن قواعد ماك نوتن لها امتياز كبير فى أنها بسيطة ومبسطة ، يستطيع أن يفهما المحكمون لأنه من الميسور أن يتقدم شهود يشهدون بأن السجين كان لا يعرف ما فعل وأن ما آتاه كان خطأ وهذه هى الأبنثلة

التي توجه الى المحكمين عادة ويكون الأمر على النقيض اذا ما أخذ بالدافع المفاجيء الذي لم يكن ممكنا مقاومته لأنه من ذا الذي يستطيع أن يقول أن الدافع لم يكن ممكنا مقاومته ؟ فكل الثابت أن السجين لم يقاوم وأن آراء أكبر علماء النفس شهرة في هذا الموضوع لا يمكن أن تزيد عن مجرد آراء وإذا اختلف الخبراء فإن للمحكمين أن يفصلوا بينهم ، وفضلا عما تقدم فإن مصير السجين لا يبت فيه نهائيا بالقرار الذي يتخذه المحكمون لأن كل حكم بالاعدام يراجع وزير الداخلية بمعاونة مستشاريه وكل عامل سواء كان العامل ظروف الجريمة أو الحالة الذهنية للمسجين يحسب حسابه قبل أن يتخذ قرار نهائى فى تأييد الحكم أو وقف تنفيذه .

وهذه الطريقة وإن كانت غير منطقية - وهل دار بخلد أحد أن يتهم الانجليز بأنهم منطقيون ؟! - فإن لها ما لكثير من النظم الانجليزية من مزايا من حيث أنها صالحة للعمل صلاحية تفوق الحد - وعلى ضوء معلوماتنا الحاضرة اظن أن من التعلل أن نتردد طويلا قبل أن ندخل أى تغيير على هذا النظام .

ومع ذلك فاني أود أن أرى تعديلا واحدا وهو ألا ينطق بحكم الاعدام كما توجه القوانين في حالات يعرف كل شخص له المام بهذه المسائل أن من المحقق أن الاعدام لن ينفذ ، واني أمام اللجنة المؤلفة للدرس موضوع عقوبة الاعدام اقترحت أن القاضي - كما هي الحال في القانون الجنائي الهندي - يكون له الخيار في اصدار حكم الاعدام أو السجن مدى الحياة في الحالات التي توجب حكم الاعدام ، ولم ترحب اللجنة بهذا الاقتراح واقترحت في تقريرها أن يكون حق الخيار هذا للمحكمين دونة . وقد نال هذا الاقتراح كثيرا من النقد وهو نقد أراه خطأ لأنه يدخل فكرة جديدة في القانون الانجليزى فالمحكمون الانجليز ينظر اليهم دائما على أنهم هيئة مكونة من اثني عشر رجلا من الاخيار الصادقين مهمتهم أن ينطقوا بالحكم بناء على ما بين أيديهم من حقائق ووقائع ولكن حتى في هذه الدائرة المحدودة عرف أن المحكمين كانوا يتأثرون باعتبارات عاطفية وأنه في موضوع اصدار الحكم بالاعدام يمكن أن يكون ثمة خطر حقيقى من أن تنعكس عواطفهم على ما يصدر من أحكام فلا تمثل ما تقتضيه العدالة . أما القاضي فيجب أن يكون بآمن من مثل هذا الضعف واني أجد من اليسير أن أفهم أن عيب اصدار القرارات - وقد حمله سنوات متعددة وزراء الداخلية المتعاقبون - يكون أشد وطأة على قاضى المحكمة العليا وبخاصة أن حق العفو سيكون معمولا به في كل حالة يوجد فيها سبب للرحمة .



الفصل العاشر

إدارة المباحث الجنائية



تنظيم ادارة المباحث الجنائية - رجل البوليس  
باسكتلنديارد - التجنيد والتدريب - مركبة « هيث رو »  
- تحريات روتينية - حادث قتيل « بلاك بيرن » - مقتل  
مسز « كرون » - استجواب القضاة للمتهم وقواعدهم -  
وصول البيانات - الشهادة أمام المحكمة - سوق سوداء في  
الحى الصينى .

ان الشهرة التى طبقت الآفاق بأن اسكتلنديارد  
مكتب تحريات سرية شهرة ضخمة لم تقف عند حد حتى  
أنها أثارت دهشتى عندما اكتشفت أن ادارة المباحث الجنائية  
ليست الا قسما صغيرا من بوليس العاصمة .

فمن بين المنظمة التى تتألف من ٢٠,٠٠٠ موظف تتكون  
ادارة المباحث الجنائية من ١٤٠٠ فقط أى أن حصة من  
الرجال هم الذين يضطلعون بكفاح الجريمة فى العاصمة  
ولأهميتهم القصوى عملت على أن تحتفظ هذه الادارة بعدد  
موظفيها كاملا على الرغم مما تمنيه من نقص فى عدد الرجال  
بل زودتها بمقدار ٢٠٠ رجل .

ولا يقتصر وجود ضباط ادارة المباحث على اسكتلنديارد  
فقط بل انهم موزعون تحت رئاسة مفتش مباحث الفرقة  
على كل قسم من أقسام بوليس العاصمة ويوجد فى المكتب  
الرئيسى للمباحث جماعة منتقاة من المخبرين القدامى تحت  
اشراف رئيس المراقبين ، وهم دائما مستعدون للتعرض بأعباء  
المباحث ذات الأهمية والصعوبة سواء فى العاصمة أو فى  
المديريات وعلى العموم فعادة يكون أحد ضباط المركز  
الرئيسى للمباحث معروفا لدى الجمهور الذى قد يجهل

بعضه اسم الحكمدار وهذا الضابط الذى تقرن الصحف اسمه فى عناوين القضايا المثيرة بعبارة « استدعيت فيه اسكتلنديارد » .

وجميع رؤساء الكونستابلات فى قوات بوليس المديريات لهم اداراتهم الخاصة بالمباحث الجنائية ، وهم بطبيعة الحال مستقلون تماما عن اسكتلنديارد ولكن من وقت لآخر يطلبون مساعدة أحد ضباط اسكتلنديارد معترفين بأن ما أتبع له من فرص اكتسب منها خبرة أكثر بكثير من ضابطى قوة بوليس مقاطعة أو قرية وهذه المساعدة المطلوبة تقدمها اسكتلنديارد دون مقابل ولا تضمن الإدارات الاقليمية بالاعتراف بقيمة ما أسدته اليها من عون . وإذا كان قد حصل فى يوم ما ما يشبه الخلاف بين بوليس المديريات وبين بوليس العاصمة فقد قضى على كل ما كان له من أهمية . وهذا النزاع كان له اثره السيئ فى كل الاحوال لانه ما لم تعمل القوات كلها يدا واحدة فلن يفيد من هذا الا المجرم . وكنت أبحث دائما عما يشجع التفاهم والتعاون بين القوتين وبهذا وجدت مساعدة جديده فى الموقف الذى وقفه رؤساء الكونستابلات ، وباختلاط ضباط القوات من جميع أنحاء البلاد فى كلية البوليس . وما لا شك فيه أن الاستعداد العظيم للتعاون مع اليوم لأقوى منه فى أى وقت مضى .

وإدارة المباحث نفسها أشبه ما تكون بالجامعة وهى وسيط مدهش للتعليم لأى شاب يستطيع أن يفيد منها، وسرعان ما يكتسب ضابط المباحث معلومات عامة أوسع مما يستطيعه أكثر الناس ، ويجمع الضباط القدامى خلال خدمتهم معلومات وفيرة عن جميع نواحي الحياة ، ويكتسبون القدرة على أن يندمجوا بسهولة فى جميع الأوساط وربما يصبحون متشككين قليلا ، ولكن بناء على خبرتى لم يفقد أحد منهم ثقته بالطبيعة البشرية ، وأنهم سريعا ما يشتمون القصة الرديئة ولكنهم سريعو التمييز للصادق منها وإن كان بعيدا عن التصديق .

وطبعي أن يطمح كثير من مجندى البوليس فى أن يلحقوا بإدارة المباحث ولكن ذلك لا يكون مباشرة وإنما ينبغى على كل مخبر أن يعمل بالدرك لمدة عامين مرتديا الملابس الرسمية فإذا أظهر استعدادا لأعمال المباحث فقد يعين مساعدا بمكتب المباحث فلا يرتدى الزى الرسمى ويلحق بالضباط النظاميين بإدارة المباحث فى فرقته حيث يمكن الحكم على صلاحيته فى حين هو يكتسب الخبرة العملية فى أعمال المباحث . فإذا وجد صالحا يرسل بعد حوالى عام الى لجنة اختبار فى المراكز الرئيسية فإذا اختير عين بإدارة المباحث ويقضى اثنى عشر شهرا تحت التجربة وفى بداية

هذه المدة يرسل الى مدرسة تدريب رجال المباحث في « هندون » ومدة الدراسة بها عشرة أسابيع وأخيرا يعقد له امتحان فإذا نجح فيه عين عضوا فيما يسميه الضباط « بأدارتهم » مع التسامح في نسبة ادارة المباحث الى أنفسهم ولا يخفى ما في ذلك من المفارقة .

ومنذ ذلك الحين تبدأ حياته تختلف عن حياة زملائه الرسميين فقد يعين في المكاتب الرئيسية ، اما في المكتب المركزي ، واما في احدى ادارات التخصص كمكتب احصاء المجرمين أو تسجيل البصمات أو يعين بأحدى الفرق الخاصة .

وتنتهي أعمال المناوبات له غير أن ساعات عمله لن يحددها بعد ذلك الا مقتضيات الأحوال فلن يكون له وقت راحة معين ولا يتقاضى مكافأة عن عمل اضافي وانما يعطى علاوة مباحث محددة تعوضا عن ساعات العمل الطويلة غير المنتظمة . اما مكافآته الحقيقية فقد أجمع الكل على انها هي تلك الحياة المتنوعة التي تستغرق من صاحبها كل الاهتمام وسيجد نفسه وهو يتفق أسبابا كثيرة مفضية في تتبع وبناء سرقة مصابيح دراجات من مخزن دراجات ومن ناحية أخرى يكون منهمكا في مثل القضية التي أصبحت تعرف بمعركة « هيث رو » . ولا بأس من أن نصف على سبيل المثال السلطة الواسعة التي يستطيع بها مفتش المباحث في الفرقة أن يمارس عمله طبقا لتقارير الصحف في ذلك الوقت كان ينسب نجاحه الى الفرقة الطائرة التي هي بالنسبة لادارة المباحث الجنائية بمثابة ادارة المباحث الجنائية لضابط الدرك أي أنها مسائل تسودها الفقرة الاخوية فالفرقة الطائرة تقف بلا شك مساعدات قيمة الا أن معركة « هيث رو » كانت اول انتصار أحرزه مفتش مباحث الفرقة الطائرة والذين ياتمرون بأمره .

حوالي منتصف يوليو سنة ١٩٤٨ تلقى مفتش المباحث بالفرقة واسمه « روبرتس » بلاغا من الفرقة بأن عصابة من مجرمين خطرين وضعت خطة للاغارة على مخزن الاستيداع في ميناء لندن الجوى حيث تخزن دائما بضائع مرتفعة القيمة جدا ، وكانت الخطة أن يوضع مخدر في شاي القصف المعد لموظفي نقابة الفرق الجوية فيما وراء البحار وهم الموظفون اليهود اليهم حراسة المخازن ، وبعد ذلك يسرق اللصوص محتويات المخازن مستعملين القوة اذا دعت الحال . وكان المنتظر أن ينهض أحد رؤساء المفتشين المجرمين بادارة المباحث بعبه مثل هذه القضية وحده فقام روبرتس بإبلاغ رئيس المراقبين الأمر فرد عليه بأن يتخذ من التدابير ما تستلزمه الظروف ، فلما وجد أن ليس لديه من فرقته العدد

الكافي من الرجال لمواجهة غارة بهذا الحجم طلب مساعدة الفرقة الطائرة. وعقد اجتماع ضم ممثلين للبوليس وممثلين لشركة الطيران البريطانية ورسمت خطة مضادة لخطة هجوم النصابة .

علم ه. روبرتس ، أن الغارة كان مقررا القيام بها في الليلة الواقعة بين يومى ٢٨ و ٢٩ من يوليو اذ كان مقررا ان تصل بطريق الجو رسالة سبائك قيمتها مليون دولار ، وفضلا على هذا فقد كان بالمخازن من قبلها بضائع تقدر قيمتها بنصف مليون جنيه وكان المخزن عبارة عن حظيرة للطائرات على بعد ثمانين ياردة داخل البناء الجوى فى مواجهة المدخل الرئيسى « لبث رود » وكان الدخول اليه بوساطة بابين كبيرين منزلقين للجانبين فى احدهما طاقة صغيرة .

وبعد الساعة العاشرة بقليل فى الليلة المحددة للاغارة تجمع ضباط البوليس فى جزء آخر من الميناء الجوى ، وقسموا أنفسهم قسمين قسما يتوجه الى داخل الحظيرة والآخر يبقى خارجها ، والفرقة الأولى المكونة من عشرة رجال اختفت فى عربة مملوكة لشركة الطيران ونقلت الى المخزن وكانت تتألف من ثلاثة ضباط قد تطوعوا فى الحلول محل ضابط الأمن التابع للشركة واثنين من الحمالين كان عليهما نوبة العمل فى مخازن الاستيداع تلك الليلة فتزوا بزي الشركة وكان الدور الذى يلعبونه هو ان يتصرفوا كما لو كانوا تحت تأثير المخدر عندما تعلن الاشارة المنبثة بوصول المفجرين وأن يتحملوا النتائج التى ترقب على تمثيلهم هذا الدور ، أما السبعة الضباط الباقون فقد اختفوا فى أماكن متعددة داخل مخزن الاستيداع وانتظروا وصول اللصوص .

وفى خارج المخزن وعلى بعد عشرين ياردة منه اختفى ضباط آخرون. فى عربة أخرى خاصة بشركة الطيران مزودين بتعليمات تقضى بأنه اذا رجعت احدى العربات غير المرخص لها الى بوابتى مخزن الاستيداع كان عليهم أن يعكسوا عربتهم لكى تمنع حرب تلك العربة ويكون عليهم حينئذ المساعدة فى القاء القبض على من بالعربة اذا حاولوا الفرار . وأوقفت عربات بوليس أخرى فى مواقع استراتيجية حول الميناء الجوى لتعترض سبيل كل عربة ركوب أو عربة نقل مسروقة يمكن أن يلجأ اليها اللصوص. فى محاولة الهرب .

وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف كانت جميع قوات البوليس فى أماكنها وأخذت الدقائق تمر وأخذ التوتر يزداد فى أقصى ما يتصوره الانسان ، حتى قبيل الساعة الواحدة اذ وصلت عربة كبيرة مغطاة الى

دليناء الجوى واستدارت عندما بلغت مخازن الاستيداع ثم توجه نحو المخازن سبعة رجال كلهم مقنعون ويحملون الهراوات الضخمة فى حين اتخذ السائق مقعده بجوار الباب مرتديا ملابس زرقاء مما يلبسه البحارة ويضع فوق رأسه قبعة من قبعات شركة الطيران ويحمل اليد الحديدية التى تدار بها السيارة « الماتيفلا » .

ورأى الضباط المنتظرون فى الداخل رجلين مقنعين يدخلان وبعد ان ألقي نظرة سريعة حولهما غادرا المكان وعادا فى الحال ومعهما خمسة رجال آخرون كان يحمل أحدهم قضيبا حديديا ويحمل الآخرون الهراوات وكانوا جميعا يرتدون فى أيديهم قفازات ودخل اثنان منهم مكتب المخازن حيث وجدا رجال البوليس الثلاثة مرتدين ملابس رجال شركة الطيران ويبتغسون بصعوبة كما لو كانوا شربوا حقيقة الشئى المختر . وبمنتهى الهدوء استمر الضباط يتصنعون الاعمى فى حين كان اللسان يقيدانهم بالحبال ويلصقون شفاههم بالشريط اللاصق وأصيب أحد الضباط من ركلة عنيفة بإصابة خلف رأسه وكان السبب فى ذلك هو رغبة اللصوص فى أن يتحققوا من فقدانهم الشعور وعلى الرغم من الألم الذى قاساه فإنه لم يبد ما يدل على أنه كان متصنعا وبعد أن تخلص اللسان من الضباط الثلاثة وسرقا منهم مفاتيح الخزنة خرجا من المكتب وسلباهما لرجل آخر حاول قفل الخزنة .

فى هذه اللحظة قدر كبير مفتشى الفرقة الطائرة المسمى « لى » أن وقت العمل قد حان فصاح « نحن بوليس الفرقة الطائرة قفوا حيث أنتم » وهرع ثلاثة ضباط نحو الباب ليمنعوا هرب أى شخص منهم وتجميع الآخرون على العصاية وصاح اللصوص « اقتلوا أولاد الزنى هلموا الى بنادقكم » وتلا ذلك هرج ومرج شديدان وأعمل البوليس فيهم عصيهم وبدأ اللصوص يستخدمون هراواتهم ومفتاح صواميل ومقصا كبيرا لقطع الحديد .

اشتبك « لى » مع الرجل الذى كان يظهر بمظهر رئيس العصاية ، فأصابه فى رأسه بضربة من قضيب حديدى وألقى به خارج باب المخزن واستمرت المعركة خارجه وشوهد رئيس العصاية وهو يرمى مفاتيح المخزن قبل أن يلقي القبض عليه وكان أربعة آخرون من أعضائها مشتبهين مع رجال البوليس وبعد معركة عنيفة أمكن التغلب عليهم وأمكن رفاقهم أن ينفلوا من الباب ولكنهم ومعهم سائق العربى وجنوا الفريق الثانى من رجال البوليس واقفين لهم بالمرصاد فهذه أحدهم ببندقية فى حين ظهر اثنان

آخرا من مخبئتهما تحت عربة وقاتلا معه بهراوة وزجاجة مكسورة  
« وما تيفلا » وانتهت المركة بأن قبض البوليس عليهم .

اقتيد السجناء الثمانية الى بوليس « هارلنجتون » ووجهت اليهم  
التهمة فلم يحيروا جوابا الا واحدا منهم اسمه « سمث » قال انه سيقتل  
الرجل الذى وشى بهم . . . !! وكانوا جميعا قد اصابوا فى رؤوسهم بعض  
البوليس وكانت جروحهم تحتاج الى الحياطة فى حين أن تسعة من رجال  
البوليس اصابوا باصابات اغلبيتها رضوض شديدة فى الرأس والأطراف  
وكسر أنف أحدهم وأصيب آخر بجرح فى جانبه الأيمن وساقه اليمنى  
بسبب الزجاجاة المكسورة .

علم البوليس أن أحدا الحمالين المستخدمين فى الميناء الجوى زود  
العصابة ببيانات مكنتهم من وضع خطة الفارة فاستدعى واستجوب وأنكر  
فى بداية الأمر علمه بأى شيء يتعلق بالحادث ثم ما لبث أن اعترف بأنه  
زود العصابة بالبيانات وأنه كان ينتظر المكافأة بعد النجاح فى السرقة  
فعرض عليه أعضاء العصابة وتعرف على أربعة منهم هم الذين كانوا على  
صلة به .

حوكم السجناء أمام محكمة الجنايات المركزية وصدرت ضدهم أحكام  
بالأشغال الشاقة تختلف من خمس سنوات الى ائنتى عشرة سنة ما عدا  
الحمال فقد حكم عليه بستين لانه كان واقعا تحت تأثير الاغراء وكان قد  
حصل من العصابة على عشرة جنيهات فى مقابل ادلائه اليهم بالمعلومات  
وقد كان أداة حسنة لانه قابل بعض رجال العصابة فى المحال العامة ودعى  
الى احتساء بعض المشروبات ثم استدرج لاعطاء بعض البيانات ثم حدد  
بإبلاغ أمره الى البوليس الا اذا استمر على ولائه لهم .

ولكى تتم القصة يجب أن يذكر أن الطائرة التى كان مقررا أن تحمل  
السياتك التى تبلغ قيمتها مليون دولار عاقها الضباب فلم تقم برحلتها  
الا فى اليوم التالى .

وقضية « هيث رو » هذه مع ما يكتنفها من الطمع وما كان يعتزمه  
للصوص هي أشد إثارة للمشهور من كثير من قضايا إدارة المباحث  
الجنائية ، والضابط الناشئ سرعان ما يكتشف خطل الفكرة الشائعة من أن  
رجل المباحث رجل يحل مشاكله بالاستنتاجات البارة أو لمحات الذكاء  
الخاطفة ، بل سيتعلم صنتق ما يقوله ضابط الادارة المجرى من أن ٩٥٪  
من قضايا المباحث الناجحة تتوقف على ما يبذل فيها من عرق ، وثلاثا



في المائة على الإلهام . واثنين في المائة على الخط . ودفن كل هذا سيحتاج إلى قوة الملاحظة التي تنمي حسب الاستطلاع نحو كل نشاط انساني وأن يكون حكما سريعا موثوقا به على أخلاق كل أنواع الرجال وعلى ميولهم وعليه أن يلتقي بالمجرمين وأن يتعرف اليهم ويقف على عاداتهم ويعرف الأماكن التي يترددون عليها وفي أثناء هذا كله يجب أن يأخذ حذره حتى لا يقع فريسة الاغراء الذي سيضعونه أمامه لتحقيق أغراضهم وهذا الاغراء حقيقي جدا ويؤدي من وقت لآخر ببعض صغار رجال المباحث الذين كان ينتظر لهم مستقبل باهر ، ولكن ليس المدهش هو فترات الضعف التي تقع من حين لآخر بل وجود حالات كثيرة كحالة جاويش المباحث الذي كان يتناول مرتبه الحكومي وقدره ثمانية جنيهات في الأسبوع والذي أبلغ رؤسائه بشئ تردد بانه عرض عليه ثلاثة آلاف جنيه ليغمض عينيه عن بعض نشاط جنائي معين .

ان رجل المباحث الطيب عامل مفيد وفنان ، فمن المألوف عند القيام بتحقيق ما أن يقابل الضابط مئات بل ألوف من الأشخاص ، وكثير منهم لا يستطيع أن يخبره بشئ ذي قيمة ، ولكن يوجد دائما احتمال أن يكون بينهم واحد أو اثنان رأيا أو سمعا شيئا يلقي ضوءا على القضية .

واحدى القضايا التي أثرت في نفسي تأثيرا بالغا قضية فتاة وجدت مقتولة في « دنسور جريت بارك » وكان يقام في ذلك اليوم سوق . فبحث رجال المباحث عن كل شخص توجه الى السوق فجمعوا الصور الفوتوغرافية التي أخذها مختلف الزوار وكبروا صورة كل شخص فيها وتوجهوا اليهم لمقابلتهم ، وأمكن التعرف عليهم ومكان كل من كان في الحفل الذي وجدت فيه الجثة وانصرفوا عنه وأمكن بهذا أن يصور قطعة قطعة كل ما طرأ على الحفل من ذهاب وإياب حتى ليتمكن أن يقال : ان فيلما قد أخذ لحل الجريمة طوال عدة ساعات متواصلة .

وثمة حالة اعجب وهي خاصة بفتاة صغيرة أخذت من مستشفى في « بلاك بيرن » وقتلت بوحشية بأن ضرب رأسها في جدار والأثر الوحيد الذي عثر عليه هو زجاجة عليها بعض بصمات الأصابع وبمقارنتها بالمجموعة العظيمة في « اسكتلنديارد » ظهر أن صاحبها غير معروف للبوليس وبعد بذل أقصى ما يمكن عمله من تحريات لم تسفر عن نتيجة قرر البوليس المتولى تحقيق القضية أنه لم يبق أمامه الا أن يأخذ بصمات كل شخص في « بلاك بيرن » وهي مدينة بها من السكان ١٠٠.٠٠٠ نسمة وصدر وعد ونفذ فيما بعد وهو أن تعمد بصمات كل الأبرياء . فانصرف الضباط

الى تنفيذ واجبه باخذ بصمات كل الذكور من السكان وتعقب الذين غادروا المنطقة منهم . ولو كان منهم من رحل الى خارج البلاد واستغرق هذا العمل نحو ثلاثة أشهر واتفق أنه من بين الـ ٤٦٢٥٣ بصمة التي أخذت وجئت مجموعة من البصمات تماثل ما وجد على الزجاجة .

على ضابط المباحث أن يعود نفسه في عمله فضيلتي الصبر والمتابعة أسوة برجل الدين ، فلا ينبغي له أن يتجاهل خطة من خطط التحري ولا يظن أن أي تفصيل عديم الأهمية . وأوضح مثل لهذا هو التحريات التي عملت في مقتل « مس كران » في أيرلندا الشمالية ، ففي هذه القضية استجوب المراقب « كاب ستيك » ومعاونوه ٤٠.٠٠٠ شخص قبل أن يتمكنوا من القبض على شاب ممن يعملون في الطيران وثبتت ادائته ولكنه كان مجنوناً ، فمثل هذه الكمية الضخمة من البيانات ان لم تتناول بأقصى ما يمكن من النظام لولدت الفوضى وكل الفوضى وكل قول يجب أن يفهرس بطريقة تمكن من الرجوع اليه في لحظة . ولقد أخبرني سير « ريتشارد » المفتش العام لإدارة كونستابلات « الستر » كيف أنه هو وضباطه تأثروا بما أبداه كونستابلات ضباط « اسكتلنديارد » من صبر ونظام .

بل انه حتى اذا ما انتهت التحريات الأصلية في إحدى القضايا الى غير نتيجة فلا يستولى اليأس على إدارة المباحث وتظل التحريات بالمئات بل أكثر من ذلك تظل عالقة في أذهان الضباط المختصين وقد حدث في سنة ١٩٤٩ أن وقع اعتداء قاس على أحد رجال البوليس بقضيب حديدى في « سلون ستريث » وكاد يقضى عليه ولكن بعد سنتين استطاع أحد الضباط الذين اشتركوا في تحقيق الحادث بناء على اشارة عابرة أن يعرف مقر الرجل الثالث وكانت النتيجة أن قبض عليه في الحال .

على رجل المباحث المفيد أن يحقق في الاستجواب وأول شيء ضرورى في هذا السبيل هو أن يجمع كل ما يمكن من معلومات عن الجريمة قبل أن يبدأ في الاستجواب ، والثاني أن يعرف أخلاق الشخص المستجوب وأن يتصرف معه على هدى هذه المعرفة وسيختلف الأسلوب باختلاف مزاج وشخصية المحقق فيجتنب أحدهم الشاهد بصراحته وبما يبيده من اهتمام ودى في جميع الأشياء حتى لو كانت بعيدة الصلة بالجريمة والآخر يكره بالمنطق الذي لا مرد له الشاهد على أن يترك خطأ من خطوط الدفاع الى غيره حتى يتفصح له أن لا أمل يرجى من الالتجاء الى الأكاذيب وكثير من رجال المباحث يجدون المجرمين ميالين الى المشاطرة الغير محل أعباء أسرارهم ، ولذلك يتصرفون معهم تصرفاً أبوياً فيقنعون لهم فتجاناً من الشاى وسيجارة

هما حينئذ يأتیان من العجائب بما لا يظفر به أى نوع من أنواع العبوس  
والخطرسة .

وما لا ينبغي لرجل المباحث أن يفعله هو التجاؤء الى أساليب يشتتم  
منها العنف وعلى الرغم من وجوب ابتعاده عن هذه الأساليب فهو مقيد  
بضرورة مراعاة « قواعد القضاة » وهى تقضى بأنه اذا صمم ضابط البوليس  
على توجيه تهمة لشخص ما فعليه أن يحذره قبل توجيه أى سؤال آخر  
اليه وكذلك الحال فى استجواب شخص موضوع تحت الحفظ .

ويكون التحذير بالصيغة الآتية « هل ترغب فى أن تقول شيئاً  
جواباً عن هذه التهمة ؟ انك لست ملزماً بالإجابة ما لم ترغب فى الإدلاء  
بها غير أن كل ما ستتعلق به سيسجل كتابة عليك وقد يستخدم فى  
الشهادة » ويلاحظ أنه لم يرد كلمة « ضلوك » بعد « فى الشهادة » لأن  
هذه الأقوال قد تفيد فى إخلاء سبيله .

وقررت هذه القاعدة لحماية السجناء وهى وإن كانت قد تفيد سومن  
وقت لآخر — الضابط المحقق غير أن رجال البوليس يعترفون أنها قاعدة  
عادلة وضرورية وأشك فى أنها تتدخل فى سير التحقيق تدخلا خطيرا .

فى محاكمة حديثة « لالفرد تشارلس » و « وايتواى » ركن الدفاع  
دفاعه كله على مهاجمة أقوال أدلى بها « وايتواى » الى البوليس ولم يكن  
لهذا الهجوم أى وزن لدى المحكمين ولكنها أوحى الى البوليس بأن يلجأ  
الى استئخلام الشريط المسجل عند أخذ الأقوال فى القضايا المهمة ولست  
أظن أن الذين اقترحوا هذا الاقتراح أدركوا ما يترتب عليه من صعاب لأنه  
لأخذ جميع البيانات التى يدلى بها الى رجال البوليس لا بد من عدد كبير  
جدا من آلات التسجيل وحتى لو تيسر وجودها فى المكان المناسب والزمان  
المناسب لكان هناك احتمال للاتهام بأن التسجيل حصل تدخل فيه وأنه  
لم يشمل كل شئ وقع بين المقبوض عليه والبوليس بل أنه لم يكن تسجيلا  
لصوت المتهم بالرة وفى كثير من القضايا لا يطمئن أبدا فى صحة ما يدلى  
به المتهم وأن استعمال أدوات آلية غالية الثمن بدلا من القلم والحبر  
والورق يبدو لى أنه يخلق من المشاكل ما يعادل الحلول التى يقدمها فإذا  
كان على رجل المباحث أن يجمع كل ما يتيسر من بيانات قبل أن  
يبدأ التحقيق مع المتهم وجب أن ينمى فى نفسه عادة الملاحظة الدقيقة .  
حتى فى التفاصيل التى يبدو أنها قليلة الأهمية . وكبير المراقبين وتشيرل .  
الذى اعتزل حديثا الخدمة بعد قضائه فيها ثمانية وثلاثين سنة كان فى  
آخرها فى وظيفة مدير إدارة بصمات الأصابع يذكر القضية الآتية وهى

نوضح قيمة اليقظة المستمرة فى الملاحظة فقد اتهم أحد المسجونين بتهمة السطو وكان من أدلة الاتهام بصمة أصبع السبابة وجلت فى مكان الجريمة وكما جرت العادة قنم للمحكمة صورة فوتوغرافية مكبرة لهذه البصمة وصورة أخرى مماثلة أخذت من بين سجل اسكتلنديارد وشهد تشرل بأن البصمتين لشخص واحد .

فسأل محامى الدفاع ما هى ههذه الخطوط التى تعترض هاتين البصمتين ؟ فأجاب تشرل :

« هى من غير شك نتيجة جرح أو أثر التحام جرح بالأصبع ، وهنا طلب الدفاع من موكله أن يعرض أصبعه للمحكى فعلق أصبعه وجففه على سرواله ليزيل معلق بها من أوساخ وعرضها على المحكمين ففحصوا الأصبع وهزوا رؤوسهم وطلب القاضى أن يراه وبعد أن فحصه قال :

« انى لا أرى أثرا لالتحام جرح على هذه الأصبع يا مستر تشرل ، فأجاب مستر « تشرل » فى ارتباك وخجل .

« كلا يا مولاي ان البصمة لاصبح السبابة من اليد اليسرى وقد عرض عليكم السجين أصبعه اليمنى »

ولما عرض السجين فى تردد يده اليسرى كأن أثر الالتحام عليها واضحا ، غير أن الملاحظة مهما كانت حادة دقيقة لا تكفى وحدها فكثيرا ما يجد رجل المباحث نقطة يبدأ منها تحرياته وهنا تصبح اتصالاته بدنيا الاجرام فى غاية الأهمية وكثيرا ما تبدأ شهادات رجال المباحث بالمباراة الآتية :

« بناء على المعلومات التى وصلت الى » .

واذا بلغت قلة النوق بشخص أن يسأل ممن استقيت تلك المعلومات ؟ فعليه أن يقلد الخطة التى اتبعها ضابط الفرقة الطائرة الذى كان يؤدى شهادة فى حق مشتبه فيه كأن يتتبعه فى إحدى السيارات حرف (ك) التابعة للفرقة المتخفية وسأله القاضى ما طراز هذه العربة ؟

فأجاب « كانت سيارة يا سيدي » وكان هذا الجواب من الضابط مقرونا بكل احترام ولكن عزيمته لم تتزعزع .

ولم تنجح أية وسيلة أخرى فى تحويله عن موقفه وليس من المصلحة العامة أن توصف سيارات «ك» أثناء محاكمة علنية ولا من المصلحة العامة أن يبلل رجل المباحث بأسماء مرشديه فى دنيا الاجرام الذين كثيرا

ما يخطر ببالهم بأرواحهم عندما يقدمون تلك البيانات التي يعمل البوليس بموجبها فالذويع لمصادر « الاخباريات المستقاة » هي على ماأظن متعددة ومختلفة كمن أدلوا بها أنفسهم ، فبعضهم يدلي بها نظير المال ، وبعضهم بدوافع الغيرة ، أو الانتقام ، أو الحقد .

ومما يذكر بالتقدير لادارة المباحث ان يكون الدافع لعدد كبير من هؤلاء المبلغين هو الاعتراف بالجميل لأحد رجال المباحث لما قدم لهم من مساعدة في مازق حرج .

واذا أتم رجل المباحث تحرياته فإن واجبه يكون لا يزال بعيدا عن التمام لأن عليه أن يقدم تقريراً يرفق به الأقوال الشفوية التي أدلى بها جميع الشهود الضروريين ، ولقد قرأت مئات من هذه التقارير في خلال الأربعين سنة الماضية ، ولم أخف إعجابي يوماً ما بالطريقة التي جمعت بها فهي تعرض حقائق مرتبة واضحة منطقية لا تفادى صغيرة ولا كبيرة ولا تغالى في شيء ومجال التعليق أضيق ما يكون ولا تظهر فيه الآراء الشخصية ولا الميول الذاتية وهي نماذج لا يجب أن تكون عليه التقارير وتقرير رجل المباحث هو أساس الاجراءات في المحكمة الجنائية وهو كثيرا ما يكون أحد الشهود الرئيسيين ويتوقف الكثير على مقدرته كشاهد ولقد علمه التدريب والخبرة الطويلان كيف يدلي بشهادته واضحة عادلة وكيف يتحمل في ائانة وصبر هجوم الدفاع الماكر .

وفي بعض الأحيان يرتد انتقاد شهادة البوليس في المحكمة الى المنتقد كما حصل عندما هزا الدفاع بشهادة اثنين من الضباط قالا ان السجين ذكر أنه « توجه » من (أ) الى (ب) اذ قال الدفاع أن كلمة ( توجه ) بوليسية ومن الواضح أن ليس من المحتمل أن يستعملها السجين .

غير أن الضابطين وقفا وقفة انتباه وإصرا على أن كلمة توجه هي الكلمة التي استخدمت وفيما بعد نوقش السجين فقال أنا « توجهت » وقد ثبت أنه عريق في الاجرام وأنه سمح الكلمة تستعمل كثيرا في المحكمة وأنه اقتبسها في استعماله الخاص .

وضباط المكتب المركزي لادارة المباحث الجنائية كثيرا ما يسترعون نظر الجمهور بسبب اشتراكهم في تحقيق بعض قضايا القتل المثيرة للانتباه غير أن هؤلاء الضباط ليسوا الا جزءا من صورة الجريمة . وقد يكون أقل شهرة منهم بل أكثر قيمة هو عمل ادارة المباحث الجنائية في أنواع أخرى من الجريمة تستدعي إبحانا مضمينة عدة أشهر بل عدة سنوات .

وتوضع إحدى القضايا الحديثة التي من هذا النوع المقدار الضخم من العمل الذي يجب القيام به قبل اتخاذ إجراءات الاتهام :

فحوالي آخر سنة ١٩٥٠ وصل إلى علم لجنة التجارة أن مؤامرة واسعة النطاق يشترك فيها كثير من الأشخاص بدأت من سنة ١٩٤٧ واستمرت إلى سنة ١٩٥٠ وكانت النتيجة أن كميات كبيرة من الصيني المزخرف حولت من التصدير إلى السوق المحلية ، وتحت إشراف رجل أبعد نفسه عن الظهور أخذ اثنا عشر شخصا يتجرون بأسماء مختلفة فجلبوا وباعوا في السوق المحلية أدوات صينية وفخارية بمالا يقل عن ٦٦٠٠٠ جنيه ولو أن الصفقات بغير شك زادت على هذا الرقم . واستنجدت لجنة التجارة باسكتلنديارد التي أصدرت تعليماتها إلى أحد رؤساء المفتشين وإلى كونستابل مباحث بالتحريات اللازمة فأخذا يملآن ثلاث سنوات عملا مضنيا لقرز خيوط هذه المؤامرة فطوقا بجميع أنحاء البلاد لمقابلة الشهود وفحص الدفاتر والفواتير والمراسلات وبلغ عدد المستندات التي صورت فوتوغرافيا ٩٠٠٠ مستند وقدم إلى لجنة التجارة تقرير يحتوي على مائتي صفحة .

والطريقة التي استخدمها المتآمرون تحت ستار إذن تصدير من اللجنة هي أن يوصوا بصنع كميات من الأدوات الصينية والفخارية . ويقدمون ضمانا كتابية إلى صائعي هذه الأدوات بأنها معدة للتصدير وفي نفس الوقت يعطون تعليمات بأن توضع البضاعة في صناديق وعليها العلامات المفصلة الخاصة بالشحن على السفن وتسلم إلى مراسي لندن المختلفة للشحن ولكن لم تكن هناك نية لشحن البضاعة للخارج ، فكانت غالبا تصل إلى المرسى بعد إبحار السفينة المذكورة أنها ستشحن عليها ثم يأخذ الحمالون يجمعون البضاعة بعد أن يزودوا بتعليمات المتآمرين وبالفواتير التي تحمل أسماء وعناوين شركات وهمية ومستندات مزورة يرفض التصدير وبهذه الطريقة كانت تصل البضاعة إلى أيدي التجزئة في أنحاء المملكة .

ونتيجة لمباحثنا التي استغرقت ثلاث سنوات وجهت التهمة إلى اثني عشر شخصا وإلى شركتين ، وقد حوكموا بتهمة التآمر ومخالفة الأوامر وقلما يحدث أن يؤتى بعدد من مثل هؤلاء اللصوص المهرة في قصص الاتهام وقد تلقوا جميعا ماعدا واحدا علومهم في المدارس العامة ونال أحدهم بكالوريوس الحقوق وكان خمسة منهم سوابق في الاجرام وقوى الدفاع عنهم ثلاثة مستشارين ملكيين وسبعة عشر مساعدا لهم

واستمرت الاجراءات فى « بومستريت واولد بيلى » ٦٩ يوما واستمرت محاكمة اولد بيلى ٤١ يوما وهى اطول مدة فى تاريخ المحكمة . وخلال هذا الوقت لم يحصل ما يزعم شهادة كبير المفتشين ومساعدته وقد أُلجج صدورهم أن رأوا جميع المساجين ماعدا اثنين قد أدينوا وصدرت عليهم الأحكام بالسجن لمدة تتراوح بين تسعة شهور وخمس سنوات كما حكم على المتهمين بأن يدفعوا مصاريف قضائية بلغت ١٥٢٥٠ جنيهها .

وفى نهاية القضية شكر القاضى « جلين جونز » بشوع خاص الضباط على العمل الجليل الذى قلموا به فى اعداد القضية وبالطريقة التى ادوا بها شهاداتهم .

حتى الآن كنت اكتب عن رجل المباحث كما لو أنه يعمل بمفرده ، او مع زميل له فى تحقيقاته غير أنه يوجد بطبيعة الحال خلفهم الأداة الموجودة فى اسكتلنديارد التى يستطيع أن يرجع اليها فى كل مرحلة من مراحل التحقيق ففى اسكتلنديارد ثلاث ادارات أصبحت ضرورية لرجل المباحث وهى مكتب السجل الجنائى ، ادارة بصمات الاصابع ومعمل الطب الشرعى وكل هذه المنشآت الكبيرة تحتاج الى وصف تفصيلى .





الفصل الحادي عشر

مكتب التسجيل الجنائي



دليل المجرمين ؟ - الرجل ذو الـ ٤٠٠ اسم - الفهرس  
الخاص بطرق ارتكاب الجرائم والاستفادة منه - المجرمون  
وليدو العادة - طرق وأساليب الغش والتدليس - فائدة  
مكتب السجل الجنائي في حادثة « نيفل هيت » .

ان مكتب السجل الجنائي - وان كان موظفوه من بين  
رجال بوليس العاصمة وأنه يشغل جزءا من مبنى ادارة  
اسكتلنديارد - مكتب ذو صيغة قومية وأنه يشمل سجلات  
كاملة لكل الذين حكم عليهم في قضايا خطيرة ببريطانيا  
العظمى ، وهو يغذى قوات البوليس بالمعلومات في داخل  
المملكة ، وان معظم الدول لها نظام موحد او أنظمة للتسجيل  
الجنائي ، وان مكتب السجل الجنائي على اتصال بجميع  
مكتاتب الوطنية في جميع أنحاء العالم وأنه بناء على ذلك يكون  
سجلا للجرائم وطنية ودولية . وهو دليل لمعرفة مرتكبها ،  
وهو ادارة تعين على رد الجرائم الحديثة الى قدامى المجرمين  
ورد عدة جرائم الى مجرم واحد وتساعد على التعرف على وجه  
التحقيق الى قدامى المجرمين اذا ما اعيد القبض عليهم وهو  
واسطة يمكن به ان ترشد الجرائم الحديثة الى الجرائم القديمة  
كما تهدي الى شخص المجرم نفسه وايضا لتمييز المجرمين  
عند القبض عليهم .

ويتألف كل سجل من اسم المجرم وأوصافه الشخصية  
ومن صورة فوتوغرافية له وكشف يبين فيه جرائمه والأحكام  
الصادرة ضده وكلما وضع مجرم تحت حراسة البوليس في  
أى مكان من بريطانيا العظمى ترسل الى هذا المكتب استمارة  
السجل الجنائي بأوصافه وبصمات أصابعه وتراجع كل  
أحكام ضده يعترف بها وحتى اذا لم يعترف بشئ منها فان

البحث عنها يستمر فإذا ظهرت اتهامات سابقة أمكن إيجاد الروابط بينها ويوجد أكثر من مليونين ونصف مليون بطاقة في مكتب السجل الجنائي وبالنسبة للعديد الكبير من الأسماء التي ينتحلها بعض المجرمين فقد يوجد كثير منهم له أربعون أو خمسون بطاقة وعلى رأس مكتب الإحصاء رجل يساعده ٤٤٠ موظفا .

والتأكد من الجرائم السابقة ضروري لتمكين المحكمة من إصدار الحكم المناسب بعد ادانة المتهم . وإلى أن صدر قانون القضاء الجنائي سنة ١٩٤٨ كان هذا يستلزم حضور الضباط أمام المحاكم ليشهدوا على صحتها ولكن القانون الجديد اكتفى بشهادة من حكمدار العاصمة تدون إحصاء بجرائم المتهم وبينما أنه ألقى عبئا ثقيلا إضافيا على كاهل مكتب السجل فقد وفر على البوليس الأوقات الكبيرة التي كان يستنفدها منه حضوره أمام المحاكم .

وبالإضافة إلى المجموعة الرئيسية للسجلات الجنائية يوجد عدد من الفهارس التكميلية كل منها له أهمية عظيمة . وأكثرها فائدة هو فهرس أو طرق ارتكاب الجريمة وهو مبني على حقيقة أن المجرمين وليدو العادة وعرضة لتكرارها إذا أصابوا نجاحا نتيجة لاتباع طريقة خاصة فانهم لا يفتأون يعيدونها ومن الغريب أنه حتى بعد اكتشاف أمرها وإجراء القبض جملة مرات على المجرمين فانهم يعيدون نفس الطريقة ويظهر أنهم إما في غاية الكسل وإما في غاية القباء ليفيروا طريقتهم وذلك من حظ البوليس .

ويتألف الفهرس من بطاقات توضع عليها معلومات عن جميع المتهمين الخطرين الذين يستخدمون طريقة معينة في ارتكاب جرائمهم . وهو يتكون من أقسام عدة ففي قسم الأسماء توجد بطاقة منفصلة عليها الاسم الأصلي وكل اسم منتحل للمجرم وسنه ومولده وطوله وهذه التفاصيل المميزة الثلاثة تكفي لاستخراج البطاقات على وجه السرعة ويمكن فيما بعد غربلتها بواسطة مقابلة كل بطاقة منها مع غيرها من ذوات التفاصيل الأدق .

وفي قسم فحص الطريقة يسجل الأسلوب الذي يستخدمه المجرم بتسلسل هجائي وهو على حسب الأحرف الانجليزية يكون :

الحطف - الحريق عمدا - التعدي - تأجير الأطفال - وهكذا إلى أن ينتهى بالحيانة العظمى وكسر المتاجر وتجارة الرقيق الأبيض . وكل بطاقة

تحتفظ تحت العنوان المناسب تبعا لسنة ميلاد المجرم وطوله • وفى أسفل بعض العناوين يوجد عدد كبير جدا من البطاقات ولتسهيل المراجعة تقسم العناوين الى اقسام فرعية فمثلا جريمة الفش والتدليس هى أكبر الأقسام اتساعا ولهذا قسمت الى الأقسام الفرعية الآتية :

الشخصية التى انتحلت عند ارتكاب جريمة التزوير •

الواسطة التى استعملت •

طبقة المجنى عليه •

نوع المتاع الذى استولى عليه •

اشكال خاصة من الفش •

وكل هذه الفصول تقسم الى اقسام أخرى ، فالشخصية التى انتحلت تشتمل على العناوين الآتية :

مثل ووكيل ( وينقسم الى سبعة عناوين تبعية ) طيار - مهندس معمارى - أمير اجنبى - ماسونى - •• وينتهى الى جراح بيطرى - نرى امرأة ( أى رجل ينتحل دور امرأة ) •

وتحت عنوان ( الواسطة التى استعملت ) توضع العناوين الفرعية الآتية : أعمال تجارية - كمبيالات - عناوين المكاتبات - شيكات ••• وتنتهى الى ( ايصالات رهنيات ) بضائع ( سجاجيد - فراء - ملابس - جواهر •• ثم الى الماء يباع على أنه ويسكى أو خمر ) •

وتحت عنوان ( طبقة المجنى عليه ) توجد العناوين الآتية :

مثل - وكيل - تاجر عاديات - رجل دين - منفذ وصية - عضو برلمان - موظفون ( بتوك - مصلحة ضرائب •• الخ ) وتنتهى الى نساء •

والعنوان التالى وهو نوع المتاع المستولى عليه ، واضح الدلالة فى حد ذاته • والعنوان الخامس اشكال خاصة من الفش والتدليس وهى تبدأ ( بالاستجابة للاعلانات - التنبؤ بالمستقبل - لعبة القضيبي الذهبى - توزيع الأسهم المزيفة •• الى بيع الشاى - حقيبة نقود شائعة ) •

وفهرس الفش والتدليس هو خلاصة مؤلفة لفيلة الجنس البشرى ولهارته الموضوعه فى غير موضعه •

فلمجرم الواحد توجد عدة بطاقات : بطاقة فهرس رئيسية تحت

أهم نوع من الجريمة التي ارتكبتها . فالرجل الذي يتخصص في التزوير مثلاً يكون له بطاقة رئيسية تحت عنوان تزوير إذا كان ينتحل عادة صفة الممثل ويستختم خطابات استجداء . ويخدع رجال الدين ويحصل على المال بحجة أن سيارته تعطلت فتوضع بطاقات فرعية في قسم التزوير تحت هذه العناوين الفرعية .

ويوجد قسم ثالث لفهرس يسجل فيه كل تشويه خلقى ظاهر للمجرم سواء كان مثبتاً في قسم الأسلوب أولاً . فالتشوهات تفسر بالمعنى الواسع الذي يشمل كل الظواهر المميزة وترتب البطاقات ترتيباً أبجدياً على حسب أجزاء الجسم مثلاً : خد ( علامة خلقية - طابع الحسن - خال - منقطة أو أثر التهام ) أو عيون ( عمياء ... مريخة - حولا - ضعيفة الأبصار - نظارات - جاحظة ... الخ ) وفي كل حالة يذكر أن كانت هي العين اليمنى أو اليسرى وتوجد بطاقات مماثلة للذقن والأنف وأجزاء أخرى من الجسم أما عن الكلام فتذكر اللهجة ( التمتعة - التهتهة - الفأفة ... الخ ) .

أما القسمان الخاصان بالوشم والكي فهما لا يحتاجان إلى شرح والقسم المتعلق بالخواص المميزة يبدأ بـ ( صحة الأطفال وكتب ) ويستمر حتى يصل إلى قسم أظافر أصابعه ونزع جذابه . وقد أدرج تحت هذا العنوان المجرم المشهور بصاحب قدم الفانلة « تيمارجن » وتصنع المرض وهكذا يستمر الترتيب إلى أن يصل إلى « يشكومن » ( وذلك في حالة الذين يعملون إلى الإقضاء بأوجاعهم ) وبعبارة ( حينما يتكلم ) يسمح أنفه ويمثل بالإشارات أو يظهر بعض حركات بحكم العادة ..

وإذا سجل اسم شخص بالفهرست وصدر حكم عليه بسجنه أكثر من ستة أشهر. فكل البطاقات المتصلة به تنقل إلى قسم « الإيقاف » طيلة مدة سجنه لكي تخفف عن فهرس الأحياء مثونة البحث .

وحتى إذا كان المجرم على درجة من الميطة بحيث يغير طرائقه فانه قلما يفعل هذا التغيير بشكل كامل فمثلاً إذا كانت الجريمة التي اعتادها هي التزوير وكانت طريقته في ذلك هي أن ينتحل شخصية كاتب محام فقد يغير صناعته هذه إلى صناعة صحفى ولكنه في أغلب الظن سيظل يتخذ ضحاياه من بين رجال الدين أو النساء ويبتز مصاريف بغير حق أو اشتراكات وسبيجد من العسر عليه أن يخفى منه وطوله أو تشوهات الشخصية المختلفة أو مميزاته الخاصة .

وليس أقل ما يسترعى النظر نحو مكتب السجل الجنائى هذا المقدار

الضخم من المعلومات التي يحملها الضباط الذين يعملون هناك في موسمهم فيمجرد أن يبلغهم ارتكاب جريمة يستطيعون عادة بغير رجوع الى بطاقاتهم أن يذكروا أسماء يرجح أن يكون أصحابها هم مرتكبي الجريمة وبعض هؤلاء يستطيعون في الحال لأن الرجوع الى بطاقاتهم يدل على أنهم موجودون فعلا في السجون والبعض الآخر المشتبه فيهم الذين قدمت أسماؤهم الى ادارة المباحث الجنائية التابعة للفرقة يستطيعون أن يقدموا دليلا مقنعا على وجودهم في مكان آخر. والباقيون يوضعون تحت الفحص الدقيق بواسطة رجال المباحث التابعين للفرقة وقد يسعف الحظ بأن تظهر الأدلة التي تبين صلة أحدهم بالجريمة .

وإذا شوهد المجرم فغالبا ما يرسل وصفه الى مكتب السجل الجنائي ولو أنه يظهر غالبا في الوصف يدعو الى الدهشة والخيرة لأن أغلب الشهود لم يتدبروا على قوة الملاحظة فقد يرى أحدهم رجلا قصيرا بدينا يرتدى كسوة سوداء ويراه آخر رجلا يميل الى الطول في كسوة رمادية الا أنه غالبا ما يستلقت أنظار الشاهد بعض خواص مميزة كأن يكون أعرج أو أحول أو فاقاء أو رجلا له لهجة أجنبية أو لهجة أهل الشمال وإن له أذنا تشبه القرنييط أو أنفا مكسورة أو أنه كثير الكلام أو كثير الصمت وإن له شعرا أحمر أو راسا أصلع . فرجل المباحث اذا ما زود بهذه البيانات سيكون قادرا على ان يتقى كشف الشبهوهين الذي لديه تقنية أخرى ويصل الى كشف مختصر يجعل عمل التحريات أجدى .

وقضية « نيفل هيث » مثال للمساعدة التي يمكن أن يقدمها مكتب السجل الجنائي الى رجال المباحث عند شروعهم في تحرياتهم . ففي ٢١ من يونيو سنة ١٩٤٦ دخلت وصيفة فندق إمبردج كورت في مدينة « بايزوتر » إحدى غرف النوم التي كان يشغلها في الأيام الأربعة أو الخمسة السابقة زوجان ذكر انهما بسكباشي هيث وزوجته وفزعتهما الوصيفة عندما رأت على السرير جثة امرأة فاقدة الحياة وكانت قدمها مشدودتين شدا وثيقا بواسطة منديل وجسمها الذي كان مقطعا تقطيعا مرعبا كانت عليه آثار أسنان وسرعان ما قرر الطبيب وفاتهما بسبب الاختناق ولما قام رجال المباحث بتفتيش الغرفة بحسب النظام المتبع عندهم وجدوا بصمة واحدة لأصبع على حوض غسيل اليد وإن كان ظاهرا أن الحوض قد نظف لتزول منه كل الآثار .

أظهر البحث في ملفات مكتب السجل الجنائي بطاقة « لنيفل جورج » « كليفل هيث » المولود في سنة ١٩١٧ والذي بعد ان قضى زمنا في معهد

يورستال لادانته بتهمة السرقة و تهمة السطو على المنازل و تهمة الادعاءات الكاذبة التحق بقوات الطيران الملكية ثم طرد منها بعد أن أدانته المحكم العسكرية في عدد من الجرائم ، وادانته فيما بعد في تهمة انتحال صفة بكباشي وارتدائه أواطأ لاحق له فيها ، وبمقارنة بصمة الأصبع التي وجدت على الحوض بالبصمة المسجلة تأكد أنها حقاً لهيث الذي يبحث عنه .  
خرج رجال المباحث بدلا من أن كانوا يبحثون عن مجرد رجال أصبحوا يبحثون عن رجل يعرفون أوصافه وخواصه . وهذا بعد مضي بضع ساعات فقط من ارتكاب الجريمة .

عوين منزل هيث ووضع تحت الرقابة الا أن هيث لم يعد اليه وعملت الأبحاث في جميع الفنادق والنوادي والمحال العامة التي يعرف أنه يتردد عليها ، كما عملت الأبحاث أيضا في جميع المحال الأخرى في وسط لندن بحيث كان هناك بعض الأمل في أن يوجد بها واستجوب جميع شركائه ولكن بشير نتيجة .

ولدى البوليس في كثير من الحالات مصدر موثوق بمعلوماته وهو سائق تاكسي لندن فقد عملت التحريات بين السائقين فوجد ان أحدهم يتذكر أنه حول منتصف ليلة حادث القتل نقل فتاة سمراء ورجلا تنطبق أوصافه على أوصاف هيث من نادى « سوت كنسجتون » الى فندق « بيمردج كورت » فاستجوبت عاملة هذا النادى الليلي التي تستقبل رواده ، واستطاعت هي وسائق التاكسي أن يقدموا وصفا طيبا لهذين الاثنين ولو أن الرجل كانت تعرفه العاملة باسم « ارمسترونج » وتعرف الفتاة بأنها مسز « مارجرى جاردنر » .

وفي هذه المرحلة بدت أولى تصرفات هيث الباعثة على الدهشة في هذه القضية العجيبة فقد كتب الى اسكتلنديارد يقول انه كان قد سلم مفتاح غرفة نومه في فندق بيمردج كورت الى مسز جاردنر التي كانت ترمع ان تستضيف فيها أحد الرجال وعند عودته الى الفندق وجدها مينة فبلغ به الفزع حدا لم يستطع معه أن يبلغ الأمر الى البوليس لانه هو نفسه كان مطلوبا القبض عليه بتهمة التزوير . وأعطى وصفا مفصلا للرجل الذي كان مع مسز جاردنر وذكر أنه سيرسل الكرياج الذي جلست به فقد وجده في غرفة النوم عندما وجدها بها . ومع ذلك لم يصل الكرياج أبدا .

ونشر بطبيعة الحال وصف هيث على جميع أنحاء البلاد وكانت نتيجة ذلك أننا تلقينا من بوليس وورنج تقريرا بأنه رأى هناك وعلم ضابط المباحث بواسطة صديقة لهيث كان يعرف اليها إبان الحرب أنه حضر



لزيارتها لسابق علاقات ودية قديمة بينهما وباستجوابها قالت انه أخبرها بحادث قتل ارتكب في غرفته بأحد فنادق لندن وأنه إبلاغ البوليس فلهج والد الفتاة لهذا النبا وبمجرد أن علم بما أثاره الخبر اخفى .

وما أن وصلت القضية الى هذه المرحلة حتى دخل غرقى ( هاو ) رئيس ادارة المباحث الجنائية « وفيرنلى » ضابط الاستعلامات وأبلغنى ثانيتهما أن صحيفة يومية لديها صورة فوتوغرافية لهيث وإنها تعتزم نشرها وليس باستطاعة حكمدار البوليس أن يمنع صحيفة ما من نشر ما تشاء . وفى ذلك تعريض لها بالمحاكمة بتهمة عدم احترام المحكمة ولكنه يستطيع أن ينصح بالامتناع عن النشر كلما كان هذا متفقا مع الصالح العام وهو ما يقوم به فعلا وقد ذكر ( هاو ) ان الدليل الوحيد الذى يربط هيث بفندق « بيمردج » ليلة القتل هو سائق التاكسى وبدرجة أقل عامله اللنادى الليلى وكانا معا مستعدين للتعرف على هيث ولكن اذا ما نشرت صورة فوتوغرافية فى استطاعة الدفاع أن يثير الشك فى شهادتهما الحيوية وأن يقول : انهما تأثرا بالصورة الفوتوغرافية التى رايها فى الصحف وقد يسقط الاتهام بناء على هذا ولذلك ألح على « هاو » كثيرا فى ان انصح الصحف بعدم نشر الصورة .

كان اتخاذ هذا القرار أمرا صعبا فلم يكن لدينا أى سبب يحملنا على الظن فى ذلك الوقت بأن هيث سوف يرتكب حوادث قتل أخرى وان كانت هناك دائما فرص لارتكابها وبذا تكون قد عرضنا أنفسنا لأن يتهمنا الجمهور بأننا حرمتا القتليات عاثرات الحظ من الوسيلة الوحيدة التى يعرفن بها أنهن فى صحبة قاتل ومع ذلك فقد كنت مقتنعا بأن « هاو » كان على صواب وأخنت على عاتقى مسئولية النصح للصحف بالا تنشر أية صور فوتوغرافية وعملت الصحف بالنصيحة .

فى ٣ من يوليو ذهبت فتاة صغيرة كانت تحترف الغناء من قبل واسمها « دورين مارشال » وكانت تنزل فى فندق « نورفولك » فى بورتموث لتتناول العشاء مع أحد نزلاء الفندق الذى كان يطلق على نفسه اسم قائد أسراب « روبرت بروك » وبعد أن تناول العشاء غادر الفندق معها الا أن الحارس الليلى لم ير بروك يعود ولما ذكر هذا لبروك فى اليوم التالى أجابه بروك ضاحكا انه أخذ سلما خشبيا وتسلقه الى غرفته من «النافذة على سبيل الدعابة ولما لم تعد مس مارشال ، قلق مدير الفندق غسال بروك عنها فاستخف بالسؤال وقال انه سيذهب للبوليس وأنه سيقدم لهم كل مساعدة يستطيعها وقد فعل وتعرف البوليس على صورة

فوتوغرافية للفتاة وقال انه تركها قريبا من المنتزه البحرى فى الساعة ١٢:٣٠ وفهم انها ستعود الى الفندق .

كان بروك حاذقا فى سرد القصة ولكنه لم يحسب حساب موهبة تذكر الوجوه التى هى جزء من ذخيرة رجل المباحث الخبير فان كونستابل المباحث المعين فى « بورتموث » الذى أخذ اليه بروك بهذه القصة تأكد انه رأى وجه بروك من صورة فوتوغرافية للمدعو حيث وهى الصورة التى وزعت فى الفازنية البوليسية وقرر أن يتصل تليفونيا باسكتلنديارد واحتج ما شاء له الاحتجاج ولما كان لا يرتدى الا قميصا وسروالا معه يرتدى للرياضة البدنية فقد طلب أن يسمح له بالعودة الى الفندق ليرتدى كسوة كاملة فاستحضرها له البوليس ووجد فى جيبها تذكرة ابداع ملابس فى محطة « بورتموث وست » فتوجه البوليس اليها وتسلم حقيبة الملابس كانت محتوياتها قاضية عليه فقد وجد بها كراياج ثقيل وكوفية من الصوف الأزرق وفى جيب السترة لؤلؤة واحدة غير حقيقية ولم يكن على الكراياج أية بصمات للأصابع ولا علامات أخرى وأرسلت الأشياء الى معامل اسكتلنديارد فدل الفحص على أن بالكوفية بقعا من الدم من نفس فصيلة دم القتيلة مسز جاردنر .

ازاء هذه الأدلة أعاد ضباط اسكتلنديارد « بروك » الى لندن وعمل له عرض تعرف عليه سائق التاكسى الذى نقله الى فندق « بيمبرج كورت » كما تعرفت عليه عاملة النادى الليلى ولما روجه بهذا اعترف بحقيقة شخصيته ووجهت اليه تهمة قتل مسز جاردنر -

وفى أثناء ذلك شدد بوليس بورتموث أبحاثه عن دورين مارشال المختفية وقد لاحظت فتاة خرجت للنزهة مع كلبها فى « برانكهم تشاين » جمعا من الذباب فارتابت فيما جذبها اليها فأسرعت الى البوليس الذى وجد جثة دورين مارشال مجردة من الملابس الا من فردة حذاء وجزء منها مختف تحت شجرة وعلى مقربة منها وجد سبع وعشرون لؤلؤة غير حقيقية مماثلة لما وجدت فى جيب سترة بروك ووجد أيضا ان قائد الاسراب بروك وهن خاتمه نظير خمسة جنيهات « وباع ساعة بثلاثة جنيهات كانت تملكها مسز مارشال »

كانت أعمال لا تسمح لى عادة بأن أشهد كثيرا من المحاكمات الجنائية ولكننى بعد قليل من تعيينى فى اسكتلنديارد حوكم حيث وقررت أنه من المفيد أن أشهد تفصيلات إحدى القضايا المهمة فهيت الذى رأيته فى محكمة الاولد بيل بدلى رجلا ففى منتهى الثبات راضى النفس عليه مسحة من

التربية والتعليم وبغير أخلاق بتاتا . كان يفصى وقتا طويلا على حساب الغير وما يتكلفه الغير فى هذا السبيل أمر لا يعنيه فى قليل أو كثير .

كانت شهادة الوقائع عنده تأخذ بتلابيبه وما كان للدفاع عنه أن يدعى بأن التعرف عليه كان متأثرا بنشر صورة فى الصحف وادعى الدفاع - كدفاع قوى عنه - أنه مجنون بحجة أن به نقصا معنويا وأنه لذلك يجب ألا يعد مسئولا عن أعماله وقد قال دكتور « جرير سون » وهو الطبيب المجرب لمسجن « بركستون » فى شهادته أمام المحكمة . أنه لا يخامرهم شك فى أن حيث كان يعلم ما يفعل وأنه كان يرتكب خطأ ورأى المحكمون هذا الراى ولم يلبثوا أن اتخذوا قرارا أنه مذنب وحكم على حيث بالإعدام ونفذ الحكم فيه .

وكحاشية لهذه القضية أقول أنه وجهت أسئلة فى مجلس العموم عن القرار الذى اتخذته لعدم نشر صورة حيث ولكن وزير الداخلية لم يجد أية صعوبة فى اقتناع المجلس بأن هذا القرار كان قرارا صحيحا فى تلك الظروف .



الفصل الثاني عشر

ادارة بصمات الاصابع



اصل بصمات الأصابع - شرح نظام تقسيمها -  
مجموعة اسبكتلنديارد التي تبلغ مليوناً وربع مليون من  
البصمات - كيف تستخدم ؟ - مجموعات محال ارتكاب  
الجرائم - احلال المدتين محل الجبراء المسكرين .

ان ادارة بصمات الأصابع مثلها كمثل مكتب المسجل  
الجنائي كلاهما يعمل كسجل مركزى لبريطانيا جميعها ويتلقى  
من قوات البوليس في جميع أنحاء البلاد نحو ٣٥٠ سجلاً  
في اليوم تشمل كل الجرائم الخطيرة كما أن ادارة البصمات  
تبادل بانتظام مع ايرلندة الشمالية وآير Eir بصمات  
المجرمين اللذين يحتمل أن يمارسوا أعمالهم على جانبي البحر  
الاييرلندي كما يتم التبادل بدرجة أقل نسبياً مع القوات  
البوليسية في غربي أوربا الأعضاء في اللجنة الدولية  
للبوليس الجنائي وأحياناً مع بلاد اللعنيون وما وراء البحار  
ولاول مرة أرسلنا منذ بضع سنوات مجموعة من بصمات  
الأصابع باللاسلكي الى استراليا ووصلت اليها واضحة .

وتدين ادارة بصمات الأصابع التابعة لاسكتلنديارد  
بنشاطها لسير ادوارد هنرى Sir Edward Henry الذي  
كان حكامداراً لبوليس البنغال ثم التحق ببوليس العاصمة  
بوظيفة مساعد حكامدار في سنة ١٩٠١ ثم عين حكامداراً من  
١٩٠٣ الى ١٩٠٩ فاكسب في البنغال خبرة في استخدام  
بصمات الأصابع لتمييز العمال المعينين في المزارع وكان هو  
أول من ابتدع نظاماً للتقسيم وجعل من الميسور استخدام  
بصمات الأصابع للتعرف على أشخاص المجرمين ولايزال  
نظام هنرى مميّزاً به حتى اليوم مع تعديلات طفيفة وهو قائم  
على أساس أنه لم يعرف حتى الآن انه يوجد شخصان لهما

بصمات متباعدة بل ان بصمات التوائم المتماثلين لىختلف بعضها عن بعض .  
اختلافا بسيطا .

ويتوقف النظام على أن جميع البصمات لاتخرج عن أحد الطرز  
الآتية : -

منحدر ، مقوس ، ومستدير ، ومركب .

والأشكال الاربعة الآتية تبين معانى هذه المصطلحات .

المنحدر	المقوس
المستدير	المركب

ولما كانت هذه الأشكال توجد جميعها أو بعضها فى الأصابع  
العشرة لليدين فان توزيعها يمكن أن يكون اساس نظام للتقسيم .

والإفاضة فى وصف هذا النظام تخرج بنا عن نطاق هذا الكتاب  
غير اننى طالما سئلت أناشرح : كيف تقسم البصمات ولذا فساحاول أن  
أبسط على قدر الامكان الخواص الرئيسية لهذا النظام المتبع اليوم .

ان نحو ٦٠ فى المائة من البصمات من نوع منحدر ، وخمسة فى المائة  
من المقوس وخمسة وثلاثين فى المائة من المستدير والمركب . فمن باب  
التيسيط فى التقسيم الاول ضم المقوس الى المنحدر ( L أو ح ) والمركب  
الى المستدير ( W أو سن ) ولما كان للانسان خمسة أزواج من الاصابع  
وفى كل زوج قد تكون البصمات ( حح - سس - حس - سح ) وقد  
يوجد هذا التركيب فى الزوجين الآخرين وبذا تكون جملة التركيبات  
المحتملة لزوجين ستة عشر ، وثلاثة أزواج أربعة وستين ، ولأربعة الأزواج  
٢٥٦ ، وخمسة الأزواج ١٠٢٤ = ٢٣٢ .

واذا أعطى رقم قيمى لكل بصمة من طراز المستدير على حسب  
مركزها فى اليد أمكن وضع معادلة يعرف بها كل تركيب .

ويمكن فهم الفكرة بشكل أوضح بالرجوع الى الرسم التالى :

اليد اليمنى                      اليد اليسرى

### الابهام

الزوج الأول الزوج الثانى الزوج الثالث الزوج الرابع الزوج الخامس  
فى هذين الزوجين الحيايين من الأيدى رمز للأصابع التى بها



منحدرات ( أو اقواس ) بحرف ح وللأصابع التى بها مستديرات  
( أو مركبات ) بحرف مى .

فكل بصمة تتألف من مستديرات (س) تعطى رقما قيميا بحسب  
زوج الأصابع المجاورة ( ويبدأ العد فى الشكل المتقدم من اليمين الى  
الشمال ) فتكون قيمتها ستة عشر اذا كانت فى الزوج الأول ، وثمانية  
فى الزوج الثانى ، وأربعة فى الزوج الثالث ، واثنان فى الزوج الرابع  
وواحد فى الزوج الخامس كما هو مبين فى الرسم وحينئذ يكتب زوج  
الأصابع على هيئة كسر اعتيادى بسطه رقم البصمة الأولى من كل زوج  
ومقامه البصمات الثانية .

وعلى ذلك فاليد التى بصماتها من الطراز المستدير (س) أو من  
الطراز المنحدر (ح) كما هو وارد فى الرسم تكون معادلتها العددية  
كما يلى :

$$\begin{array}{r} \text{صفر} \quad ٨ \quad \text{صفر} \quad ٢ \quad \text{صفر} \\ \hline \text{صفر} \quad \text{صفر} \quad ٤ \quad ٢ \quad ١ \end{array}$$

وإذا جمعت أرقام البسط وأرقام المقام كانت النتيجة ١٠

$$\frac{10}{7}$$

وإذا كانت بصمات الأصابع العشرة كلها من طراز المستدير كانت  
المعادلة كما يلى :

$$\begin{array}{r} ١ \quad ٢ \quad ٤ \quad ٨ \quad ١٦ \\ \hline ١ \quad ٢ \quad ٤ \quad ٨ \quad ١٦ \end{array}$$

وإذا جمعت أرقام البسط وأرقام المقام كانت النتيجة : ٣١

$$\frac{31}{31}$$

غير أن جملة التركيبات المختلفة الممكنة هي ٢٣٢ ومعادلتها الكسرية  
لا تشمل احتمال أن تكون الأصابع العشرة خالية كلها من بصمة من طراز  
المستدير أى أن تكون جملةتها :  $\frac{\text{صفر}}{\text{صفر}}$  . وللتيسير نكتب هذه الحال

على شكل  $\frac{1}{1}$  ثم نضيف ١ الى الجمله الحتمية للبسط والمقام فى جميع الأحوال .

وسنورد فيما يلى مثلين آخرين لتوضيح الفكرة :

$$\begin{array}{r} \text{س} \quad \text{ح} \quad \text{س} \quad \text{ح} \quad \text{س} \\ - \quad - \quad - \quad - \quad - \\ \text{ح} \quad \text{س} \quad \text{ح} \quad \text{س} \quad \text{ح} \\ \hline ١٦ = \quad \text{صفر} \quad ٤ \quad \text{صفر} \quad ١ \\ \hline \text{صفر} \quad ٨ \quad \text{صفر} \quad ٢ \quad \text{صفر} \\ \hline ١٠ \end{array}$$

٢٢

وبإضافة ١ الى البسط ومثله الى المقام تكون الجمله  $\frac{22}{11}$

$$\begin{array}{r} \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \\ - \quad - \quad - \quad - \quad - \\ \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \quad \text{ح} \\ \hline \cdot \quad \cdot \quad \cdot \quad \cdot \quad \cdot \quad - \\ \hline \cdot \quad \cdot \quad \cdot \quad \cdot \quad \cdot \end{array}$$

وبإضافة ١ الى البسط ومثله الى المقام تكون الجمله  $\frac{1}{1}$

وعلى ذلك نستطيع الحصول على أى كسر ابتداء من  $\frac{1}{1}$  لفاية  $\frac{32}{32}$

وتبين بالأرقام كل تركيب من الـ ١٠٢٤ : (٢٤٢) تركيبه الجائز وجودها فى الأصابع العشر .

انتهينا الآن من تقرير ١٠٢٤ مجموعة مختلفة ظهر فى مجال العمل أن بعضها صغير ، كما ظهر أن البعض الآخر كبير جدا ويحتاج الى تقسيمه الى اقسام فرعية وأكبر المجموعات هى المجموعة التى لا توجد فيها أية بصمة من طراز المستدير والتى يرمز اليها بمعادلة  $\frac{1}{1}$  فتقسم هذه المجموعة أولا بحسب اتجاه حافات المنحدرات التى على أصابع السبابة فان

بعضها يتجه نحو عظمة الساعد الأنسية ( الداخلية ) وبعضها نحو عظمة الساعد والوحشية ( الخارجية ) وتسمى الأولى المنحدرات الوحشية ( W أو و ) والأخرى المنحدرات الأنسية ( R أو ن ) ويتفرع على هذا التقسيم الفرعى تقسيم آخر كبير تمثله معادلة  $\frac{1}{2} - \frac{1}{3}$  نكون فيه السبابتان معا مشتملتين على منحدرات وحشية ولاعادة تقسيم هذا نعد الحافات التى على السبابة والوسطى بين النهايتين الخارجية والداخلية كما هو مبين فى الشكلين الآتين :

النهاية الداخلية	النهاية الخارجية ( دلتا مفتوحة )
النهاية الداخلية ( دلتا مقفلة )	النهاية الخارجية ( دلتا مفتوحة )
٧ منحدرات	٦ منحدرات

فى المنحدرات تعد جميع الحافات التى تقطع خطا وهما ممتدا من النهاية الخارجية الى النهاية الداخلية ولا يدخل فى العدد النقطةان الحاميتان .

وتكاد تنقسم بالتساوى جميع الأصابع بين ما ينقص منها من متوسط عدد هذه الحافات وبين مايزاد عليها صفر . وعلى ذلك يمكن أن يكون على كل يد التركيبات الأربعة الآتية : ١١ اصفر صفر صفر صفر ١ أو أن يكون فى اليدين كلتيهما ستة عشر .

وعلى ذلك تقرأ المعادلة على الوجه الآتى :

$$\begin{array}{r} 1 \text{ و } 1 \text{ اصفر} \\ \hline 11 \text{ و } 1 \end{array}$$

وهى تمثل يدين ليس فى أى من أصابعهما بصمات من طراز المستدير وتوجد منحدرات وحشية على سبابتيهما وتزيد الحافات المتوسط فى السبابة اليمنى وتقل عنه فى أصبعها الوسطى ولكنها تقل عن المتوسط فى هذين الأصبعين من اليد اليسرى .

وثمة تقسيم فرعى آخر لهذه الأقسام الستة عشر وهو يرجع الى عدد الحافات التى على خنصر اليد اليمنى . واليك معادلة لها نذكرها على سبيل المثال :

$$\begin{array}{r} 1 \text{ و } 1 \text{ صفر} \\ \hline 11 \text{ و } 1 \end{array}$$

فاذا ماوردت بصمة بهذه المعادلة توجه الباحث الى الصندوق المشترك على البصمات التى من طراز  $\frac{1}{1}$  وينتقل منه الى الفرع  $\frac{2}{1}$  فالى القسم  $\frac{1}{11}$  ويستخرج اخيرا للمقارنة العدد القليل من البصمات التى تشتمل على ست حافات على الخنصر اليمنى .

وبمثل هذا الأسلوب يمكن ايجاد أقسام فرعية أخرى كلما دعت الحال وسيكون تتبعها وتبعية تفاصيلها أمرا متعبا . وبحسب القسارى الذى اوتي الصبر لتابعة كل ما تقدم وما أحرزه من فكرة عن الموضوع . وتستخدم المجموعة الأساسية للبصمات لايجاد الصلة بين المجرم وجرائمه السابقة حتى اذا مثل أمام المحكمة عرفت صحيفة سوابقه اذ ترسل قوة البوليس التى قبضت عليه او السجن الذى أودعه نموذجا الى اسكتلنديارد طبعته عليه بصماته .

فعند وصول هذا النموذج وتعيين معادلة البصمات تفحص جميع بطاقات هذه المعادلة للبحث عن الخلافات الصغيرة مثل الانفصالات فى الحافات والدلتات ومواضع الاتصال والمنحدرات وما إليها مما يتفق مع ما يشتمل عليه النموذج الجديد وتكون النتيجة : اما أن توجد مجموعة من البصمات الماثلة واما أن يتبين عدم تسجيل بصمة ماثلة .

واذا عرفت صورة ما كبرت صورتها الفوتوغرافية وصورة البصمة المسجلة وتعين عليهما بوساطة الأسهم ست عشرة نقطة متماثلة فاذا وجد هذا العدد من نقط الانطباق كان مفروضا أن التماثل كامل فان التجارب الناتجة عن مقارنة ألوف من البصمات فى عدة سنوات مؤيدة للفرض .

وفى إحدى المناسبات منذ بضع سنوات أظهر فحص بصمات أصابع أحد المجرمين أن البصمات ماثلة للبصمات المحفوظة لحدى النساء فحوى وطيس الاعتراض على صحة التعرف على الشخص وقيل ان نظام بصمات الأصابع قد أخفق فى نهاية الأمر . غير ان الأمر لم يكن كذلك فان «امراة» متهمة بالتحريض على القسوة أخذت بصماتها ودفعت غرامة قدرها أربعون شلنا وأفرج عنها دون أن يتطرق الشك الى جنسها آننى هي أم غير آننى؟ ولكن عندما أديننت فى المرة الثانية « عادت » الى جنسها الحقيقى المذكور . فى بعض الأحيان يحاول المجرم أن يخفى شخصيته فيبصر البصمات

من أطراف أصابعه غير أنها سرعان ما تنمو بشكلها الأصلي بل انه يمكن إزالة الجلد من أطراف أصابع أحد الموتى بعد أن يكون التحلل قد تطرق اليه وأخذ البصمات منه ومع أن الطبقات السطحية للجلد قد تكون تحللت فان حافات البصمات تحت الجلد تظل به ويمكن نقلها منه .

وان راحة اليد وبطن القدم يحملان كذلك علامات مميزة وفي إحدى المناسبات تمكن كبير المراقبين تشريل من التعرف على الشخص من بصمة يد نغتت من خلال قطع في قفاز وجئت في مكان ارتكاب الجريمة غير ان هذه البصمات لا تستخدم الا في النادر ولذا لم يتجه التفكير الى عمل مجموعات منها .

ان المجموعة الرئيسية لبصمات الأصابع في اسكتلنديارد والتي تتألف من بصمات جميع الاصابع العشر تحتوى على أكثر من مليون وربع مليون وتكبر بسرعة ٥٠٠.٠٠٠ في السنة . ومع أن المجموعة تنقى بانتظام بإزالة بصمات المتوفين أو الذين بلغوا سنًا لا يحتمل معه انضمامهم في الجرائم الخطيرة ثانياً - فما زالت الحالة تدعو الى تنقية أكثر دقة . وبمجرد أن يتوافر العدد الكافي من الموظفين ستزال جميع البطاقات الخاصة بالبحرمن الذين لم يظهروا منذ ثلاثين سنة بل منذ عشرين وسيترتب على هذا احتمال ضياع قضية عابرة ولكن في سبيل تحقيق السرعة والدقة كان لابد من مواجهة مثل هذا النقص وعلى أية حال فالبطاقات التي تستخرج بالتنقية لا تتلف ولكنها تزال فقط وتنقل الى قسم «الأموات» .

والتنقية أمر لابد منه . لأن الزمن اللازم للبحث يتوقف على عدد البصمات الواجب فحصها وكثيرا ما يكون الزمن ذا أهمية حيوية لأن البحث لا يكون ذا فائدة عملية الا اذا أمكن اثبات صلة المتهم بصحيفة سوابقه في الوقت الذي ترفع دعواه الى المحكمة . هذا وان عمل بصمات الأصابع ليجتاج الى عدد كبير من الموظفين برواتب كبيرة ويتطلب دقة وتركيزا عظيمين . واذا تركت المجموعة تتضخم أكثر مما يجب قل انتاج كل عامل وزادت نفقات الادارة .

ويوجد بجوار المجموعة الرئيسية مجموعة للبصمات المنفردة تسجل فيها كل بصمة أصبع من الأصابع العشر في بطاقة خاصة ولهذه المجموعة وظيفة تختلف كل الاختلاف عن وظيفة المجموعة الرئيسية وليس المقصود بها ايجاد الصلة بين المتهم وتاريخه الماضى ولكن معرفة صاحب بصمة واحدة تركت في سجل ارتكاب الجريمة . فاذا كان واجبا فحص عشرة الملايين

من البصمات المنفردة في المجموعة الرئيسية لكان العيب فادحا متعبا قد يتعدل القيام به وهذا فعلا هو ماتحقق منه المكتب الاتحادي للمباحث في أمريكا حيث بلغ فيه عدد البصمات مقدارا ضخما .

وعلى ذلك قصرت مجموعة البصمات المفردة على بصمات المجرمين المعروفين الذين لا يزالون يزاولون أعمال الاجرام ، ولا تضم المجموعة الا بصمات السنوات الخمس الماضية ويبلغ عددها نحواً من مائة ألف ويجوارها مجموعة ماثلة من السنوات الثماني عشرة السابقة وهي لا تفحص الا في حالات القتل أو الجرائم ذات الأهمية غير المألوفة ويتخذ لتكوين هذه المجموعة تقسيم خاص مبنى على شكل الحافات الوسطى لطرف السبابة وقد أمكن بوساطة هذه المجموعة التعرف على نحو مائة وخمسين شخصا في السنة .

وثمة مجموعة أخرى هي مجموعة محال ارتكاب الجريمة وتشتمل على جميع البصمات غير المعروفة التي تركت في محال ارتكاب الجريمة ومن هذه المجموعة أمكن التعرف على نحو ١٧٥٠ شخصا في العام واليك مثالا بارزا على قيمة هذه المجموعة فقد وجد منذ بضع سنين بصمة سبابة يمنى كان يعتقد أن صاحبها لص وقد وجبت البصمة على كاس من كئوس التبيذ في أحد المنازل في واتفورد (١) كان اللصوص قد سطوا عليه وبعد عام قبض على رجل في هتشن (٢) وأخذت بصماته وأرسلت إلى اسكتلنديارد واستطاعت إدارة بصمات الأصابع أن تثبت أن بصمة سبابته اليمنى هي نفس البصمة التي على الكأس التي في حوزتهم وفضلا على ذلك فقد وجد في غضون الاثنى عشر شهرا التي تخللت هذه الفترة عدد من بصمات أخرى في منازل سطوا عليها اللصوص في مساحة تمتد حتى جلوستر شاير (٣) وليستر شاير (٤) وقد وضعت هذه البصمات في مجموعة محال ارتكاب الجريمة وعرفت هذه البصمات أيضا أنها بصمات نفس الرجل .

وتحفظ نسختان من الأوراق لأنواع قليلة من الناس ويعمل لها فهرس خاص لأن بعض البحارة الهنود يفرون من سفنهم في الموانئ

- 
- (١) واتفورد : إحدى مدن ولاية هرفوردشاير في الشمال الغربي من لندن .
  - (٢) هتشن : مركز زراعي كبير في نفس الولاية يبعد عن لندن ٢٢ ميلا شمالا .
  - (٣) جلوستر شاير : ولاية بريطانية غربي اسكتفورد .
  - (٤) ليستر شاير : ولاية بريطانية في الشمال الشرقي من برمنجهام .

البريطانية وتمثل عنهم تحريات كثيرة تحفظ أوراقها على حدة كما أن عددا كبيرا من الناس اعتادوا ارتكاب جريمة تدنيس أماكن العبادة ويبرر عندهم هذا أن تمسك لهم مجموعة خاصة كما يوجد غيرهم من الإخصائين .

وموظفو إدارة بصمات الأصابع جميعهم من ضباط البوليس وهم كقاعدة عامة يلتحقون بهذه الإدارة في بداية عهدهم بالخدمة ويقتنون بها سنوات عدة إن لم يقضوا فيها بقية خدمتهم البوليسية ولا يقتصر عملهم على ترتيب البصمات والتعرف على أصحابها بل أنهم يعاينون محال ارتكاب الجريمة للبحث عما يمكن أن يكون بها من بصمات ويؤدون الشهادة أمام الحاكم وهنا لا بد من الخبرة والتجربة لأنه يجب عليهم أن يقنعوا المحكمة بأنها في السنوات التي اكتسبوا فيها خبرتهم يفحص آلاف البصمات لم تعرض لهم حالة وجد فيها - أشخاص مختلفون ببصمات مماثلة - هذا إذا ما أثر في مناقشة الشهادة إمكان التعويل على الدليل المأخوذ من بصمات الأصابع .

وفي قضية جورج رسل المتهم بقتل عجوز مترربة في منزلها في ميدن هيد (١) نوقش كبير المراقبين تشريل مناقشة مطولة حول بصمة وحيدة لجزء من أصبع وجدت على فطاء صندوق صغير من الورق المقوى ادعى البوليس أنها بصمة رسل وكانت هناك أدلة أخرى ضد رسل أثناء المحاكمة غير أن اثبات أن البصمة بصمته كان ضروريا لتدعيم حجج النيابة العامة ويظهر أن شهادة تشريل كانت لها قيمتها الكبرى لدى المحكمين لأن رسل شفق .

وفي أمريكا وغيرها يعين موظفو إدارات بصمات الأصابع من بين المدنيين ولم يقر إلا أخيرا استبدال مدنيين بالثمانين ضابطا المستخدمين في أعمال البصمات بإسكتلنديارد حتى يتيسر بذلك تكليفهم أعمالا بوليسية أخرى. غير أن هذا الاستبدال سيستغرق بعض سنوات لأن من الضروري الاحتفاظ بعدد من ضباط البوليس إلى أن يحصل المدنيون على قدر كاف من الخبرة يمكنهم من الدفاع عن شهاداتهم وأدلتهم أمام المحكمة.

---

(١) ميدن هيد : مدينة على نهر تيمس في ولاية بيركشاير مشهورة بأنها مركز للتواريب .





الفصل الثالث عشر

معجل علم الطب الشرعي



مؤسسة لورد ترنشارد .. أسباب نقله من هندون الى  
اسكتلنديارد - كشف الجرائم بوساطة بقع الدم - بوساطة  
شظايا الزجاج - بوساطة رذاذ ( البوية ) - اعادة الكتابة  
المحوة - المعمل فى خدمة الدفاع - قتل « يوتزبار » \*

اذا كان رجل المباحث يريد أن ينجح فى عمله فيجب  
أن يفرس فى نفسه الروح العلمية عندما يبدأ فى جمع  
المعلومات عن الأشياء التى يصادفها فى طريقه وعليه أن  
يعود نفسه الصبر فى جمع الحقائق وعدم اغفال شئ منها  
مهما كان تافها . ان له الحق فى أن يكون نظرية و يفرض فرضا  
ولكن يجب ألا يضلله هذا أو أن يجعل الحقائق تتمشى مع  
نظريته بل على العكس يجب عليه أن يتبع الأسلوب  
الاستقرائى بأن يستخلص نظريته من الوقائع ويختبر صحتها  
دائما كلما جد جديد .

وبهذا التماثل فى البحث والنظرة العامة بين رجل العلم  
ورجل المباحث قد يبدو عجيبا ان رجل العلم لم يستدع  
الا أخيرا ليلعب دورا منتظما فى المباحث الجنائية وشذ من  
هذا اختصاصيا علم الأمراض وعلم السموم فقد استعين بهما  
منذ زمن طويل لتأدية الشهادة أمام المحكمة لاستطلاع رأيهما  
فى أسباب الوفاة أو الاصابة فى القضايا الجنائية ، غير أنه لم  
يعترف بالبوليس الا منذ ثلاثين سنة بخبير العلوم حليفا قيما  
فى هذه الجرائم . وفى الجرائم الأقل استرعاه للانتظار  
والوجهة لا لأحد الأشخاص بل ضد الممتلكات .

ومعمل الطب الشرعى أحد الابتكارات الكبيرة التى تدين  
بها اسكتلنديارد « للورد ترنشارد » وهو الذى أنشأه فى  
هندون سنة ١٩٣٤ لا لحمة بوليس الناصبة فقط بل لقوات  
بوليس المقاطعات الداخلية أيضا .

ومن الطبيعي أن يكون قد مضى بعض الزمن حتى تحقق ضباط المباحث من الطريقة التي يستطيع بها أن يساعدهم ، ولما شعرت أن من الأهمية بمكان أن يكون الاتصال قويا بين إدارة المباحث الجنائية والمعمل ، فقد انتهزت فرصة مبكرة لنقله إلى اسكتلنديارد حيث يكون الوصول إليه أقرب منلا وشجعت الضباط من جميع الرتب على زيارته ليقفوا على امكانياته ، وتعطي بيانات مباشرة في هذا الموضوع خلال الدراسة في مدرسة تدريب رجال المباحث وبعد أن اتسع العلم بموارد المعمل زادت الطلبات عليه زيادة مستمرة .

إن فحص المواد المعروضة على المعمل يستدعى أغلبها الاستعانة بخبرة الكيمائي وعالم الأحياء إلا أن طبيب الأمراض الباطنية وعالم المعادن قد تدعو الحاجة إليهما من وقت لآخر ، وإذا كان موظفو المعمل ليست لهم الخبرة الكافية فإن الخبراء الخارجيين يستدعون لاستطلاع رأيهم والمعمل يعول عادة على المساعدة الخارجية في ميدان علم الأمراض فإن بوليس لندن استطاع أن يطلب خدمات صف طويل من المتأخرين من علماء الأمراض من بينهم دكتور « كيث سمون » ودكتور « روتالد تير » والمرحوم سير « برنارد سنلسهى » .

وفي الحالات التي تضمن استعمال مفرقات يستطيع المعمل أن يذكر في قائمته مساعدة كبير مفتشى المفرقات بوزارة الداخلية .  
ولسنوات عدة كان « مستر روبرت تشرشل » يفحص الأسلحة النارية والنخيرة المستعملة في الجرائم .

وقد يكون الكيمائي هو الذي يقوم بأهم قسط من أعمال المعمل لأنه من الضروري بين وقت وآخر أن يتوافر فيه العلم بالسموم والمخدرات سواء أكانت عضوية أم غير عضوية وبالأصبغ والدهانات والألوان والمفرقات والمواد القابلة للاشتعال وبالأدوية والمعادن والزجاج كما أن كثيرا من الأشياء الفنية تقع في نطاق الطبيب كالتجليل الطبقي أو استعمال الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء .

وعلى عالم الأحياء أن يكون قادرا على تعرف جميع أنواع المواد الحيوانية أو النباتية كالمحبوب وشظايا الخشب والنشارة والدم والمنى أو الشعر الإنساني أو الشعر الحيواني ، وأن يميز الأنسجة من أى نوع حيوانية كانت أو نباتية أو معدنية أو صناعية ، ويجب أن يحيط بالتاريخ الطبيعى ، وأن يعرف خواص الأزهار والأعشاب على مختلف أنواعها مما ثبتت في البلاد والمواسم التي تزهر فيها النباتات أو تكون بنورها

وطريقتها في نثر الحبوب ، ويجب أن يمتد علمه إلى الطحالب والفطريات وإلى الأشكال الميكروسكوبية لحياة الحيوان والنبات ، وبمساعدة عالم المعادن تعرف الأنواع المختلفة للتربة بحسب ما تحتوي عليه من معدن .

ومن أهم أنواع الدراسة التي يجب أن يتعاون فيها الكيميائي وعالم الاحياء وعالم المعادن هو موضوع الأتربة لأنها قد تستخدم لإيجاد صلة بين المجرم والمكان الذي ارتكب فيه جريمته ، فالأتربة ذات أنواع لا حصر لها وقد تحتوي على مواد حيوانية أو نباتية أو معدنية أما مستعدة راسا من الأرض أو الكائنات الحية ، ولما من مواد مصنوعة وهي تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية : تراب الطريق ، والتراب الذي تسفيهه الرياح ، وتراب المصانع الذي يوجد حول الأماكن مثل مصانع الاسمنت وطواحين الغلال أو مصانع الأدخنة ( البويات ) ، وتراب الحرف مثل الهباب أو تراب الفحم الذي يوجد على الكناسين أو عمال المناجم أو الحيرة والعفن الذي يوجد على ملابس عمال مصانع البيرة .

ولنبداً أولاً بفرع الاحياء : كانت أسرتان تعيشان في شقة بالدور العلوي من منزل في سووث ايسست بلندن تتألف الأسرة الأولى من زوج وزوجته وابنتين ، وتتألف الأخرى من ابنته المتزوجة وزوجها وطفلهما وكانت العلاقة بين الاسرتين تتوتر في بعض الأحيان ، وفي أحد الأيام تهجم زوج الابنة على حميه ، وفي مساء ذات يوم بعد اسبوع خرج أكثر افراد الاسرتين ولم يبق في المنزل الا الحماة وزوج ابنتها وعادت احدي البننتين حوالي الساعة الحادية عشرة فوجدت امها ميتة تفوس في بركة من الدماء وقد امتلئ عليها بسكين وهي ملقاة على فراشها وكان عدد الجروح لا يقل عن أربعة وعشرين جرحاً وكان ظاهراً أنها استياست في الدفاع عن حياتها وأن المعتدى لابد أن يكون على ملابسه كثير من الدم .

ووجد على لحاف في غرفة الصهر ما يشبه بدا يسرى ملوث بالدم وكان على باب الفرفة لطفة من الدم ولم يعثر على السلاح كما لم يوجد الصهر .

بعد ثلاثة أيام حوالي الساعة الثالثة صباحاً أوقف رجل البوليس في « رمس جيت » رجلاً لم يكن يرتدى الا معطفاً للمطر وقميصاً وحذاء وساعة في معصمه وخاتماً وكانت قصته انه راح يستحم فسرقت ملابسه واشتبعت رجل البوليس صحة هذه الرواية وارتأب في الحال في أنه هو الصهر المختلف بعد أن وزعت أوصافه على رجال البوليس واعترف الرجل

بذلك ولكنه نفى بشدة علمه بأى شيء عن حادث القتل .

وفحص القليل الباقي لديه من ملابس ومتعلقات أخرى فى معمل الطب الشرعى فوجد على معطف المطر بقع من دماء بشرية كما وجدت لطنج دموية داخل الأحذية ، وأعطى الحاتم أيضا رد فعل ايجابى للدم ولو أنه لم يوجد أى أثر ظاهر للدم على ساعة المعصم . وعندما نزع منها غلافها الخلفى ظهر غشاء خفيف من الدم دل على أن بعضا منه تسرب الى ما بين الخلاف وجسم الساعة .

ووجد أكثر الدم من فصيلة دم القتيلة وكذلك كانت بقع الدم المتروكة على اللحاف وباب غرفة النوم . اما باقى الأدلة ضد الصهر فلم ترق الى أكثر من الشبهات وكانت شهادة معمل الطب الشرعى فقط الدليل القوى وبناء عليها وجهت اليه تهمة القتل وعند محاكمته ذكر أنه من سوء حظه أن أضاع ملابسه لأنها لو كان يرتيها وكان يمكن تقديمها لكانت خالية من الدم وعلى النقيض من هذا لو كانت ملوثة بالدم لكان من مصلحته العظمى اخفاء الملابس وعلى هذا اتخذ المحكمون قرارا بأنه مذنب .

واليكم قضية كان على فرع الطبيعىات أن يعالجها ، بدأت حينما أوقف رجلان فى سيارة بشبهة انهما سطوا على حانوت وسرقا بعض البضائع وانكر بشدة كلا الرجلين هذا ومع ذلك فقد ارسل الى المعمل ملابسهما مع كناسة أرض السيارة وقطع الزجاج من باب الحانوت المكسور لفحصهما وأمكن أن يستخرج المعمل من الكناسة المأخوذة من العربية بعض قطع الزجاج الصغيرة كما وجدت قطع أخرى صغيرة فى ملابس الرجلين وقورنت كلها بزجاج النافذة المكسورة ، وأثناء المحاكمة تقدم خبير العلوم المعين فى المعمل وأدى شهادته بأن جميع الزجاج المضبوط له خواص طبيعية متماثلة مما يدل على أن مصدره واحد وحاول كلا السجينين أن يفند هذه الشهادة فادعى أحدهما أن الزجاج الذى على ملابسه كان من كوب كسر فى محل عام وادعى الآخر أن الزجاج وقع على ملابسه من نافذة كسرت فى بيته فاستحضرت قطع من الكوب ومن النافذة وقورنت بالبقايا المجموعة من ملابس الرجلين ومن كناسة السيارة ولكنها وجدت مغايرة لها كل المغايرة وشرح القاضى الموقف للمحكمين وظهر أن شهادة الخبير لا يمكن نقضها ودلت على أن كلا السجينين كانا حتما فى الحانوت فى الوقت الذى كسر فيه الزجاج . وأدين الرجلان .

أما الفرع الكيمياء فكثيرا ما يستعمل به فى حوادث المصادمات التى

تقع من السيارات فهي مساء أحد أيام الشتاء استدعى البوليس الى طريق  
في « ستون » في مقاطعة « صرى » حيث أصيب سائق دراجة اصابة  
خطيرة وقد رأت امرأة شابة كانت تسير في ناحية قليلة الضوء من الطريق  
سيارة نقل تصدم راكب الدراجة الذي كان يسير على تل قليل الارتفاع  
عبر الطريق .

مالت سيارة النقل فجأة وأسرعت في السير واستدعت الفتاة الاسعاف  
والبوليس ونقل الرجل الى المستشفى ولكنه توفي بعد أيام دون أن يتمكن  
من النطق ولم تستطع الشاهدة - كما يحدث في مثل هذه الظروف -  
أن تعطي بيانات أكثر من أن سيارة النقل كانت سسيارة مفتوحة ولم  
نر رقمها ولا أذيع الخبر بالراديو تقلم شاهد آخر وكان رجلا قريبا من  
محل الحادث وقت وقوعها ورأى سيارة مرت بجانبه في سرعة كبيرة وسمع  
صوت اصطدام وبعد هذا بدقة وصل الى المصاب والمرأة الشابة ولم  
ير رقم السيارة ولكن بعد ثلاثة ارباع الساعة كان لا يزال في مكان  
الحادث وجد سيارة مماثلة تمر بجانبه في الانحناء المضاد واستطاع أن  
يرى فقط الحروف FLX دون رقم السيارة .

بهذا البيان الهزيل عمد البوليس الى فحص جميع اللوحات الخاصة  
بسيارات النقل من هذا الطراز والتي تحمل الحروف FLX وتعقب  
البوليس كل سيارة من هذا النوع وفحصها وسأل أصحابها وساتقيها  
وناقش أقوالهم وأخيرا وجدت سيارة نقل نزع عنها أخيرا أحد مصابيحها  
الاماميين وكان بها قليل من التلف أيضا ظهر أنه حديث العهد وقد أصابها  
في مقدمة أحد جانبيها وكانت السيارة احدى سيارات عدة تملكها شركة  
في « صرى » وأنه كان يسوقها واحد من عدة رجال يعملون في المساء  
فستلوا جميعا ولكنهم انكروا أنهم أخرجوا السيارة في وقت الحادث ولم  
يتيسر الحصول على تفسير مقنع للضرر الذي أصاب السيارة ولعدم وجود  
أدلة كافية كان يخشى وقف تحريات البوليس عند هذا الحد .

وفي هذه المرحلة تقرر الالتجاء الى مساعدة محل الطب الشرعي  
ودل فحص ملابس القتيل والمراجعة على أنها صلحت بحاجز تصادم  
السيارة الامامي لأن شكل الحاجز انطبع من أثر الاصطدام على الدراجة  
ووجد بالاجزاء الخلفية بالدراجة آثار دهان ليست منها ثم وجد فيما  
بعد على ستره المتوفى وسراويله علامات سوداء وخضراء يظن أن تكون  
علامات دهان وجدت في الأنسجة على الكتف والظهر .

واحتفظ بهذه الأشياء لتكون محل فحص دقيق بالمعمل وفحصت

للسيارة التالفة في حظيرتها ووجد في الحاجز انبعاث خفيف ولكن الذى كان أكثر دلالة هو الدهان الذى أزيل من جزء منه وكان يتألف من عدة طبقات وجد متفقا مع الكمية المتصقة بالدراجة وأخذت نماذج من جميع ما على السيارة من دهان أسود وأخضر وأرسلت الى العمل وهناك أثبت الفحص والتحليل الدقيقان بما لا يدعو الى الخطأ أن الدهان والعلامات التى على الدراجة والملابس تماثل ما على السيارة المشتبه فيها ولا بد أن تكون منها .

ولما ووجه أحد عمال المصنع بهذه الوقائع اعترف بأنه كان يسوق السيارة فى ليلة الحادث على الطريق الذى وقع فيه الحادث فوجهت اليه التهمة وأدين .

واليك مثالا غريبا للعمل الذى يؤديه العمل بين المسالك المجهولة غير المنتظرة التى يوجه اليها رجل المباحث ، فحوالى أواخر سنة ١٩٥٣ حضر الى أحد مراكز بوليس لندن أصحاب مكاتب المراهنة وشكوا اليه من أن عصاية تترقبهم بتزويرها قصاصات مراعاة يطالبون بموجبها بالحصول على أرباح لم تحصل أبدا وكانت القصاصات تسلم الى مكتب المراهنات بالطريقة المعتادة وعليها أسماء الخيول المختارة ومكتوب عليها قيمة مبلغ المراهنة بقلم الرصاص وكان يطلب المتراهنون إعادة القصاصات بعد السبق بحجة أنهم يرغبون فى الاحتفاظ بها فى سجل مراهناتهم ولم يمانع المكتب فى ذلك . وفى نهاية اليوم كان يعيد البطاقات بعد أن يلفيها برسم خطين متعامدين على قيمة الرهان المكتوب بالرصاص وكان الالغاء يتم بواسطة قلم ذى طرف دائرى .

كان هذا الترتيب هو الذى أعطى الفرصة للمتراهنين والمزيفين لأنهم كانوا يأخذون القصاصات للغاء ويسمحون الأسماء المكتوبة بالرصاص ويضعون بدلا منها بالحبر الذى يستعمله مكتب المراهنة اسم أو أسماء بعض الخيول الراجعة وبعد ذلك يعودون الى المكتب ويدعون أن القصاصة الفيت بطريق الخطأ بينما أن بعض الخيول المذكورة فيها قد ربحت السباق ومع أن المكتب لم يستطع أن يدرك كيف وقع الخطأ كان يدفع القيمة ولكن لما تكررت المتأورة من أناس متعددين ساوره الشك فعندما طلب منه دفع مبلغ خمسين جنيهها فى رهان مزدوج استدعى البوليس .

أخذ رجال المباحث بعض القصاصات المشتبه فيها وأرسلوها الى العمل لفحصها وتمت الجهر أمكن بسهولة رؤية آثار مادة الجرافيت التى كتبت بها أسماء الخيول فى المرة الأولى قبل محوها وكشف الفحص بالأشعة



تحت الحمراء أجزاء من الحروف في الأرقام التي كتبت أصلا بقلم الرصاص وزيادة التدقيق في فحص المواضع التي كتبت عليها أسماء الخيول بالخبر ظهر أنها كتبت فوق خطي الألفاء وعلى ضوء هذه الشهادة وجهت التهمة إلى ثلاثة رجال وادّينوا بتهمة التآمر والادعاء الكاذب واستعمل مستندات مزورة وصدرت عليهم أحكام بالسجن لمدة مختلفة .

والغرض الذي يهدف إليه إنشاء المعمل : هو أن يقدم بيانا نزيها بالنتائج التي انتهى إليها والاستنتاجات المفصلة التي يمكن أن تستنتج منها وقد تكون في مصلحة المتهم أو ضده ، وكثير من القضايا لا تقام فيها الدعوى لأن النتائج التي وصل إليها المعمل تشهد ببرائة المتهم . وفي بعض الحالات يلجأ البوليس إلى الاستعانة بالمعمل كما حدث في قضية ( كريستي ) حيث طلب الدفاع إخراج جثة ( مسز بيول ايفنس ) من القبر وكان يقوم المعمل بتسقط من الأبحاث بناء على طلب الدفاع يعادل ما قام به منها بناء على طلب الاتهام .

وفي قضية أخرى أحيل على المحاكم رجل اتهم باختفاء دراجة مسروقة ودافع عنه محاميه بأنه بريء وطلب أن يفحص المعمل الدراجة وهناك ظهر أنها من طراز مخالف لطراز الدراجة المسروقة وأنها لم تطل أبداً باللحان بالطريقة التي ذكرها الاتهام وأن الرفارف لم تصنع من المادة التي ذكرها المبنى عليه وإزاء هذه الظروف لم يجد الاتهام أي دليل عنده فاطلق سراح الرجل .

وفي قضية أكثر استعلاء للأمر اتهم رجل بأنه خنق زوجته وقد وجهه البوليس ورأسه في فرن يوقد بالغاز إلا أن آثار التسمم بالغاز كانت قد زالت تماماً وقد أدلى مستر « نيكولز » الرئيس الحالي للمعمل بشهادة تؤيد الاتهام وكان يجلس في المحكمة عندما سرد الدفاع قصته وقال إن المتهم أثناء شجاره مع زوجته قبض على حنجرتها فتمشرت في مشيتها وتبين أنها ماتت ولما أفاق حدث منه ندم وحاول أن ينتحر وأنه لا بد أن يكون مضى عليه وهو فاقد الشعور ثمان وأربعون ساعة وهو ملقى على الأرض .

تطوع في الحال مستر ( نيكولز ) وقدم بعض البيانات للدفاع فقد رأى أن المتهم يتبول في ملابسه وأن البول امتص بعض الألوان من الملابس الداخلة وهكذا يكون قسطن من قصة الرجل قد تأيد ولما سمح الدفاع هذا طلب أن يستدعى مستر « نيكولز » للشهادة وعلى ضوء

شهادته الجديدة أصدر المحكمون قرارا بأن المتهم ارتكب جريمة قتل .

وربما كان أعظم نجاح أحرزه العمل طوال مدة قيامي بأعمال الحكماء قضية لم يوجه فيها أى اتهام . ففى أحد أيام مايو سنة ١٩٤٨ رأى أحد السكان المحليين وهو يسير فى ميدان لعبة الجولف فى «بوتازبار» بدا وذراعا لانسان فى إحدى البرك فأبلغ البوليس الذى جفف البركة فى خلال الأيام القليلة التالية فوجد الأجزاء الأخرى من جثة آدمى مقطعة الأوصال ولما ضمت الأجزاء بعضها الى بعض ظهر انها جثة رجل يبلغ طوله نحو خمسة أقدام وست بوصات وعمره من ٢٥ الى ٤٥ سنة ووجد ثقب فى جبهته ووجد داخله قطعتان من العظم دلتا على أن الوفاة نشأت عن ضربة عنيفة على الجبهة وكانت أجزاء الجثة فى دور متقدم من التحليل وذكر دكتور « تير » أن الوفاة حدثت على حسب ما يرى منذ أربعة أشهر أو ثمانية وفى الحال روجعت أسماء جميع الرجال الذين بلغ عن اختفائهم فى تلك الفترة وقد عرفوا جميعا الا واحدا وهو « البرت وليم ولش » البالغ من العمر ٤٥ سنة والذى اختفى من داره فى « بوتازبار » فى ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ ودلت التحريات على احتمال أن تكون البقايا هى بقايا جثة ولش ولكنه كان عمل المحلل هو الذى اقنع المحكمة أنها جثة ولش .

ركز العمل اهتمامه على ثلاث نقط رئيسية :

١ - الجمجمة : فحصل على صورة فوتوغرافية ولش وعمل منها نسحا شفافة وعمل من الجمجمة التى وجئت فى البركة صورة فوتوغرافية ووضعت كلتا الصورتين الواحدة فوق الأخرى ودلت الخطوط الخارجية والميزات الرئيسية على تشابه كبير بين الصورتين لم تدع مجالا للشك فى أن الجمجمة هى جمجمة ولش .

٢ - الأسنان : وقد كان معروفا أن جميع أسنان ولش نزع من بضع سنوات وهكذا كانت أسنان الجمجمة ووجد ما يدل على وجود خراج فى الفك الأعلى وعرف أن ولش كان يشكو ألما كان فى هذا الموضع قبل اختفائه .

٣ - الأقدام : فقد حصل البوليس من زوجة ولش على حذاء له وعمل قالبا من الجبس والجيلاطين أخذ لباطن كل حذاء ولكى يتجنب خطر الانكماش أخذت صورة فوتوغرافية فى الحال لهذين القالبين وأظهرت الصور الفوتوغرافية آثار أقدام فى الحذاءين ولا سيما علامة للإبهام بها بعض التضخم وأخذت صورة بالأشعة للأقدام التى وجئت بالبركة بعد أن

جمعت إحدى القدمين بسبب الانحلال الذي أصابها وعملت صورة شفافة للصورة التي أخفت بأشعة أكس ووضعت فوق الصور المأخوذة للقالبين الداخليين للحذاء وأخير مستر هولدن الذي كان رئيسا للمعمل حينئذ أنه يرى اتفاقا تاما بين صور الأشعة وآثار الاقدام داخل الحذاء .

ولقد اهتمت اهتماما بالغا بهذا الجزء المدهش من أعمال التجميع التي يقوم بها المعمل . غير أن موظفيه -ككل جماعة من العلماء- كان همهم منصرفا الى الجزء الفني وحده :

أما موضوع القتل فكان أمرا ثانويا . ان كل ما لديهم هو بقايا جثة فمن هو صاحبها ؟ .

ان ما حصل عليه المعمل كان كافيا للتعرف على شخصية ولش بما أقنع ضابط الوفيات وقد هتاهم على ما بذلوا في هذا السبيل وأصدر المحكمون قرارا بوجود جريمة قتل عمد ارتكبتها مجهول أو مجهولون وعين تاريخ الوفاة بأنه ١٧ أو ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ . وحتى المعمل لم يستطع أن يعين على توجيه البوليس الى اتهام شخص معين بالذات .



الفصل الرابع عشر

مقتل ستانلي ستي



سنتى يختفى - الثور على جفحه والتعرف عليه بوساطة  
بصمات الأصابع - الطائرة وكشف الجريمة - هيوم يلى  
بأقوال فيتهم - تكوين الدعوى التى ترفع ضده - المحكمون  
يختلفون عند محاكمته الأولى - الاتهام بالقتل يسحب \*

ليس كل اتهام من قبل البوليس يكلل بالنجاح ولكن  
الافلاق لا يستوجب حتما الانتقاص من سمو العمل الذى تؤديه  
ادارة المباحث الجنائية فى سبيل إظهار كل الوقائع • حقا انه  
كلما ازدادت الوقائع صعوبة وعموضا كلما ازداد احتمال أن  
يتخذ المحكمون قرارا يفاير النتائج التى وصل اليها البوليس  
بسبب ما يعثور الوقائع من اضطراب وما يساور المحكمين  
من شك برى • فاذا حصل هذا هز الضباط المختصون اكتافهم  
وعرجوا على التحقيق التالى راضين بأنهم أدوا واجبهم بأن  
قدموا للمحكمة كل الوقائع التى لها صلة بالدعوى وقضية  
• ستانلى سنتى • مثال لهذا •

فى ٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ حضر شخص اسمه مستر  
« على ارام أورى » الى مركز بوليس شارع البانى وأبلغه أن  
صهره زوج أخته المدعو « ستانلى سنتى » من أهالى فلسطين  
البالغ من العمر ٤٦ عاما تغيب عن منزله وكان سنتى يتاجر فى  
السيارات وكانت آخر مرة رآته أخته فيها فى ٤ من أكتوبر فى  
طريق « يوستن رود » يقود سيارة ستروين صفحية اللون  
وعليها رقم ( ٤٤٤ ) واستطاعت أخته أن تصف ملابسه لأنه  
توقف ليحدثها بأنه لن يحضر للمساء • وبعد ذلك بدقائق رؤى  
لآخر مرة يقود سيارة فى شارع يورتلند • ودلت التحريات  
على أن « سنتى » فى ذلك اليوم تسلم ١٠٠٥ جنيهات أوراقا  
من ذات الخمسة جنيهات أداء لثمن سيارة باعها وكانت أرقام

حائزين منها متسلسلة تبدأ من رقم ٢٩٨٠١-٤١ إلى ٤١٠٠٠٠-٤١ ، ولدت أسبوعين تقريباً ظلت تحركات ستي مراراً من الأبرار ثم حدث في ٢١ أكتوبر أن عاملاً زراعياً اسمه « سدي تيفن » كان يقود قاربه في المياه الضحلة بجوار « اسكس » بحثاً وراء الطيور غير المتوطنة فوأت حزمة رمادية طافية على وجه الماء وكانت تبدو على شكل أجزاء من الفراش مربوطة بحبل ولما قطع الحبل طفا جذع آدمي وكانت اليدين مصصتين من وراء الظهر بحزام من جلد وكان على الجسم حمالات فربط مستر « تيفن » الجثة إلى عمود ثبته في الوحل وانصرف ليبخل البيوليس عما عثر عليه وبعد الكشف الطبي على الجثة في « شلسفورد » أرسل الجذع إلى مستشفى لندن وأرسل اللباد الذي كان ملفوفاً فيه والحبل والملابس التي وجدت معه إلى معمل التحليل في اسكتلنديارد .

أظهر الكشف الطبي على الجثة أن الرأس والساقين فصلت كلها بألة حادة وأن عظام الفخذ قطعت بمنشار وكان على الصدر جروح قطعية يحتمل حدوثها من سلاح ذي حدين ، وأن هذه الجروح تسبب عنها الوفاة وأن جميع الأضلاع وعظام الحوض التي تحمي المثانة والجزء الأسفل من العمود الفقري كسرت بعد الوفاة وتتنق الإصابات مع حالة السقوط من ارتفاع عال ولم توجد كدمات أو ما يدل على عنف بالخ . وفي رأى الأطباء أن الوفاة حدثت قبل غمر الجذع في الماء بثمان وأربعين ساعة ثم قدر اختصاصي علم الأمراض أن الجذع ظل في الماء ٢١ يوماً .

نزع الطبيب الجلد من أصابع كلتا اليدين : ومن بصمات الأصابع بعد نزع الجلد استطاعت إدارة بصمات الأصابع أن تقول : إن هذه البصمات هي بصمات « ستانلي ستي » التي سجلت له حينما أدين في تهمة تزوير . في سنة ١٩٢٨ .

استعان في خلال هذه المرحلة رئيس كونستابلات اسكس التي توجد في دائرتها الجذع ببوليس العاصمة فنذب المساعدة في التحقيق أحد مراقبي البوليس وجاويش مباحث . وظهر في صحف يوم الأحد ٢٢ من أكتوبر خبر العثور على الجثة . وفي ٢٤ من أكتوبر تقدم كبير مهندسي نادى طيران الخدمات المتحلة في « الستري » وقال انه في ظهر يوم ٥ من أكتوبر حضر رجل اسمه « هيوم » الذي عرفه من زيارة سابقة للمطار ليستأجر طائرة « أوستر » طوال بعد الظهر ودفع أربع أوراق بنكنوت من ذات الجنيهات الخمسة لتسوية حساب سابق وحلق بالطائرة في الساعة الخامسة قائلًا انه ذاهب إلى صوث اندو وفي الصباح التالي



غاد وقال انه ترك الطائرة في مطار البلدية بسموث اند حيث اعزم ان يستردا خلال النهار وان يعود بها الى الستري .

وشرع البوليس في الحال في استجواب كل شخص له صلة بالمطار تستطيع ان يدلى بأى بيان عن رحلة تلك الطائرة . فقدم أحد ميكانيكيي الطيران بيانات على أقصى ما تكون من الأهمية فقد قال : انه عرف هيوم وتذكر انه منذ حوالى ثلاثة أسابيع حضر الى المطار في سيارة سوداء ماركه منجر وأنه اخذ من السيارة طردا ملفوفا في مادة سمراء مربوطا بحبل ووضعها في طائرة ماركه « أوستر » وكان حجم الطرد نحو قدمين وست بوصات في قدم وتسع بوصات ، ومن الطريقة التي كان يحمله بها « هيوم » يظهر أن الطرد كان ثقيلًا ، وذكر أحد البرادين الذين يعملون في الطيران والذين استجوبوا أيضا أنه يتذكر أنه رأى « هيوم » يصل الى المطار في عربة حوالى الساعة الخامسة مساءً من أكتوبر وأنه اخذ من السيارة طردين كبيرى الحجم فوضعها في الطائرة ، وأيد هذه الرواية براد آخر وأطلع هذان الرجلان فيما بعد على اللباد والحبل اللذين كان الجذع ملفوفا بهما وقال كلاهما انهما شبيهان بما كان على الطردين اللذين وضعهما « هيوم » بالطائرة .

ثم ظهر أعضاء نادى الطيران للخدمات المتحدة وقد كان يعيش في نادى الطيران « بسموث اند » يوم « من أكتوبر » وتذكر أنه في ذلك اليوم حبطت طائرة من طراز أوستر على مطار « بسموث اند » وأن « هيوم » خرج من الطائرة وطلب اليه أن يعود بها الى الستري ولكنه رفض وكان واتفا أن الطائرة أوستر كانت خالية من أى طرد في ذلك الوقت .

ولما غادر « هيوم » الطائرة في بسموث اند عملت تحريات عن المطار هناك لمعرفة ما اذا كان استأجر منها سيارة ليعود بها الى لندن فقد اتفق أن سائقا تستخدمه شركة تأجير سيارات تذكر أنه أركب معه قائد طائرة من طراز « أوستر » وأوصله الى كولد زجرين وأنهما غادرا « بسموث اند » في نحو الساعة ١٢.٠٠ م ودفع له الراكب أجره بورقة بنكنوت من ذات الجنيهات الخمسة استخرجها من بين حزمة من الأوراق .

دلت دفاتر « بسموث اند » أن الطائرة أوستر غادرت المطار متجهة الى الستري في الساعة ١٢.٤٧ م في اليوم التالي وأظهرت التحريات التالية شاهدا رأى قائد الطائرة ينقل طردا كبيرا ثقيلًا من سيارة الى طائرة حوالى الساعة الرابعة مساء يوم ٦ من أكتوبر فعرض مساعدته ولكن قائد الطائرة رفضها وظهر من الوصف أنه هو « هيوم » ومع ذلك فالطائرة لم تطر

رأساً الى « الستري » ولكنها هبطت فى مطار قريب من « جريفزاند » فى  
حوالى السادسة الا ربعا مساءً وأن قائد الطائرة الذى ذكر أنه هيوم  
استأجر سيارة أجرة للذهاب الى لندن وكان يحمل سجادة خضراء مربوطة  
« بدوابة » ، وأمكن الاهتداء الى سائق التاكسى الذى تذكر أنه أوصل  
هيوم الى حى « فنتش لاي » وتقاضى أجره أيضاً من ورقة مالية فئة الجنيهات  
الخمسة .

وقد عقلت من قبل على الطريقة المقرونة بالصبر التى يبنى بها  
البوليس من تحرياتهم قطعة قطعة صورة كاملة للحوادث العابرة فجذع  
كجذع ستنى وجد فى ٢١ من أكتوبر وفى ٢٦ منه جمع البوليس كثيراً  
من التفاصيل التى ذكرت ثم حان الوقت ليسمعوا ما الذى يريد أن  
يقوله « هيوم » نفسه عنها فتوجهوا اليه فى مسكنه الذى يتألف من  
منزل صغير فى الطابقين الثانى والثالث من منزل بـ « جولدزجرين »  
وطلبوا اليه أن يصحبهم الى مركز البوليس .

وفى أثناء الطريق قال «هيوم» لماذا كل هذا ؟ فأجابوه : نحن نحقق  
حادث قتل ستانلى ستنى . فقال هيوم : انى لا أستطيع مساعدتكم فى  
هذا الشأن لأنه لأعلم لى بشئ عنه .

ولما طلب اليه أن يصف تحركاته يومى ٤ و ٥ من أكتوبر ورحلته  
بالسيارة الى الستري يوم ٥ منه قال : أولاً انه لم يقد سيارة خلال  
الثلاثة أو الأربعة الأشهر الأخيرة فذكر له البوليس أنه رأى يقود سيارة  
فى مطار « الستري » يوم ٥ من أكتوبر وحينئذ اعترف هيوم بأنه قاد  
فعلًا سيارة الى المطار وفى ذات اليوم المذكور وأنه استأجر طائرة لينهب  
بها الى سوثاند ولكنه لم يكن معه أى طرد .

وفى اليوم التالى كرر هذا الانكار ولما أخبر أن شهودا رأوه وهو  
يضع طردين فى الطائرة فى الستري وفى سوث اند - حلت اللحظة  
المؤثرة وهى اللحظة التى تهز مشاعر أقسى رجال البوليس ، ووضع هيوم  
رأسه بين يديه وهو يسب نفسه سباً قبيحاً .

لا يعرف الانسان ماذا يدور فى ذهن الرجل المشتبه فيه فى هذه  
اللحظة ، لحظة الاتهام ، قد يظن أحدهم لابد أنه اليأس ازاء ثقل معلومات  
البوليس ويقظة أحزانه وشعوره بعدم جنوى محاولة اخفاء أى شئ فما  
الذى يحيطون به علما وما مقدار الحقيقة التى يؤمن جانب اخفائها ؟ .

وادلى « هيوم » ببيان مطول ذكر فيه أنه فى ٣٠ من سبتمبر قابل

رجلين صماهما ماك وجرين فى مكتب تاجر سيارات فى « ورن سنريت »  
وأنة اتفق على أن يقود لهما طائفة تقلهما من والى أوربا להתرب من دفع  
الرسوم الجمركية وفى يوم ٥ من أكتوبر بين الساعة الثانية والثالثة مساء  
زاده فى بيته ماك وجرين وآخر يعرف باسم بوى ومعهم طردان قالوا انهما  
يحتويان على صفائح أو مكابس تستخدم فى طبع كوبونات بترول مزورة  
وطلبوا اليه أن يلقي بهما فى البحر فوافق وتقاضى أجر ذلك خمسين جنيه  
مكونة من أوراق مالية من فئة الجنيهات الخمسة فوضع الطردين فى خزانة  
المطبخ وبعد الظهر وضعهما فى سيارته وقادها الى «المستري» وهناك  
نقلها الى الطائفة وطار متجهابها الى سوث اند وعرج على البحر وفتح الباب  
المجاور لقائد الطائفة وألقى كلا من الطردين فى الماء على بعد أربعة أميال  
أو خمسة من الشاطئ .

وصف بعد ذلك هبوطه بالطائفة فى سوث اند والسيارة التى اقلته  
الى داره وأنه لما بلغها قابله « ماك » فأخبر ماك بأنه الذى بالطردين فى  
البحر وأن ماك قاده عبر الطريق الى سيارة من طراز همبر كان بها «جرين  
وبوى » وكان فى خلف السيارة طرد كبير الحجم وسأله ان كان يستطيع  
أن يلقي هذا الطرد أيضا فى البحر وأعطاه (بوى) مائة جنيه وحملوا الطرد  
الى داره ووضعوه فى خزانة المطبخ كالكرة الأولى وفى اليوم التالى أنزل  
الطرد ووضعوه فى سيارة مستأجرة بمساعدة مستخدم فى الحظيرة وبينما  
هو يفعل ذلك سمع صوت حشرة يخرج من الطرد فظن أنه ربما كان به  
جثة آدمى وجال بخاطره أنها قد تكون جثة ستي الذى كان يعرفه .

ولو أننى كنت أسجل كتابة أقوال «هيوم» فانى أظن أن الاغراء  
كان يدفعنى الى أن أوجه اليه سؤالا عن هذه النقطة « أى حياة هذه التى  
تعيش فيها ، هذه الحياة التى تسمع فيها صوت حشرة تخرج من الطرود  
وتظن فى الحال أنها صادرة عن جثة ؟ كيف يتسنى لك أن تفكر فى ستي ؟ »  
ولكن ليس هذا النوع من الاسئلة هو ما يمد الضابط المحنك مقيسدا  
عندما يتولى الاستجواب .

استطرد « هيوم » يقول كيف أنه قاد السيارة الى «سوث اند» ومع  
الطرد وكيف وضعه فى الطائفة وحلق بها وكيف تمكن مع بعض الصعوبة  
فى القائه فى البحر قريبا من نفس المكان الذى الذى به الطردين الآخرين  
ثم فقد أعصابه وهبط بالطائفة فى « فافرشام » وحلق ثانية ثم هبط فى  
جريفزانده حيث ترك الطائفة واستأجر «تاكسى» ليعود الى لندن وجينسا

رأى ما ذكرته الصحف عن اختفاء ستى وأرقام الأوراق النقدية التي كانت في حوزته وبيع الأرقام التي أعطاهها إياها « بوى » فوجد أن أربعة منها كانت ضمنها وفي يوم الأحد ٢٣ من أكتوبر قرأ عن العثور على جزء من جثة ستى وبعد ذلك فوراً كلمه (بوى) تليفونيا فحذره من أن يقول شيئاً للبوليس فمئذ هذا الوقت لم ير أحداً من هؤلاء الرجال الثلاثة ولم يسمح عنهم شيئاً ؟

اخفقت التحريات العميقة التي عملت في ورن ستريت وفيما يجاوه فلم يعثر على أى شخص رأى «ماك وجرين وبوى» أو سمع عنهم والحق أنه يوجد كل سبب للشك في أنهم أشخاص حقيقيون «وهيوم» نفسه عندما سئل عنهم مرة أخرى قال انه ليس لديه ما يضيفه من بيانات عنهم وفي هذا المساء وجهت اليه تهمة قتل «ستى» فجواباً على هذا الاتهام قال « لا لم أقتله انى لست مذنباً » وفي اليوم التالى قدم للمحاكمة أمام محكمة بوستريت وأجلت المحاكمة حتى ٥ من نوفمبر ، واستمرت تحريات البوليس في هذه الفترة وتبين أن «هيوم» كان في حاجة شديدة للمال ولكنه في ٥ من أكتوبر أودع البنك مبلغاً من المال ووجد شهود يشهدون بأن «ستى» كانت له علاقات تجارية «بهيوم» وأنه وجد معه في سسنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ فلما سئلت زوج هيوم أنكوت معرفتها بأى شيء عن رجال ثلاثة زاروا زوجها في ٥ من أكتوبر وكذلك بالرجلين اللذين زاراه مساء ذلك اليوم ومعها طرد كبير وأنها لا تعلم شيئاً عن طرد حمل من المطبخ في صباح اليوم التالى .

كان معمل الطب الشرعى يشغل أيضاً في القضية فتيبن له أن سم القتل من فصيلة «ه» وفي ٢٥ من أكتوبر بحث مدير المعمل الطائرة أوستر ووجد آثار دم على أرضها خلف مقعد قائدها وفحص أيضاً سجادة خضراء أخلت من مسكن هيوم ووجد عليها بقعة دم آدمى غير أن السجادة نظفت وصبغت وكان يستحيل القول بنوع فصيلة الدم التي تنتمى إليها البقعة وأثبت فحص أرض غرفة الأكل وجود آثار من فصيلة «ه» تسرباً إلى الشقوق بين ألواح الأرض الواقعة بين غرفة الطعام والمطبخ ، ووجدت آثار مماثلة على الأخشاب التي يوضع تحتها البياض وعلى حافة حوض غسل الأيدي الموجود بالمعالم وفي ٣ من نوفمبر وجدت آثار أخرى على المشمع المنطى للقاعة الصغيرة الموصلة بين غرفة الاستقبال والحمام وفي شقوق ألواح خشب الأرض في هذه الغرفة وجدت آثار كثيرة على عبد كبير من درجات السلم الموصل الى الحمام في الطابق العلوى وعلى جدران السلم بين الطابقين الأول والثانى وأن نحو ٤٢٪ من السكان ذوو دم ينتمى الى .

فصيلة «هـ» وبما أن البقع النعوية التي جمعت تنتمي إلى هذه الفصيلة فلا بجعل منها قرينة قاطعة. ولكنها في هذه الظروف تكون قرينة قوية على أن عدم البقع من دم سقط من بقايا جثة «سنى» المقطعة.

بعد ذلك استجوبت المساعدة اليومية «لمسر هيوم» فقد لاحظت في ٥ من أكتوبر أن السجادة الخضراء اختفت من غرفة الاستقبال وأخبرها هيوم أنها أرسلت للصباغة لأنه لم يستطع أن يزيل منها بعض البقع وذكر أيضا أنه حينما كانت ممسح هيوم تستعد لمقابلة المسكن مع الطفل قال هيوم أنه سيتولى تنظيف خزانة المطبخ ويجب ألا يشغله أحد بعد ساعة أو نحوها رآته في الردهة ومعه طرد كبير الحجم ويظهر أنه ملفوف في ورق أسمر يضعه تحت ذراعيه وكان في الصباح قد أعطاهما شلنين ونصف شلن وقال أنه أثلف قطعة القماش الجديدة التي تستعملها لتنظيف الأرضية وذلك أثناء محاولته غسل السجادة ، وأن هذا المبلغ تشتري به قطعة بدلا منها .

أثبت البوليس بعد ذلك أن «هيوم» أخذ السجادة إلى محل التنظيف في فنشلي رود وأنه سأل عنها جملة مرات ثم استردها أخيرا في ١٩ من أكتوبر من المصبفة ووجد نقاش تذكر أن زميلا له من الصنّاع طلب إليه أن يزود هيوم في بيته حول الأسبوع الأول من أكتوبر وأنه فعل ذلك وطلب إليه أن يمن بعض أجزاء الأرض ومن ضمنها ذلك الجزء من أرض غرفة الطعام التي بين باب القاعة وباب المطبخ وفي حوالى الساعة ١٢ من اليوم نفسه ساعد هيوم في انزال طرد كبير ملفوف في لباد ووضعه في سيارة ، ولما عرض على هذا الرجل اللباد والحبل اللذان وجدا على جذع «سنى» قال انهما يمثّلان ما كان منهما على الطرد .

ثم تعرف أحد المستخدمين في حظيرة محلية على سكنين مطبخ وجعلت في مسكن هيوم وذكر أن هيوم طلب منه أن يشحذها بعد ظهر يوم ٥ من أكتوبر ولما سئل هيوم عن هذا الموضوع اعترف بأنه أخذ السكنين ليشحذها وقال أنه شحذها ليستخدمها في قطع فخذ من اللحم .

وتعرفت إحدى المستخدمات في محل تجارى في وست اند على ورقة مالية من ذوات الجنيئات الخمسة وكانت قد أخذت رقبها وتذكرت أنها دفعت لها يوم ٢٢ من أكتوبر للحصول على كتاب بعنوانين التليفونات ودل الرقم على أن الورقة المالية كانت من بين الأوراق التي تسلمها يوم ٤ من أكتوبر ومن وصف العاملة لم يبق شك في أن المشتري هو هيوم وقد وجد دفتر العنوانين في مسكنه .

لم يعثر في مسكن هيوم على أية بصمات لأصابع ستي كما أن سيارة ستي التي وجدت مهجورة بجوار الحظيرة في ( سانت بنكراس ) لم يكن بها أثر بصمات ذات قيمة .

كان لهيوم سابقة جنائية أدين فيها في سنة ١٩٤٢ بتهمة الادعاء كذبا بأنه كان في خدمة جلالة الملك وكان يرتدى كسوة القوات الجوية الملكية بغية الحصول على إذن في الدخول الى مكان محرم وكان يحمل لهذا الغرض مستندا مزورا .

وكان هذا الدليل الذي قدمه الاتهام ضد هيوم عند محاكمته أمام القاضي لويس في محكمة أولد نيل يوم ١٨ من يناير وقدم الاتهام ٢١ شاهدا وأدلو بشهاداتهم وحينذاك أصيب القاضي بمرض مفاجيء ولم تكن مندوحة من استئناف الاجراءات من جديد أمام القاضي «سلرز» .

وكان بين شهادات شهود الاتهام العديدين بعض نقط في مصلحة هيوم فقد قرر دكتور نير الاخصائي في علم الامراض أنه يرى أن أكثر من شخص اشتركوا في حادث القتل ذاكرا أنه لا توجد أي جروح على أيدي « ستي » كما كان يحتمل حصوله لو أن ستي كان حرا في الدفاع عن نفسه وذكرت مسز هيوم أنها لا تعرف شيئا عن البقع الدموية التي وجدت في المسكن وإن كل ما تذكره هو أن هيوم قضى ليلة ٤ من أكتوبر - وهو اليوم الذي اختفى فيه ستي - في المنزل .

لم يكن هناك بطبيعة الحال أي دليل مباشر يدل على الوقت الذي قتل فيه ستي ولا عن كيفية قتله ولم يوجد أي شخص رأى أو سمع عن طرود أخذت الى المنزل أو سمع أية ضجة في ليلة ٤ من أكتوبر ولو أن القتل حصل في مسكن هيوم وأن عظام الفخذ نشرت فيه لما كان هذا ليتم دون ضجة كبيرة وفي الواقع شهد أحد سكان الطابق الأدنى بأنه لم يسمع شيئا ليلة ٤ من أكتوبر .

تقدم أحد الصحفيين واسمسه « دجلاس كلاي » وقال لي انه قابل «ماك» و «بوي» في باريس سنة ١٩٤٩ أي قبل الحادث فكان هذا هو الدليل الوحيد الذي استطاع الدفاع أن يقنعه على وجود الرجال الثلاثة الذين زعم هيوم أنهم أحضروا الطرد الى مسكنه .

وذكر هيوم في شهادته سلسلة الحوادث لغاية مساء ٥ من أكتوبر وكانت مطابقة لأقواله الأولى التي أدلى بها للبوليس ولما أيدت هذه الأقوال لم يكن البوليس يعلم شيئا عن اكتشاف بقعة دم في مسكنه ولم تشر

الأقوال إلى الدم الذي كان يتسرب من الطرد الكبير الذي أدخل إلى مسكنه في ذلك المساء وفي الواقع أنه وصف الطرد أنه جاف والآن وقد وجه هيوم بأدلة معمل الطب الشرعي فقد قال : أنه لاحظ حينما وضعت الحزمة الكبيرة في غرفة الطعام أن دما أخذ يتسرب منها على الأرض فوضعوها في الدولاب حيث وجدوا به أيضا دما .

وفي اليوم التالي أخرج الطرد من الدولاب وبينما ينزل على السلم ليوصله إلى سيارته سقط منه وكانت النتيجة أن جانباً من جوانبه فتح ووقع بعض الدم منه على الأرض فأعاد تثبيت الحبل وغطى البقعة التي على الطرد بقطع من ملايس زوجته ومسح الدم وبعد أن فعل ذلك وصل النقاش وأعانته على حمل الطرد وإنزاله إلى السيارة .

كانت الأدلة الاستنتاجية ضد هيوم في غاية القوة وكان اغفاله الإشارة إلى الدم الموجود في مسكنه في أقواله الأصلية داعياً إلى تأويله تأويلاً في غير مصلحته بالمرّة لكن يظهر أن شرحه في المحكمة أوقع المحكمين كما أقنعهم علم وجود أي دليل على كيفية حصوله على الفسائف والحبل التي استخلمت في ربط الحزمة فبعد أن انسحب المحكمون للمداولة مدة ساعتين وتسع وعشرين دقيقة لم يتفقوا على قرار فكان لا بد من إجراء محاكمة جديدة ولكن عندما قدمت القضية لمحكمين آخرين قرر النائب العام ألا يقدم أي شهود على تهمة القتل وأن يكتفى بالتهمة الثانية وهي أن هيوم كان شريكاً وهنا اعترف هيوم بأنه مذنب وصدر الحكم عليه بالسجن اثنتي عشرة سنة .

ليس من شك في عدالة هذا الحكم غير أن التساؤل عن الذي قتل « متي » وكيف قتل ومتى قتل ؟ لا يزال يغير جواب ، ومع أن السر لا يزال يغير حل فإن إعادة تصور جميع تحركات « هيوم » في تلك الأيام المحرجة تقسم مثلاً طليبا لعمل رجال المباحث . ولما شرح « هيوم » لرجال البوليس في ٢٦ من أكتوبر الطريقة التي تخلص بها من بقايا الجثة بالقائما من طائرة إلى البحر ، لم يخبرهم بشيء لم يكونوا قد اكتشفوه نتيجة لتحرّياتهم وهذه القضية تبين تماماً قيمة التعاون الوثيق بين رجال البوليس والعمل وخبر الأمراض تؤيدهم جميع موارد أحد مستشفيات لندن ، واستطاعوا جميعاً أن يجمعوا تفاصيل الطريقة التي تم بها التخلص من الجثة وهي حتى الآن طريقة فلتة من طرق الجريمة في بريطانيا .





الفصل الخامس عشر

کریستی



اكتشاف أربع جثث - العظام التي وجدت في الحديقة -  
القاء القبض على كريستى وأقواله - عمل عظيم من أعمال  
التجميع - تعقيد قضية ايفنز - محاكمة كريستى والحكم  
عليه - تحقيق قضية سكوت هندرسون - الاقوال الختامية  
لكريستى \*

ان قضية « جون هاليداي رجينلد كريستى » أثارت  
اهتماما خاصا لأنها تضمنت سلسلة من حوادث القتل ترجع  
الى عشر سنوات \* ولكن بسبب المشكلة التي أوجدها اعتراف  
« كريستى » في حادث قتل أدين فيه شخص آخر ونفذ فيه  
حكم الاعدام ، وللمصادفة في هذا الشأن نصيب كبير الا انه  
يصعب على كثير من الناس أن يصدقوا أن سلسلة من حوادث  
القتل يمكن أن ترتكب في بيت واحد ويرتكبها زجلان يختلف  
أحدهما عن الآخر \*

تبدأ القصة في مارس سنة ١٩٥٣ في ذلك المنزل  
الكاليج اللون الكائن في ١٠ «ريلنجتون بلاس» في «نوتنجهام  
هله» حيث استأجر كريستى وزوجه الطابق الأرضي من المنزل  
منذ سنة ١٩٣٨ ، وفي أواخر مارس توجه مستأجر آخر أراد  
أن يستخدم مطبخ الطابق الأرضي ليثبت رفا يضع عليه جهاز  
الراديو ، فلما طرق الحائط لاحظ أنه مجوف فنزع بعض  
ورق الحائط وأدخل مشعلا في الفتحة فرأى في داخلها ظهرا  
عازيا لجثة آدمية ، واستدعى البوليس ووجدوا خلف ورق  
الحائط باب دولاب للفحم ، وكان في الدولاب جثث ثلاث  
نساء ، ولاحظ البوليس أيضا في الغرفة الامامية أن بعض  
ألواح الأرض غير مثبتة ووجد تحتها جثة امرأة رابعة مغطاة  
بالتراب \*

خلال الايام القليلة التالية فتش البوليس المنزل من الارض الى السقف واخذ ينزع الارض والمواد ويهزم الجدران الجوفة . ولكنه لم يعثر على جديد ، وقد حفروا الحديقة الخلفية فوجدوا بها عددا من العظام البشرية ، واطهر فحص هذه الجثث التي وجدت في المنزل أن النساء الاربع كلهن متن خنقا ، وفي ثلاث حالات كان هناك ما يدل على حصول الموت بالخنق والتسمم بأول أو كسيد الكربون .

والجثة التي وجدت تحت ألواح الارض ظهر أنها جثة مسز «كريستي» ونعرف عليها أخوها واختها . وكانت آخر أخبار تلقتها الأخت خطابا منها مؤرخا في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ أضاف اليه كريستي حاشية يقول فيها « ليس لدى ايثل ظروف » . ولذا توليت تصديره بالنيابة عنها وأنا في العمل ، وفي عيد الميلاد تلقت الأخت خطابا من كريستي يقول فيه : ان زوجته طلبت منه أن يكتب بطاقات عيد الميلاد لانها تشكو روماتيزما في أصابعها . وفي ١٧ من يناير كتبت الأخت الى مسز كريستي ولكنها لم تتلق ردا بعد .

لم ير أحد من الجيران مسز كريستي منذ عيد الميلاد أو قبله بقليل ، وكان كريستي نفسه يجيب عن غيباب زوجته بسلسلة من القصص المتضاربة ، فقال لبعضهم انه تشاجر مع زوجته فهجرت ، وإلى البعض الآخر أنه وجد عملا جديدا تارة في « برمنجهام » وتارة أخرى يقول انه في « تورنميتون » أو « تشستر » أو « شفيلد » وان زوجته طبقت لهذه القصص سبقتة الى هذه الاماكن .

كان لابد أن ينصب الشك على «كريستي» لانه غادر المسكن في ١٩ من مارس دون إنداز بعد أن أجره الى مستأجرين جدد وان لم يكن له حق التأجير من الباطن على الإطلاق ، واستعار منهم حقيبة ملابس وراوه يضع فيها أشياء مختلفة من ملابس النساء ثم قوى الشك في أمره عندما اصفر فحص خطاب ١٥ من ديسمبر عن أن تاريخه غير ، وحينما تذكر المستأجرون الآخرون المقيمون في المنزل أنهم كانوا يرون كريستي من أكتوبر سنة ١٩٥٢ يصب من وقت لآخر مواد مطهرة في البالوعات ويرشها على أرضية الممر .

أخذ البوليس يبحث عن « كريستي » في جميع الاماكن التي يحتمل ان يجده فيها بلندن ، وفي أثناء بحثهم زاروا بطبيعة الحال المساكن العامة التي يلجأ اليها المجرمون المطلوب البحث عنهم ليختفوا فيها ، وكانت

النتيجة أن كريستى أمكن تعقبه بسرعة فى « روتنهاوس » فى كينجز كروس رود ، حيث مكث من ٢٠ من مارس الى ٢٥ منه وغادرها قبل أن تصل اليه يد البوليس .

فى ذلك اليوم كتبت الصحف حكايات طويلة حول حادث القتل . وفى الصباح الباكر رأى أحد كونستابلات البوليس فى نويته للعمل على ساحل « بتنى » رجلا يرتكن على حائط النهر فلما سئل عن اسمه أجاب انه « وادنجتون » . وهذا مثال يبين كيف يعوز المجرمين كثير من قسوة التخيل لان هذا الاسم هو اسم صهر كريستى ، وإن كان الكونستابل لم يكن يعرف ذلك وقتذاك ، ولم يقتنع الكونستابل بهذا وطلب الى الرجل أن يصحبه الى مركز البوليس « بتنى » واتفق أن مررت عربة البوليس فى تلك اللحظة فركبها . وفى الطريق دون أن ينبس الرجل بكلمة أخرج بطاقة شخصيته للكونستابل وكان عليها اسم « جون كريستى » .

وفى مركز البوليس استجوب أحد رؤساء المفتشين « كريستى » وأخبره بالعثور على جثة مسز كريستى وسأله هل يود أن يقول شيئا عنها ، فأخذ كريستى على الفور يبكى ، وهو رجل هزيل أصلح الرأس يضع على عينيه نظارين ضخمى العدستين ، وكان شكله أقرب الى شكل الكاتب المنهوك منه الى شكل رجل قاتل .

قال : انها أيقظتنى وكانت بها غصة لم أستطع أن أتحمل المنظر طويلا . . . . . وأنت تعلم مدى ما فعلت .

وهنا وجد كبير المفتشين أنه يصح تحذيره ، وبعدئذ أدل كريستى بأقواله ، وقال : انه استيقظ ليلة ١٤ من ديسمبر ليجد زوجته فى حالة شنج ، وقد أزرق وجهها وغص حلقها فأخذ جوربا وربطه حول عنقها ليحملها على النوم واستطرد يقول : تركتها فى الفراش يومين أو ثلاثة ولم أعرف ماذا أفعل ، ثم تذكرت أن بالفرفة الامامية بعض ألواح الأرض غير مثبتة فعدت ووضعتها فى حزام وأخلت أسحبها مرة وأحملها أخرى حتى وضعتها تحت الألواح وواريتها التراب .

وأخذ يصف بعد ذلك بيع أثاثه بعد عيد الميلاد وبيع خاتم زوجته وساعتها الذهبية ، فقد باعها الى تاجر مجوهرات فى « شبردزبوش » لانه كان فى ضائقة مالية . وهذا الجزء من القصة حقق بسرعة الرجوع الى تاجر المجوهرات الذى قدم دفتر مشترياته وكان فيه الامضاء الصحيح والعنوان الحقيقى لكريستى .

وعندما قبض على كريستى وجد معه اتصال لخطاب مسجل مرسل الى فرع أحد البنوك بشفيلد ، وهذا الفرع تسلم خطابا بتاريخ ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٣ وعليه امضاء ايثيل كريستى يطلب فيه تقفيل الحساب وصرف الباقي ، فأرسل البنك مبلغ عشرة جنيهات وخمسة عشر شلنًا وبسنتين . وتسلم بدلا من الاتصال شيكا عليه امضاء ايثيل كريستى ، وكان الامضاء الذى على الخطاب والامضاء الذى على الشيك تقليدا متقنا لامضاء المرأة المتوفاة ولم يسترعب رغبة أحد فى البنك . بناء على هذا الدليل وجهت الى كريستى تهمة قتل زوجته وقدم للمحاكمة أمام المحكمة ووضع تحت الحراسة حتى يستطيع البوليس أن يستكمل تحقيقاته .

ذكر كريستى فى الاقوال التى أدلى بها أنه يشكو من صداع مزمن ودوار والتهاب الانسجة واسهال حاد وأنه كان يعالج منها طبيا فى أوقات مختلفة من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٢ . وأيد طبيبه هذه الاقوال وقال انه نصح كريستى فى يوليو سنة ١٩٥٢ بدخول أحد مستشفيات الامراض العقلية كمرضى متطوع ولكنه رفض ذلك .

استمر البوليس يقوم بتحقيقاته للتعرف على الجثث الثلاث التى وجدت فى الدولاب ولم يمض طويل وقت حتى تعرف عليهما أقرباؤه وأصدقاؤه بينما أن أناسا آخرين قرروا أنهم راوهن فى صحة رجل عرفوا أنه كريستى الذى شرح هو نفسه كيف التقى عرضا بهؤلاء النسوة الثلاث ، وكيف أنه صحبهن الى مسكنه . وقال كريستى انه كانت تقوم فى كل حالة مناقشة بينه وبينهن ، وكانت النسوة يرفضن مفارقة المسكن فكان يقع بينهم نوع من الشجار ينتهى بأن تسقط النساء على الارض أو على أحد الكراسى ، وكان كريستى يدعى علم قدرته على تذكر ما حصل على وجه الدقة ، وفى احدى الحالات ظن أن ملابس المرأة لا بد أن تكون قد التفت حول عنقها ، وفى حالات أخرى وجد المرأة راقدة على كرسى وحول عنقها ثوبها وفى الحالة الثالثة كانت على الارض فقط ، وهده التفكير فى كل مرة الى أن يضع الجثة فى الدولاب .

وأظهر الكشف الطبى على كل جثة عدا جثة مسز كريستى آثار تسمم بأول أكسيد الكربون ، وهذه نقطة هامة بسبب ما ذكره فيما بعد عن الطريقة التى اتبعها مع امرأة أو اثنتين ومن وجدت جثتهما فى الحديقة .

عملت فرقة من رجال البوليس فى حفر جميع تربة الحديقة الى عمق قدمين حتى وصلوا الى طبقة الطفل التى لم تسمسها يد ، واستغرق هذه

١٠ عمل عدة أيام ، وكانت النتيجة اكتشاف عدد من العظام البشرية والشعر الملائس وبعض قصاصات الصحف .

أما العظام فنقلت الى اذنة التشريح في مستشفى لندن حيث فرزت وجمعت حتى تألف منها هيكلان عظيمان يبدان يكونان كاملين لم ينقصهما الا جمجمة وبضع عظام ، ولو أن جمجمة قد تفككت الا أنها جمعت من اثنتين وتسعين عظمة مكسورة ، ومع ذلك لم يمكن الجزم لاي اثنتين تنتمي هذه الجمجمة التي أعيد تركيبها هذا التركيب العجيب ؟ وللتثبت من أنه لم تغفل أية قطعة صغيرة نخلت جميع تربة الحديقة بعناية ونتج عن هذا اكتشاف بعض الاسنان والعظمة الفقرية الرابعة من جهاز الراس .

وبناء على هذا الدليل الجديد استطاع رجال التشريح أن يمينوا - على وجه التحقيق - الجثة التي تتبعها هذه الجمجمة .

أجرى البحث عن الجمجمة الناقصة في جميع محطات البوليس لقرية وسئل ضابط الوفيات المحلي وأظهرت السجلات أنه بينما كان رجال البوليس يحققون حادث مقتل امرأة تسمى مسز ايفنز بنفس العنوان في سنة ١٩٤٩ علموا أن كلب كريستي استخرج من الحديقة جمجمة ، وأن كريستي ألقى بها في الطابق الارضى لمنزل هدمته القنابل حيث وجد البوليس الجمجمة في سنة ١٩٤٩ ، وأظهر الاختبار الذي قام به أحد اختصاصيي علم الامراض أن انجمجمة لامرأة في نحو الثالثة والثلاثين من عمرها ، وأبلغ الامر الى ضابط الوفيات . ولما لم يكن هناك ما يدل على تاريخ الجمجمة فقد رجح أن تكون لشخص قتل أثناء الفارات الجوية ، أما الآن فلم يبق الا قليل من الشك في أنها جمجمة الهيكل العظمي الآخر المبني جمع وأعيد تركيبه من البقايا التي وجدت في حديقة كريستي .

تلاشى لم الجثتين كلية ودل فحص التربة على أنها دفنتا وعليها الملائس كاملة منذ تسع سنوات أو عشر وأنهاما تحللتا حيث وجدت العظام ومن هذه البقايا استطاع علماء التشريح أن يقولوا ان الجمجمتين كانتا لامرأتين احدهما - وهي التي أعيد تركيب جمجمتها - تبلغ من العمر احدى وعشرين سنة وكان طولها نحو خمسة أقدام وسبع بوصات أو ثمان وكان لأحد أسنانها تاج من خليط الفضة والبلاستيك وكان مصنوعا بالطريقة التي تمتاز بها صناعة الاسنان في وسط أوروبا ، أما الأخرى فكان عمرها بين ثلاثين وأربع وثلاثين سنة وطولها حوالي خمسة أقدام وبوصة أو بوصتين .

لم تشغل قضيتا هاتين المرأتين الا جزءا صغيرا نسبيا في محاكمة

كريستى ولذلك فإن العمل العظيم الذى آتاه علماء التشريح فى مستشفى لندن باعادة تركيب الجمجمتين لم يسترع انتباه الجمهور ، ولكن الرجوع الى سجل الأشخاص الغائبين فى اسكتلنديارد أيد كل ما عملوه فإن السجلات أظهرت أنه فى أغسطس سنة ١٩٤٣ اختفت إحدى اللاجنات الشابات القادمات من فينا واسمها « روث فورست » وكان عمرها حينذاك ٢١ سنة ووجد البوليس فى الحديقة بقايا صحيفة محترقة تاريخها ٩ من مايو سنة ١٩٤٣ واختفت امرأة أخرى اسمها «موريل اميليا ايدى» وعمرها ٣٢ سنة وكانت تعمل فى مصنع للراديو فى « بارك رويال » وكانت قد تركت منزل عمتها فى بتنى فى ٩ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ قائلة « انى لن أتاخر » ولكنها لم تعد وكانت ترتدى رداء أسود ووجد فى حديقة كريستى آثار نوب حريرى أسود .

كان البوليس يعتقد بحق أنهما هما المرأتان اللتان وجدت عظامهما بالحديقة ولكن لمضى فترة طويلة من الزمن لم يستطيعوا أن يجدوا دليلا على وجود صلة بينهما وبين كريستى وبناء على ذلك اتفق كبير المفتشين الذى تولى التحقيق مع محامى كريستى على أن يتوجه اليه فى سجن بركستون انتظارا للمحاكمة وكان هذا فى ٥ من يونيو وسأله المفتش هل يرغب فى أن يقول شيئا عن البقايا التى وجدت فى الحديقة فأدلى كريستى بأقوال تؤيد شخصية المرأتين وقال انه قابل فورست فى سنة ١٩٤٣ وانها ذهبت معه الى مسكنه حيث خنقها بحبل ودفنها فى الحديقة وبعد ذلك ببضعة أشهر بينما كان يحفر فى الحديقة استخرج جمجمة فوضعها فى صفيحة القمامة التى كان يستعملها فى حرق الجثث .

وفيما بعد حينما كان يعمل فى أحد مصانع الراديو تقابل مع «موريل ايدى» وشرح كيف أنها فى إحدى زياراتها لمسكنه شكت من زكام فأقنعها أن تستنشق بعض دواء اسمه « بلسم فراير » بوساطة أنبوبة موضوعة فى وعاء وقد أوصل الانبوبة الى صنبور الغاز . غير أن البلسم أخفى رائحة الغاز ولا استنشقت الفتاة الغاز ففقدت وعيها . وقد سبق أن ذكرنا أن ثلاثا من الجثث التى وجدت فى المنزل كان بها آثار التسمم بأول أكسيد الكربون ، وأضاف كريستى أنه لا يذكر جيدا أنه ربط جوربا حول عنق المرأة وأنه دفنها فيما بعد بالحديقة وعليها ملابسها . وفى بيان آخر قال انه لا يذكر هل هى روث فورست أو «موريل ايدى» التى قتلها بالغاز ، وذكر تفصيل طريقة تخلصه من الجمجمة التى كانت جمجمة موريل ايدى بالقائها فى المنزل الذى هدمته القنابل سنة ١٩٤٩ .



وأشار كريستي للمرة الاولى فى أقواله التى أدلى بها الى البوليس بحضور محاميه الى حوادث أدت الى مقتل مسز ايفنز فى سنة ١٩٤٩ . وموجزها انه فى ٢ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ وجلت جثتها مسز ايفنز وابنتها جيرالدين البالغة من العمر أربعة عشر شهرا محتبأتين فى غرفة السفيل فى القساء الخلفى للمنزل رقم ١٠ فى ريلنجتون بلاس وكانت الوفاة فى كلتا الحالتين ناشئة عن الخنق ، وايفنز الذى كان يسكن فى بعض الحجرات فى أعلى مسكن كريستى غادر ريلنجتون بلاس فى ١٤ من نوفمبر ، ثم قبض عليه فيما بعد فى « مريثيدفيل » وأعيد الى لندن حيث اعترف بأنه خنق زوجته وطفله . وفى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٠ اتهم بحادثي القتل هاتين وحوكم أمام المحكمة الجنائية المركزية ، وكان الاتهام قد قرر المضي فى تهمة قتل الطفلة ولو أن أكثر الأدلة الخاصة بالزوجة كان ثابتا ، وقد قدم كريستى وزوجته كلاهما الأدلة للاتهام ووجد كريستى أثناء استجوابه أنه مسئول عن حادثي القتل أو على الأقل أنه كان يعلم عنهما أكثر مما قال وكان جوابه « هذا كذب » . ولو أن ايفنز أنكر أثناء المحاكمة الاعتراف الذى ذكره فى أقواله للبوليس الا أن المحكمين لم يصدقوا صحة انكاره وأدانوه فى مقتل الطفلة ونفذ فيه حكم الاعدام فيما بعد .

وذكر كريستى فى أقواله للبوليس أنه فى يومين متتابعين فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ صعد السلم ليرى مسز ايفنز وفى المرة الاولى وجدها تحاول الانتحار بالفاز لكنه فتح الباب والنوافذ فعاذت الى وحيها وفى اليوم التالى صعد اليها ، وعلى حسب روايته طلبت اليه أن يساعدتها على الانتحار ففتح صنبور الفاز ووضه الانبوبة قريبا من وجهها ولما فقت وعيها أغلق الصنبور ثم قال لأظن أن هذا حدث حينما خنقتها وقد خنقتها بجورب وجدته فى الغرفة . ولما قابل مستر ايفنز أخبره أن زوجته التحرت بالفاز وأنه ( اى ايفنز ) سيشتبه فى أنه قتلها بسبب المشادات التى كانت تحدث بينه وبين زوجته ، ويظهر أن ايفنز كان يرى مثل هذا الرأى وقال انه سيأخذ جثة زوجته فى عربة ويتركها فى مكان ما .

وعند محاكمة كريستى التى بدأت فى ٢٢ من يونيو سنة ١٩٥٣ اختار الاتهام أن يبدأ بتهمة قتل الزوجة ولم يحاول الدفاع أن ينفي تهمة القتل ولكنه كان يبغى الحصول على أنه « مذنب ولكنه مجنون » ولاثبات هذا وجهت أسئلة ليست فقط عن مقتل مسز كريستى بل أيضا عن مقتل خمس نساء وجلت بقاياهن فى المنزل والحديقة ، وكذلك عن مقتل مسز

١٨يفنز وكان هذا موقفا تشوبه الغرابة اذ تجسد الدفاع يبحث عن أكثر ما يستطيع من جرائم يقوى بها اتهام كريستى ، فيركز الاتهام همه على حادثة واحدة .

ولما سئل كريستى عن سبب اعطائه الآن بيانا عن مقتل مسز ايفنز يختلف عما أدل به عند محاكمة مستر ايفنز قال « كذبت فى البيان الاول لأننى كنت متهما فى قتلها معا .. وقال أيضا لاني لم أتدخل فى مقتل الطفلة بل لم أمسها » .

وقال ان الوقائع الخاصة بمسز ايفنز لم يكن يذكرها عندما قبض عليه فى ٣١ من مارس ولكنه بعد ذلك كان قد قابل محاميه كما قابل الأطباء من الجانبين وأنه يذكر الآن أكثر مما كان يستطيعه حينذاك .

ومما يلاحظ أنه بينما كان مترددا فى تفاصيل حوادث قتل أخرى ادعى أنه ارتكبها كان كثيرا ما يقول ( لا أذكر ) أو ( اظن انى فعلت ذلك ) الا أنه فى قضية مسز ايفنز وطفلها كان جازما فى قوله عما حصل .

ووجه المحكمون بتناقض شهادات الأطباء وهو ما يقنعنى أكثر من أى شئ آخر بأن بساطة قواعد « ماكنوتن » هى الطريق الوحيد العمل الذى يستطيع منه أن يعرف محكمون غير فنيين ( مرض الجنون ) . أما من ناحية الدفاع فان أحد علماء النفس كان يدافع بأن كريستى كان مجنوناً ، وأما الاتهام فقد قال عالم نفسانى آخر ودكتور مانيسون الضابط الطبيب الخبير الملحق بسجن بركستون بأن كريستى كان من الناحية القضائية سليم العقل .

وقد ذكر القاضى فينور فى تلخيصه قرار المحكمين انهم وان كانوا قد سمعوا الكثير عن موت ست نساء أخريات وطفلة ايفنز فان كريستى لم يناقش فيما أدلى من بيانات عنهم ، وانهم كانوا مهتمين فقط بمقتل مسز كريستى ، وهى النقطة الفنية فى ذلك الوقت ، ففىما يختص بهذه النقطة كان يقال ان هذه السلسلة من حوادث القتل دليل على الشذوذ ، غير أن المسألة لم تكن هل كان كريستى شاذاً ؟ بل كانت بحسب تعبير قواعد « ماكنوتن » هل كان يعرف ما يصنع ؟ وقضى المحكمون ساعة واثنين وعشرين دقيقة فى اتخاذ قرارهم ووجوه مذنباً .

ففىما يتعلق بكريستى كان هذا هو ختام المسألة غير أن شهادته عن مستر ايفنز ألقت فى نفوس الكثيرين شكاً فى نتيجة محاكمة ايفنز منذ ثلاث سنوات . حقا ان ايفنز أعدم لقتله ابنته وزوجته ولكن ان كان يوجد

أى صدق رواية كريستى الجديدة فقد يكون فى أن ايفنز قتل الطفلة كما قتل مسز ايفنز فأحتمال انحراف سير العدالة فى قضية حكم فيها بالاعدام ، وإن كان احتمالا بعيدا ، مسألة لا يمكن تركها محوطة بالشك . لذلك قرر وزير الداخلية أن يجرى تحقيقا وافيا فى ظروف وفاة مسز ايفنز وطفلتها فعين مستر جون سكوت هندرسون للقيام بالتحقيق وقرر وزير الداخلية أن يعين لمساعدته ضابط بوليس من ذوى الخبرة ، ولكيلا يكون أية شبهة من المحاباة أو التحامل ، كان الضابط المنتخب هو مساعد كبير الكونستابلات فى ( وست بدنج ) ولم يكن له من قبل أية علاقة بأى من القسيتين .

راجع مستر سكوت هندرسون جميع الأدلة والشهادات المرتبطة بكل محاكمة كما راجع جميع تقارير البوليس والاتهامات التى نظرها القضاء والملفات والمستندات الأخرى التى أعدها المحامون للدفاع فى كلتا القسيتين وسمع شهادات كل من قيل عنه أنه يفيد التحقيق حتى بلغت جملة من سمعهم ثلاثة وعشرين شخصا بالإضافة الى كريستى نفسه ، وكان كريستى فى ذلك الوقت رجلا محكوما عليه بالاعدام ينتظر تنفيذ الحكم فكانت اجابته لمستر سكوت هندرسون تختلف جدا عن الشهادة التى أدلى بها وقت محاكمته .

وفى الواقع أنه لم يكن مستعدا أن يقول بطريقة ما هل هو مسئول عن وفاة مسز ايفنز ؟ وفى خلال أقواله قال « ما زال الأمر غامضا على ، وإذا قال أحد الناس انه ظاهرا انك اقترفت هذا وأنه يوجد دليل كاف على ذلك ، فإن أقول انى فعلت » وأخيرا فى حديث مع قسيس سجن « يتون فيل » قال كريستى أنه خلال مقابلاته لمحاميه اختلط عليه الأمر وأصبح تحت تأثير انه من الضروري أن يعترف بارتكاب جرائم قتل . « كلما كثرت كلما زاد ابتهاجا ... ! »

كانت استنتاجات مستر هندرسون الحتمية أن الدعوى المقامة على ايفنز لقتل ابنته كافية ساحقة وإن لم يكن هناك شك فى أنه مسئول عن مقتل زوجته أيضا ، وذكر أن من رأيه أن كريستى انتهى به الأمر بالتدريج الى أنه ظن أن من المفيد للدفاع عنه اعترافه بقتل مسز ايفنز ، غير أن أقواله فى هذا الشأن لم تكن حقيقية بل لم يكن يصح التعويل عليها .

في ١٣ من يوليو قدم مستر سكوت هندرسون تقريره الى وزير الداخلية بعد اسبوع من ابتداء التحقيق وفي ١٥ منه نفذ حكم الاعدام في كريستى في مدينة « ينتون فيل » وهكذا انتهت قضية مدهشة اكمل فيها اختصاصي علم الأمراض ومعمل الطب الشرعى عمل ضباط المباحث المختصين واذا ما ظهر لمدة قصيرة ما يدل على احتمال انحراف سير العدالة في قضية ايفنز فقد ازاح الشك عنها البحث التمحيصى الذى قام به مستر سكوت هندرسون وما زلنا فى مأمن من الخطأ اذا قلنا ان خطر اعدام رجل برىء بعيد الاحتمال بعسدا يبرر عدم الاعتداد به .

الفصل السادس عشر

الفرقة الطائرة



لماذا أطلق عليها هذا الاسم ؟ فرقة الشيخ - رحلة فهو  
سيارة الفرقة - اخطار العمل - قصة الجاويش ( دينز ) -  
قضية (برت هوليداي) حق البوليس في التفتيش - البترول  
الاحمر وكوبونات الملابس الزورة - القبض على عصابة  
تكسير نوافذ المحلات التجارية وسرقة ما بها .

ان الفكرة السائدة عن الفرقة الطائرة هي انها جماعة  
من ضباط البوليس في سيارات غابة في القوة يستخدمون  
عادة في احوال التعقب المثيرة بسرعة ٧٠ ميلا في الساعة  
مخترقين شوارع لندن ، وانهم ليستطيعون القيام بهذه  
الاممال الخلابة بل يقومون بها فعلا اذا ما دعته الحاجة الى  
ذلك غير ان عملهم اليومي اقل مظهرا ، وهم مدينون باسمهم  
لا الى سرعة سياراتهم بل الى أنهم غير مقيدين بمنطقة معينة  
كرجال المباحث التابعين للفرق ولكن لهم مهمة تطواف تشمل  
مناطق بوليس العاصمة .

ولو ان اغلب الجرائم ذات صفات محلية الا ان كثيرا  
من الجرائم الخطيرة الخاصة بالسطو على المنازل وبالسرقة  
يقتربها المجرمون فرادى أو جماعات تمتد على نطاق واسع ،  
وفي الثلاثين سنة الماضية ساعد تقدم وسائل النقل ولاسيما  
السيارات على توفير الفرص لهذا الطراز من المجرمين ولذلك  
لا يقصر جرائمه على حدود المناطق الرئيسية . فلمقابلة هذا  
النشاط كان من الضروري انشاء جماعة منتخبة من رجاله  
المباحث تكون لهم الحرية الكاملة للتوجه الى حيثما تهددهم  
التحريات فانشئت الفرقة الطائرة في سنة ١٩١٩ بنحو ١٢  
رجلا واخذ عددها يتزايد زيادة مطردة الى ان كان بها في  
اواخر الحرب ما بين ٤٠ و ٥٠ ضابطا تحت رئاسة احد كبار

المفتشين ، ولما ووجهت بالزيادة الكبيرة في الجرائم بعد سنى الحرب قررت أن أهمية الفرقة تبرر ترقية الضابط المنوط به رئاسة الفرقة الى رتبة رئيس مراقبين وزيادة عدد أفرادها الى ٨٠ ضابطا تقريبا .

ومهمة ضباط الفرقة الطائرة هي أن يتعرفوا بجميع المجرمين الخطرين في العاصمة وأن ينموا علاقاتهم بجميع أنواع الناس الذين يستطيعون تزويدهم بمعلومات عن الجرائم التي ارتكبت فعلا أو التي وضعت خطط تنفيذها وهم لابد أن يتعرفوا بعد زمن قليل بسبب نشاطهم وحضورهم كثيرا أمام المحاكم ولهذا السبب يحصل كثير من التفسير في الفرقة لأنه أصبح أحد ضباطها معروفا في عالم الجريمة فان الاستفادة منه تضعف كثيرا .

قبل انشاء الفرقة الطائرة كان يتغلب على هذه الصعوبة باستخدام جماعة صغيرة من الضباط للتفرغ لجمع المعلومات وكان المفهوم أنهم انفسهم لا يقومون بأى تحقيق ولكن يرسلون معلوماتهم الى غيرهم من الضباط للتصرف فيها حتى يبقوا غير معروفين ولا مميزين . أما فرقة الشبح كما تسميها الصحافة فقد كانت مدمجة في الفرقة الطائرة الأصلية ومزال فريق صغير من الضباط يعملون بهذه الطريقة .

وكلما كنت اخرج مع الفرقة الطائرة . وكثيرا ما فعلت ذلك - لم تكن تقع في الأمسية حوادث عادة ، وفي احدى المناسبات ركبنا السيارة الى ( وست اند ) ننسكع في الشوارع الخلفية لحي ( سو هو ) ثم وقفنا وسرنا على اقدامنا في شارع ( كوفتري ) حيث أشار الضباط الى عميل أو عميلين من عملائنا . وكانت دهشتي من ذلك عظيمة . ثم سرنا بالعربة متجهين الى « نيتس بريدج » ودنا حول حظيرة أو اثنتين يرجع وجود سيارات مسروقة فيها وقوى أملنا بوصول اشارة لاسلكية بأن سيارة مسروقة في طريقها من همرست الينا - وان سماع تعقب احدى السيارات في الراديو ليشبه كثيرا الانصات الى وصف مباراة في كرة القدم حيث يندمج السامع في المباراة . وتلت ذلك رسالتان أو ثلاث الواحدة بعد الأخرى تقول ان السيارة المسروقة تقترب منا . كلا ان شخصا آخر قد غير اتجاهها . وآخر ان سيارة بوليس أخرى قد سبقتنا وأوقفتها في ( تثل سي ) .

وهكذا عدنا متجهين الى وست اند وقدنا سيارتنا في كوفنت جاردن وستراند ووزنا سو هو مرة أخرى وهنا كان يسود قليل من



الضجيج فوضع له الضباط حدا بأشاراتهم الأيوية . مسيروا من فضلكم . وفي شارع ( بولند ) كان جرس التنبيه ضد اللصوص يرقع بعنف ، غير أنه كان أيضا إنذارا لا محل له وقد طلبنا إلى مركز البوليس المحلي أن يهتم بالأمر فكان هذا خلاصة أعمال دوريتنا مدة ساعتين . وهذا نموذج صحيح من الأعمال اليومية للفرقة الطائرة ما لم تكن دنيا الجريمة قد تلقت تحذيرا بأن تحسن سلوكها مراعاة لخطر الحكماء ولكن الإنسان لا يستطيع أن يحكم بأنها ليست دائما دار امان . وذلك بناء على التقارير التي تقدمها الفرقة كل ثلاثة شهور وان هذه المدة للتعبير فترة هزيلة اذا لم تشهد القبض على نحو مائتي شخص واسترداد ما تبلغ قيمته نحو أربعة آلاف جنيه من المروقات .

انه لامتياز عظيم أن ينتخب شخص للعمل بهذه الفرقة لان اعضاءها انما يعملون تحت مسؤوليتهم . وهم ينظمون أعمالهم بحسب ما يرون . ومجال عملهم اوسع من مجال رجال المباحث الاعتياديين . وللفرقة ٣٢ سيارة كل منها مزود بجهاز لاسلكي مرسل ومستقبل لضمان الاتصال المستمر بامسكلندبارد وسيارات البوليس الأخرى وما لم يكونوا مشغولين في أحد التحقيقات فان السيارات تستمر في الحركة الدائمة لجمع المعلومات والملاحظة اية بادرة من بوادر النشاط الاجرامي .

كثيرا ما يحف الخطر الجسيم بأعمال الفرقة الطائرة ففي أوائل سنة ١٩٤٩ كانت الفرقة تبحث عن رجل اسمه « آرثر باركن » كان مطلوبا القبض عليه لأنه أصاب أحد رجال البوليس اصصابات بدنية خطيرة وكان ثمة ما يحمل الفرقة على الاعتقاد بأن الرجل استولى على عربة مسروقة ماركه بدفورد وأنه أعد خطة لسرقة بعض الأشياء بالقرب من ( كلايهام كومون ) في ١٨ من يناير فوقف الضباط له بالمرصاد في إحدى سيارات ( ك ) - وهي عبارة عن عربة ليس فيها ما يميزها . وبمجرد أن تحرك « باركن » وزملاؤه بعربتهم أرسلت اشارة لاسلكية إلى ثلاث سيارات تابعة للفرقة الطائرة كانت تنتظر على بعد من ذلك المكان .

ولما تحركت عربة بدوفورد تبعتها السيارة ( ك ) وأخذت تخبر سيارات الفرقة بالاتجاهات التي يتجه إليها « باركن » . واستطاع البوليس بمهارته في قيادة السيارات من اللحاق به في شارع ( سلون )

وقد كان يسرع غاية السرعة وطلبوا اليه ان يقف ولكنه لم يذعن وبذلك اضطره سائق احدى سيارات الفرقة الى الخضوع والتوقف بينما ادركتهم سيارات البوليس الأخرى واحاط الضباط بالعربة المسروقة فهاجم عليهم « باركن » وزملاؤه بقضيب حديدى ومطرقة ثم ساق « باركن » سيارته الى الامام بغتة فاقع الضباط الذين كانوا على سلم العربة عندما اصطدم بسيارة البوليس وخذل يقود عربته بعنف الى الامام والى الخلف فى عزم لسحق رجال الفرقة الطائرة على العربات الأخرى وأخيرا تحول فجأة الى افريز الشارع ودون ان يابه بالمشاة سار فى الطريق عشرين ياردة وهرب فيها الى ( تشى سى ) ولكن احدى سيارات البوليس استطاعت ان تتبعه وقد رآته يصعد على الافريز مرتين لتجنب حركة المرور المزدحمة فى وسط الطريق ملزما لكثير من الناس ان يهربوا من طريقه ، ثم حدث ان اختفت العربة عن انظار البوليس ثم وجدت فيما بعد متروكة على ساحل البرت .

كان الشيء الثانى الذى سمعه البوليس هو ان رجلين تنطبق عليهما اوصاف اللصوص دركبا الاتوبيس رقم ٤٩ المتجه الى « كرسنال بلاس » فارسلت اشارة لاسلكية تلقاها بعض الضباط فى سيارة لاسلكية كانت تقوم بأعمال الدورية فى ( ستريت هام هاى رود ) وكانوا قد راوا الاتوبيس رقم ٤٩ يمر بهم ويسؤال السائق علموا ان رجلين غادراه منذ قليل وركبا الاتوبيس رقم ٣٣ فساروا فى اثرهما حتى ادركوا هذه السيارة ووجدوا « باركن » وزميله « برلنسكى » جالسين بالبور الاعلى وأنكر كلا الرجلان شخصيتهما وقالا انهما كانا ذاهبين الى ( سوث كرويدون ) للبحث عن عمل ، ولكن الضباط لم يقتنعوا بهذا الحجة ونقلوهما الى سياراتهم معتزمين احضارهما الى مركز بوليس ( جيبس هل ) وفى الطريق قابلوا احدى سيارات الفرقة الطائرة وقد تعرف ضباطها على السجينين ، وقبل وصولهما الى مركز البوليس حاول « باركن » محاولة أخيرة يائسة للهروب ولكن امكن التغلب عليه وكان مع الرجلين ربطات كبيرة من مفاتيح تسيير السيارات يمكن بواسطتها ان تفتح تقريبا كل عربة فى الطريق .

وفى الوقت المناسب قدمنا للمحاكمة امام رئيس القضاة وادينا بتهمة القتل العمد واخفاء الاشیاء المسروقة وحكم على باركن بالاشغال الشاقة لمدة ١٢ سنة وعلى برلنسكى بـ٥ سنوات ، وبعد النطق بالحكم طلب اللورد « جودارد » ان يقف مفتش الفرقة الطائرة فى

( برادفورد ) وقال له « يا حضرة المفتش اعتقد انك انت وافراد الفرقة الطائرة الآخرين جديرون بكثير من التقدير فيما بذلتم من جهد فى هذه القضية فقد اظهروهم جميعا شجاعة فائقة » وان الامة لمدينة لكم باحضاركم مجرمين خطيرين امام القضاء ، وان الطريقة التى استطعتم بها ان تقبضوا عليهما فى مثل هذا الوقت القصير ، وفى جزء من لندن يختلف كل الاختلاف عما تمهدون ، يدل على المستوى المالى للكفاية التى بلغتها قوة البوليس فى هذه البلاد وفى لندن على وجه الخصوص وانكم تستحقون تقدير الوطن » .

اما عن الشجاعة المبرونة بضبط النفس فلا يوجد الا قليل من الامثلة التى تماثل حالة الجاويش « دينز » التابع للفرقة الطائرة وهو الذى انعم عليه بنوط بوليس الملك للأعمال الجليلة مكافاة له على ما ادى من اعمال وهو الآن يسمى نوط جورج . وفى سنة ١٩٤٧ وصل بلاغ بان عصابة من اللصوص اعترفت ان تضع كميناً لموظف يعمل فى فرع بنك ميدلند الموجود فى « كنتن تون » وان يسرقوا مفاتيحه ويسلبوا البنك وكانوا يعرفون عاداته وتحركاته منذ ان يفادر البنك ليعود الى داره وعرف المكان الذى يراود وضع الكمين له فيه ، وانه قد وضعت الخطة للتخلص منه بعد ان يسرق البنك .

وتلوع « دين » الذى كان يشبه موظف البنك فى بنيتة ومسحته ان ينتحل شخصيته فى المساء المحدد للقيام بالافرة وكانت ليلة قارسة البرد وكان الجليد يغطي الأرض ولما كان « دين » يعلم انه متبوع فقد سار فى هدوء الى الممر الذى يبدأ من المحطة القريبة من مسكن موظف البنك فأسرع خلفه رجلان بينما تخلف وراءهما ثالث فسمع صوتاً يقول له : « صح » . ثم شعر بضربة على رأسه ففقد الرشده وخر على أرضها على الأرض . وبينما هو راقد على الأرض ركل وضرب ثم القى به فى سيارة كبيرة مغطاة وعصبت عيناه بكوفية والصقت شفتاه بشرط لاصق وقيدت يداه وقدماه معا ، ثم أخذت منه مفاتيح البنك وأوقفت السيارة وألقى به من العربة على كومة من الجليد ووجهه الى اسفل .

وقد افلح فى فك وثاقه وأخذ يترنح حتى وصل الى بيت هلى بعد خمسين ياردة حيث اختبأ فيه ، وحينما وصل الى جراج فرقة البوليس وجد دينز يشكو من ارتجاج ومن التعرض للبرد القارس وقد أدخل من العمل بعد شهرين وفيما بعد وجد فى محل الاعتداء جورب صوفى به ثلاثة أرطال ونصف رطل من الرمل المبتل .

وبينما كان دينز يقوم بخديعتهم كان ضباط آخرون من الفرقة الطائرة يراقبون البنك فى «كنتسن تون» ثم شوهد أحد أعضاء العصابة وهو يقترب فقبض عليه ووجد معه مفاتيح البنك وسلسلة دينز ثم قبض على خمسة رجال آخرين وصدرت ضدهم احكام بالاشغال الشاقة مددا مختلفة بين ثلاث سنوات وسبع سنوات .

وقضية « برت هوليداي » هى إحدى القضايا المهمة التى تناولتها الفرقة الطائرة وهى تبين أكثر من غيرها . الطريقة التى بموجبها تجر نطف الاخبار الصغيرة الى حقائق يتناولها التحقيق وتؤدى الى قضايا هامة . فان أربعة من قوات البوليس تعاونوا فى أن يضموا حدا لسلسلة طويلة من السرقات فى المقاطعات الداخلية . على الرغم مما لهم من استقلال . كما توضح أيضا ضرورة الحظ الذى بدونه قد يضيع سدى عمل رجل المباحث الذى يقتضيه الكثير من الصبر .

بدأ التحقيق فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ حينما كانت الفرقة الطائرة تعمل بالاشتراك مع ادارة كونستابلات صرى فى سلسلة من السرقات . ووصلت بيانات أن مخفى الأشياء المسروقة يعيشون على نهر التيمز قريبا من وادى بريدج ، وفى الحال عرفت شخصية اثنين من المجرمين يعيشان فى تلك المنطقة ووضعا تحت المراقبة الدقيقة واستبعد أحدهما لانه ظهر أن لا صلة له بأعمال السرقة التى تجرى عنها التحريات . واما الآخر فقد عاجلته المنية قبل أن يتفق كثير من الوقت فى تعقب أثره المضلل وربما كان هذا من حسن حظ البوليس .

ولعب الحظ دوره . ففي فبراير سنة ١٩٤٩ استندى كبير المفتشين المدعو « توملين » التابع لادارة كونستابلات ( بكنجهام شر ) لتحقيق حادث سرقة جين من فندق «دمب بل» فى بلدة (تابلو) ، فقد دخل رجلان بار الفندق وطلبا مشروبا ولما استدار خادم البار وولاهما ظهره طلع الى المرأة فرأى أحد الرجلين يأخذ الجبن ويخفيه فى جلابسه وليننى أعرف ما الذى حفز هذا الرجل على سرقة الجبن وقد يشترك معى فى هذا التساؤل مراقب البوليس المستر « لى » التابع للفرقة الطائرة . وكان سارق الجبن يعرف محليا باسم « برترام ردفرس هوليداي » وكان يسكن فى كوخ يطلق عليه ( يوم العيد ) على جزيرة فى نهر التيمز قريبا من « رايز برى » ولما استدعاه كبير المفتشين توملين أنكر هوليداي معرفته بأى شيء من الجبن المسروق ، وكان هوليداي

يصف نفسه بأنه من ذوى الأملأ وأنه تاجر مجوهرات وأحسن كبير المفتشين أن الموضوع جدير بالتحرى وأدلى بشكوكه الى مراقب البوليس « لى » .

فى أول الأمر لم يحمل اسم « برترام ردفرس هوليداي » لدى المراقب أى معنى ودق ناقوس التنبيه لأن « لى » كان يعرف برت هذا تمام المعرفة من أربعة وعشرين عاما تقريبا اذ كان لصا فى منتهى النشاط وسرعان ما دل البحث فى مكتب السجل الجنائى على تفصيلات حياة هوليداي السابقة . على أنه منذ ذلك الوقت لم يرد اسمه على رجال البوليس وأنه عاش عيشة ظاهرها الاحترام والثراء .

اعيد استجواب الرجل الذى أعطى البيانات عن مقر مخفى الأشياء المسروقة وقال أن هوليداي هو الذى يشبه فيه ولكنه رفض أن يزيد على ذلك شيئا ، وترك رجال البوليس يواصلون تحريباتهم لأكثر من ثلاثة أشهر وضموا هوليداي فيها تحت المراقبة المتواصلة ولكنهم لم يصلوا الى أكثر من أنه غادر الكوخ وانتقل الى لندن حيث اتخذ له مسكنا فى ميدان ( ارلزكوت ) وذكر المخبر فيما بعد للفرقة الطائرة أن هوليداي ترك كمية من المجوهرات الفسالية فى خزانة ابداع وعملت التحريات فى كل خزانة ابداع فى لندن ولكن لم يعرف أنه استأجر خزانة ما . وإنما كل ما ظهر أنه فى سنة ١٩٢٦ تقل صندوقا ثقيلًا للولائق من أحد البنوك فى « وندسور » الى بنك زوجته فى « تشل سى » .

ان بصيصا من الاخبار التالية زاد من وجوب التعميل فى البحث لأنه علم أن هوليداي لم يكن مجرد مخفى أشياء مسروقة بل أنه خبير بالتسلق وأنه مع شريك له يقومان بسلسلة من السرقات فوضعت الرقابة على الشريك أيضا ولكنه كان ماهرا فى الهرب وبعد فترة من الزمن تلقى البوليس معلومات عن سرقة مزعم ارتكابها فى ٨ من سبتمبر . وفى هذا اليوم كان على هوليداي وشريكه أن يتقابلوا قريبا من محطة «أوسترلاى بارك » على طريق جريت وست وانتظر البوليس فى المكان المعين للمقابلة وفى الحال رؤيت سيارة هوليداي تصل وتقف وبمجرد ما صعد الشريك قادمها هوليداي متخذًا الجانب الخطأ فى الطريق وهو يسير بسرعة كبيرة متجها الى لندن ، ثم استدار وأتجه نحو ( ستيز ) وهذه المناورة هزت ضباط البوليس ولكن لما لم يبلغ عن أية جريمة فى تلك الليلة لم يكن بد من الانتظار لفرصة أخرى .

حانت الفرصة في وقت قريب حينما وصلت معلومات عن سرقة جديدة يراد ارتكابها وفي هذه المرة كان موضع السرقة هي «رايزبرى» يوم ١٤ من أكتوبر فتوجه البوليس في وقت مبكر الى المكان المزمع ارتكاب الحادث فيه غير ان هوليдай وصديقه كانا قد سبقا البوليس اليه وحينما رآيا ضباط البوليس عادا ادراجهما .

والخبر التالي الذي تلقاه البوليس والذي قد يستحق عنايتهم كان خاصا بأحد محال الرهان المعروف صاحبه باسم ( بوفى لين ) وعرف بوفى لين بأن اسمه الحقيقي هو ( اودز ) فوضع تحت المراقبة وفي ١٣ من ديسمبر رثى هو وهوليдай معا في ميدان ( ارلز كورت ) وركبا في سيارة اودز الى بنك مسز هوليдай في ( تشل سي ) وبعد ذلك بقليل خرج هوليдай يحمل طردا ملفوفا بورق أسمر فانهز رجال مباحث الفرقة الطائرة هذه الفرصة وعلى ظن أن الطرد يحتوى على مسروقات أوقفوهما . وفتشوا الرجلين والسيارة وكان داخل الطرد قطع عدة من المجوهرات القيمة ادعى هوليдай بأنها له أما اودز فأنكر معرفته بأى شيء عنها وقد وجد البوليس مع اودز خمسة كويونات بتروول أعترف بأنه حصل عليها بطريق غير مشروع وعلى ذلك أحتجز في مركز البوليس .

ذهب البوليس ثانية الى بنك مسز هوليдай حيث أخذ حقيبة ملابس وصندوق الوثاق وكان هوليдай قد أودعهما باسم زوجته في سنة ١٩٤٦ والصندوق الذى كانت به المجوهرات التى وجدت بالطرد أصبح الآن فارغا ولكن وجد بحقيبة الملابس مجموعة من الأواني الفضية وبعض السكاكين وادعت مسز هوليдай أن السكاكين لها . غير انها انكرت معرفة أى شيء عن الأواني الفضية . وفتش بحضور مسز هوليдай ومسز اودز منزلا الرجلين . وفي المنزل الكائن بميدان « ارلز كورت » عثر البوليس على مجموعة ضخمة من كل نوع غالى الثمن . وفى منزل اودز ( باونسلو ) وجد بخزانة حائط بعض الاحجار والمجوهرات الثمينة ، وفي الوقت نفسه لم يمكن الوصول الى معرفة أى شيء عن الأواني الفضية والمجوهرات ولكن البوليس برغم أن التحقيقات كانت واسعة النطاق لاقى نجاحا طيبا .

كان البوليس مظمنا الى صحة اتهام هوليдай بحيازة المجوهرات بطريقة غير مشروعة وهى المجوهرات التى وجدت بسيارته . وفى اليوم التالى قدم هوليдай وأودز الى قاضى البوليس في محكمة بوليس

« وست اتلدى » وأخلى سبيله بضمنان مالى قدره ألفان من الجنيهات ، وبعد دقائق قليلة وردت الأخبار بأنه وجدت إحدى القطع التى بحقبة الملابس وهى فنجان فضى منقوش بمائل لفنجان مسروق من منزل فى ( ستوك بوجى ) فى سنة ١٩٤٦ ، وبناء عليه قبض على مسز هوليداي واتهمت بحيازة الفنجان المسروق وافرغ عنها لتظهر مع زوجها وأودز فى الجلسة التالية .

وبعد الإفراج عن أودز بالكفالة أرسل مخفورا برجال البوليس الى خزانة الودائع وفى خزائنه وجدت مجوهرات أخرى . وفى ١٦ من ديسمبر عثر البوليس على كمية طيبة من الأمتعة فى شقة هوليداي عرف أنها من بين مسروقات مختلفة كبيرة حدثت فى ( بكتجم شير ) .

وظل البوليس يتنسم الأخبار فعرف أن هوليداي كان قلقا بشأن الأمتعة التى ضبطها البوليس وأنه رسم خططا للتصرف فى بعض مازال يخفيه من مجوهرات ووضع ثانية تحت المراقبة ولو أنها استمدت مئاة غير قليل . وفى صباح ١٨ من ديسمبر المبكر كان من خلفه من يتبعه فى طريقه من شقته الى « ستينز » ولكنه فى الشوارع الخالية من المارة كان يستحيل أن تكون الرقابة قريبة منه دون أن يكشف أمرها ، وفى ستينز ضاع أثره وظل مختفيا ثلاثة أيام . وفى ٢١ من ديسمبر قدم بوليس أجهام القريب من استينز تقريرا بأنه يوجد رجل مصاب بعيار نارى فى رأسه فى فندق « فرجينيا واثر » وكان الرجل هو « برترام هوليداي » وإذا كان استطاع فى المدة بين ١٨ و ٢١ من ديسمبر أن ينجح فى التصرف فيما أخفى من الأمتعة الأخرى المسروقة فإنه احتفظ بسرّه معه الى الأبد . ومنذ ذلك لم يوجد شيء من المسروقات .

ولما جمعت جميع المضبوطات عرضت فى اسكتلنديارد ليمانيتها من يكون قد سرقت منهم ونشرت قوائم وصور فوتوغرافية لهذه الأشياء نشرا على أوسع نطاق ، وبحث فى سجلات البوليس ودمى اللذين سرقت منهم أشياء للحضور الى اسكتلنديارد ليقرروا هل يستطيعون التعرف على امتعتهم وكان فى انتظارهم عرض مدهش من بنادق وبوصلات وميكروسكوبات وتماثيل وأوان وساعات جيب وأخرى للحائط ومجوهرات تشهد بالدوق الوفير لهذا اللص الأتيق كما كانت الصحف تنعت هوليداي .

وفى الختام أمكن التعرف على ١٧ قطعة من المسروقات كانت سرقتها

فى الفترة من ١٩٣٢ الى ١٩٤٩ فى لندن وانحاء مختلفة من صرى وبركشير  
وبكنجهام شير . ولم يستعرف على باقى الاشياء . ولما كانت مسز  
هوليداي لم تدع ملكية أى شىء منها فقد يمت واضيف ثمنها الى  
مؤسسة ممتلكات المسجونين ، وهى التى يصرف منها بين وقت وآخر  
بناء على اذن وزير الداخلية اعانات خيرية بوليسية الى الجمعيات التى  
تعنى بمساعدة المسجونين المفرج عنهم .

كثير من غنائم هوليداي لا يزال بغير شك فى الخفاء وعلى الرغم من  
البحث الدقيق الذى قام به رجال الفرقة الطائرة وزملائهم فى ادارات  
كونستابلات المقاطعات لم يمكن الاهتداء الى شىء ما عدا مشبك ثمين من  
الماس كان مخبأ فى سماعة تليفون واكتشف على اثر ملاحظة عابرة من  
مسز هوليداي فى قولها انها رأت زوجها يوما يعبث بالتليفون بطريقة  
غريبة وتبين من التحقيق أن مسز هوليداي كانت واقعة تحت سيطرة  
زوجها ، ولما أتى دورها للمحاكمة راعى المحكمون هذا الظرف ولم يدينوها  
فى تهمة اخفاء الاشياء المسروقة ، ومع أن القوائم الوافية والصور  
الفوتوغرافية للاشياء التى ضبطت مع أودز نشرت فى مجال واسع فلم  
يتيسر اثبات سرقة أى شىء منها . وعلى ذلك لم يحاكم أودز الا عن  
كوبونات البترول وحكم عليه بغرامة خمسة جنيهات لحيازته اياها .

هكذا انتهت حياة جريئة من أجرا ما وجد حتى الآن فى سجلات  
الفرقة الطائرة فان رجال المباحث فى اقتفائهم أثر هوليداي لاقوا أخطارا  
جسيمة لانه كان يحمل دائما بندقية فى كل غاراته على الدور ووجد  
بجوار سريره مسدس أوتوماتيكى مع بعض مئات من الرصاص على أن ثمة  
خطرا أقل ظهورا وهو الخطر الذى تعرضوا له حينما أوقفوا هوليداي  
واودز لتفتيشهما على سبيل الاشتباه لان القاء القبض على وجه الخطأ قد  
يؤدى الى مطالبة البوليس بتعويض كبير . ففى كل عام يوقف البوليس  
نحو ٧٠٠٠٠ رجل ثم يتفحص أن ٩٠٪ منهم أبرياء وهما يذكر للبوليس  
بالحد على حسن تصرفه فى هذه الظروف وللجمهور على حسن تقديره  
لم ألتق أكثر من أربع شكاوى أو خمس فى السنة لم يتقدم فيها الا طلبان  
أو ثلاثة بالتعويض واستطعنا أن نسويها عادة خارج المحكمة ، وبغير هذا  
الحق فى الايقاف والتفتيش لم يكن بد من ضبط مجرمين مهرة مثل  
هوليداي .

والقيود التى اقتضتها ظروف الحرب اضافت الكثير الى أعمال رجال  
البوليس وكان أكثرها ارهاقا أوامر التسوين المختلفة . وكان أغلب



المخالفين من الحثالة الذين كانوا يحاولون التهرب من هذه الاحكام والحصول على أكثر من المقرر لهم من التموين . غير أنه كان يبلغ الى البوليس من وقت لآخر مخالفات على نطاق واسع كان يستخدم فيها جماعات من المجرمين مهارتهم لتزوير وتوزيع كوبونات بعض الاصناف ، وكان هذا النوع من الجرائم تحديا للفرقة الطائرة فقابلتها بما يعهد فيها من همة ومثابرة . فمثلا في يناير سنة ١٩٤٨ أنشأ وزير الوقود والقوى لجنة برئاسة سير ( جودفراي رسل فيك ) لترسم خطة محكمة لتوزيع البترول بالبطاقات وأعيد للجنة لمدة أسابيع كبير المراقبين من البوليس ( تشاريمان ) وكان حينذاك رئيسا للفرقة الطائرة وأخبرني رئيس اللجنة فيما بعد ان معلومات مستر تشاريمان الواسعة في الصفقات التي تمعد في سوق البترول السوداء كان لها نصيب كبير في استخدام البترول الاحمر .

كان تزوير كوبونات الملابس من أكثر أنواع التزوير ربحا خلال الحرب وبعدها لان توزيع الملابس بالبطاقات اقصى أنواع القيود على الناس وكان هو الذي يمكن أن تتحقق به أكثر الارباح حتى أنه دفع في بعض الاحيان أربعون جنيها للحصول على ألف كوبون مزور . وفي سنة ١٩٤٧ اضطرت لجنة التجارة اضطرابا خطيرا من جراء النسبة الكبيرة التي تتداول بها الكوبونات المزورة وطلبت من امسكتلندارد التحرى عن مصدرها وسرعان ما تلقت الفرقة الطائرة بيانات عن امرأة اسمها ( بيرنز ) كانت شريكة للمزور وكانت هي نفسها من بين كبار مروجيها فتعقبها البوليس عدة أسابيع فوجدوها تستعمل كوبونات مزورة فالتقى القبض عليها على أمل أن ترشد رجال الباحث الى مصدر هذه الكوبونات ثم عرف فيما بعد أنها على صلة برجل يدعى (وليم روبرتس) وينتحل اسم وطسن وهو من أرباب السوايق المعديفة في تزييف النقود كما أن له سابقة في احرار ادوات لتقليد أوراق من ذات الشلنكات العشرة وفي سنة ١٩٤٤ أفرج عنه من السجن ومنذ ذلك التاريخ وهو كثير ما يرى والمرأة بيرنز معا .

وحيثما اقتفى أثر وطسن واستدل على مسكنه في ( ميدافيل ٧ ) استصدرت أوامر بتفتيشه وقام البوليس بغارات مفاجئة على منزل بيرنز ووطسن في وقت واحد وعلى منزل زوجين باسم ( هفرمان ٢ ) وعندما وصلت الفرقة الى مسكن وطسن وجدت بابا مغلقا ولم يجدوا ميجيا عندها طرقتوا الباب ولذلك دخلوه عنوة فوجدوا في الدار وطسن الذي أيقن بالكشفاف امره واستحال هربه وأن الأدلة بالغرفة ناطقة فاعترف بأنه مسئول عن تزييف الكوبونات لان الفرقة كانت في الواقع عبارة عن

(ورشه) كاملة العدة وجد البوليس فيها الواح فوتوغرافية مع خمس عشرة صورة فوتوغرافية لكوبونات الملابس والكشيشات نحاسية وكمية من الورق عليها العلامة المائية لصلحة الطباعة والتاج ، وكان على أحد الموائد مطبعة يدور في أحد جوانب الغرفة جزء مظلم عليه حاجز وجد أيضا آلة فوتوغرافية والألواح الزجاجية التي تستعمل فيها ومقص ورق والأواح رسم وأدوات حفر وبالجمله جميع الاجهزة الكاملة المطلوبة لاعمال التزوير الراقية .

ووجد على مائدة قريبة من السرير محفظة بها أربعون فرخا من الورق من كوبونات الملابس المزورة ولما عرضت على وطسن قال في شيء من الزهو « أظنكم في غير حاجة الى سؤال عن مصدرها واعتقد أنها متقنة اليست كذلك ؟ » ولما حذر وقيل له انه سيقبض عليه قال متفلسفا ( هذا هو غاية العدل ) .

أما الضباط الذين توجهوا الى منزل بيرنز في نونتجهل فقد وجدوا عشرين فرخا من الكوبونات المزورة فحاولت أن تدعى أنها دست عليها ولكنها قالت فيما بعد عندما قبض عليها ( لقد كنت مجنونة اذ اشتركت مع وطسن واني أعلم بوجود آلاف من هذه الكوبونات في كسنتون ) .

كذلك يظهر أن مسز هفرمان أختت تأسف لسوء اختيار زوجها للشرقاء لانه حينما قيل لزوجها انها سيليقي القبض عليها بدأ يتناقشان فيما بينهما وقالت مسز هفرمان (هذا ما لا بد من حصوله نتيجة الاختلاط بمثل هؤلاء الناس ) ووجدوا في منزلها عشرة فروخ أخرى من الكوبونات المزورة .

قدم هؤلاء الاربعة الى المحاكمة أمام المحكمة الجنائية المركزية وحكم على وطسن بالاشغال الشاقة لمدة سبع سنوات بتهمة تزوير وحياسة كوبونات مزورة وعلى بيرنز وهفرمان بالسجن مدة ١٢ شهرا لحيازتهما الكوبونات المذكورة أما مسز هفرمان فوجد أنها غير مذنبه .

ان هذا المجهود القيم لفريق من عشرة ضباط وجاويشة بوليسية برياسة مفتش المباحث جورج روبنس فقد ظلوا يراقبونهم لمدة ثمانية أسابيع كانت تتخللها اوقات كثيرة تحرمهم من تناول الطعام ولكن نفوسهم كانت راضية لانهم انتصروا على عصاية خبيرة بأعمال التزوير وهي مركز التهريب من نظام التموين في جميع أنحاء البلاد .

قد يرى الملاحظ الخارجي أن البوليس يعرف رجلا أو مجموعة من

«رجال لهم علاقة بالجريمة • ولكن نظرا لنقص الأدلة يعجز أحيانا عن تقديم المتهمين الى المحكمة ويتحتم عليه ان ينتظر حتى يصبح بين يديه أدلة مقنعة وكثيرا ما يحدث هذا •

في سنة ١٩٤٦ كانت الفرقة الطائرة ترقب عصابة خطيرة مشتبهها في ان اعضاءها يقومون بغارات كسر نوافذ المحال التجارية وسرقتها وكانت لدى الفرقة شبهات قوية ضدهم ولكن لم يكن لديها أدلة كافية لالتقاء القبض عليهم ثم حدث في صباح أحد الأيام ان رأى رجال البوليس النظاميين في أثناء دوريتهم في منطقة (كلاركفول) سيارة فيها خمسة رجال أو ستة تخرج من شارع جانبي الى طريق رئيسي دون رعاية للضوء الاحمر وبعد مضي ساعات عادت السيارة وهي تجرى بمنتهى السرعة في الاتجاه المضاد ورأى عليها حرف (إن) بحجم كبير مكتوب بلون أسود على أرض بيضاء فخشي أن يكون في الأمر ما يريب وتتبع آثار السيارة على الطريق المبتل الى أن رآها تتقدم نحوه مرة أخرى فوقف في عرض الطريق وأشعل مشعلة علامة لطلب الوقوف منها الا أن السيارة كانت تجرى بسرعة فائقة وعندما حاذته ظهر من المقعد الأمامي وميض وصوت طلق عال كأنه طلق بندقية • ومع ذلك لم يصب رجل البوليس بأذى • ثم عثر على السيارة متروكة في شارع (روزيري) قريبا من المحل الذي أطلق فيه الرصاص وظهر أنها سيارة تابعة للجيش الملكي النرويجي سرقت في الليلة السابقة ووجد بها بطاقة منزوعة من ثوب من الفراء تبلغ قيمته ٢٥٠٠ جنيه سرق أثناء الليل من متجر فراء بشوارع (مونت) •

وبناء على المعلومات التي تجمعت لدى الفرقة توجه ضباطها في ذلك المساء الى مسكن في كلاركفول حيث يستأجر أحد المشبوهين للمسمى (كنج) غرفة نوم ، وكان كنج في الخارج ولكن الضباط وجدوا في جيب جعطف له بندقية ماويز أوتوماتيكية وعدة رصاصات • وتحت مراتب الفراش وجدوا حبلنا أوتوماتيكية ماركة لوجر واجنة وست ربط من مفاتيح السيارات وطلقات أخرى وقبضة حديدية وخنجرا في قرابة وقطعة من الجلد مما يستخدم في سكك حديد الاندجروند (تحت الأرض) للتعلق ثبت في طرفها كرة من المطاط • وفي نفس المساء فتش البوليس أيضا منزلا في (سانت بنكراس) تسكنه مسز وارد وابنتها فعثروا على ثلاثة ملابس سوداء من صوف الخروف المعجمي (استركان) وأحد عشر ثوبا آخر من الفراء وأربعة مسلصات معها احلى وعشرون طليقة من النخيرة • واحتجت مسز وارد بأن الثياب يملكها الساكن لديها وأنها لا تعرف شيئا

عن المستعصات التي لابد أن تكون مملوكة له أيضا ومع ذلك فقد قبض عليها  
هى وابنتها بتهمة اخفاء أشياء مسروقة ونقلتا الى مركز بوليس  
كنجز كروس .

كان بعض الضباط لا يزالون ينتظرون فى كلارك تونل ، وبعد دقائق  
وصل (باب ورت) أحد المشبوهين فستل عن غارة مونت ستريت فاجاب  
فى وقاحة لم يقبض على ؟ لست خائفا . ومع ذلك القى القبض عليه وعندما  
وصل الى مركز البوليس قال ( من الذى ثرثر ؟ اذا كانوا ثرثروا فساذكر  
دورى فى الموضوع ) . وبعدئذ ذكر أنه قابل العصابة فى منزل فى ستراند  
كورنر وقبل أن يقود السيارة للقيام بسرقة الفراء فى وست اند أنكر أنه  
أطلق النار على رجل البوليس واعترف بكسر نافذة متجر الفراء وبقيادته  
للسيارة .

والآن يحل دور المشبوه كنجز وقد عثر عليه فلما سئل عن غارة مونت  
ستريت قال (لابد أن بعضهم قد أطلق لسانه فاذا كانوا خانونى فلا بد  
فى من ايقاعهم واليكم ما اعرف ) .

حضره البوليس واعتقله وأدلى فيما بعد بأقوال ذكر فيها أن مسز  
وارد وابنتها بريتان ، وأنه كان يقيم فى غرفة النوم بكلارك تونل منذ شهر  
وكان يستخدم السرير الذى وجد فيه المسدس لوجر ، وأنه اشتراه هو  
وبندقية ماويز التى وجلت فى جيب معطفه من اثنين من الجنود الكنديين ،  
ثم شرح كيف أن العصابة حطمت نافذة المتجر فى مونت ستريت وكيف  
أخلت الفراء وولت الادبار وأنهم تركوا الفراء فى منزل مسز وارد حيث  
كان يعرف الابنة وكان معه مفتاح الدار وبينما كانوا يقودون السيارة  
للهرب بها وكانوا يمتزمون تركها أضاء أحد رجال البوليس المشعل فأطلق  
الرجل الذى كان يجلس بجوار السائق طلقة نارية ليخيف بهما رجل  
البوليس ومنعه من التقاط رقم السيارة وبعد أن تركوها تفرقت العصابة  
وعاد كنجز الى غرفة نومه وأخفى السلاحين المضبوطين .

بعد ذلك استجوب البوليس مشبوهها آخر اسمه فيجورس اعترف  
بأنه كان فى مونت ستريت وأنه وضع الفراء فى مؤخر السيارة ولكنه  
أنكر إطلاق النار وقال أن كنجز هو الذى فعل وأشارك فى الحادث رجلين  
آخرين اسماهما روسن ومورجان ، ولم يتيسر العثور عليهما لمدة تقرب  
من ثلاثة أسابيع وأخيرا عندما حاصرهما البوليس فى نفس المبنى الذى  
يستاجر كنجز فيه غرفته حاول مورجان أن يتخلص من قبضة حسيديّة  
ولكنها ضبكت وأدلى كلا الرجلين بأقواله فوجه اليهما الاتهام .

فى ذلك الوقت شرح ( كنج ) حادث سرقة ارتكب من قبل حينما سرقت العصاية جلايب من متجر فى ( هوليڊاي رود ) . وبينما كانوا يكسرون قفل متجر آخر فى الليلة وصلت سيارة بوليس وأخذت فى تعقبهم وحال الضباب دون قيادة السيارة بسرعة تكفى للابتعاد عن سيارة البوليس فكسر كنج زجاج السيارة الخلفى وأطلق رصاصة على مقدمة سيارة البوليس على سبيل التحذير ولم يأبه السائق بهذا وأطلق كنج النار على عجلات سيارة البوليس فوقفت واطفأت الانوار وعلى مسافة مائتى ياردة تعطلت سيارة كنج واضطروا الى مفادرتها .

ولما وجد البوليس السيارة المهجورة عثر فيها على ٥٢ ثوبا وأجنة ومفتاح صواميل وعلى ظرفى خرطوش عيار ٣٢ ، وكان على الباب الامامى بصمات كنج ، وفحص مستر تشرشل خبير المفرقات ظرفى الخرطوش اللذين ضبطا فى هذا الحادث وكذلك ظرف حادث اطلاق النار فى كلاركفول، وقرر أنها جميعا أطلقت من المسدس الماوزر الذى وجد فى معطف كنج وتعرف صاحب متجر مونت ستريت على القراء الذى ضبط فى منزل وارڊ .

حوكم الخمسة رجال ومسز وارڊ وابتنتها أمام المحكمة الجنائية المركزية التى لم تدنومسن ولا الرأتين غير انه لم يكن شك فى ان الآخرين كانوا مذنبين وبعد الادانة اعترف كنج باطلاقه النار واعترف بفاوة أخرى من غارات الكسر والنهب حصلت فى شارع ليوبولد وهكذا انتهى مؤقتا نشاط عصاية مزعجة لاقصى حد .



الفصل السابع عشر

فرقة التزوير





تأسيس الفرقة - الحاجة الى اخصائيين فى قانون  
الشركات - محكمة لينسكاى - قضية تتلى - قضية ستلر  
سيتى وويليام المسالم واجلزودوند \*

ان جرائم العنف التى استرعت الأنظار بكثرتها عقب  
الحرب قد حجبها ذلك الطوفان من أعمال التزوير فى إنشاء  
شركات صورية أو فى ادارة شركات قائمة \* وان التحقيق فى  
جرائم التزوير ولا سيما تزوير الشركات عمل فنى لاقصى  
حد ، يتطلب الما بقانون الشركات والحاسبة . لا يتوافر  
لضابط المباحث الجنائية \* ومع ذلك فقد كان فى اسكتلنديارد  
جماعة صغيرة من الضباط اكتسبوا خبرة طويلة فى هذا النوع  
من التحقيق \* وفى مارس سنة ١٩٤٦ اتخذناهم نواة لادارة  
جديدة تختص بتحقيق جرائم تزوير الشركات ، ولما كان هذا  
النوع من الجريمة ينطوى على تحقيقات لا تقتصر على أقسام  
بوليس العاصمة بل تمتد الى مدينة لندن فقد اقترحت على  
السير (هيوتربول) حاكمدار بوليس العاصمة ( المدينة ) ،  
انشاء ادارة مشتركة تتألف من ضباط من كلتا القوتين فوافق  
فورا على هذا الاقتراح \* وعلى هذا أخذ منذ ذلك الحين بوليس  
العاصمة وبوليس المدينة يقومان بأعمال مشتركة \*

وظهر من هذا غرضا شنفوذ بطل غير ملحوظ سنوات  
كثيرة فبمقتضى قانون بوليس العاصمة الصادر فى ١٨٣٩  
يجوز لضباط بوليس العاصمة أن يقوموا بأعمال الكونستابلات  
داخل قصور صاحبة الجلالة الملكية وحولها بعشرة أميال \*  
وهذه المنطقة تشمل مدينة لندن \* ولكن لا يوجد تشريع مماثل  
يحول ضباط بوليس المدينة أن يبلشروا سلطاتهم خارج  
حدود منطقتهم وبدأ ضباط بوليس المدينة الملحقون بفرقة

التزوير في تحقيق قضية في حدود المدينة ثم تقدمت بعد بضعة أشهر الى حدود مراكز بوليس العاصمة وكانت أوراق القضية ترسل الى النائب العام وكانت تطلب أذن التفتيش أمام محكمة ( كلاركول ) وكانت هذه الاذن توجه الى كونستابلات بوليس العاصمة جميعا ، وكانت النتيجة أن تتخذ ترتيبات عاجلة لكي يتقدم بالطلب أحد ضباط بوليس العاصمة الملحقين بالفرقة وأن ينفذ الامر ثم يؤدي شهادة عن القاء القبض في قضية لا يعرف عنها شيئا على وجه التحقيق . ولما بلغ حكم دار المدينة أنه اذا كان ضباط البوليس الملحقون بفرقة التزوير لهم سلطة القبض في منطقة بوليس العاصمة فستنتهى الصعوبات فوافق على ان يقسم اليمين خمسة من ضباط المدينة ليؤدوا اعمال ضباط بوليس العاصمة وصحح الموقف الآن بصدر قانون من البرلمان .

وضعت ادارة تزوير الشركات منذ نشأتها تحت قيادة كبير المراقبين ( ثورب ) الذى اعتزل الخدمة في سنة ١٩٥٤ فتناولت الفرقة في سنتها الاولى ٢٩٠ قضية وأخذ العدد يزداد في كل سنة تالية واستطاعت التحقيقات التى قامت بها الفرقة أن تقتل فى المهد مشروعات كان يمكن نجاحها ولو سمح لها بالحياة لعادت بالربح على أصحابها وبالخسارة على الجمهور وهذا بغض النظر عن التحقيقات التى قدمتها الفرقة الى المحاكم . يتولد كثير من القضايا من تحقيقات الفرقة نفسها وبعضها تحيله عليها لجنة التجارة ومصلحة الجمارك وبعض الإدارات الحكومية الأخرى ، وكثيرا ما تطلب اليها قوات بوليس الاقاليم أن تتولى عنها القضايا المعقدة وكان من المرغوب فيه بشكل ظاهر أن يكون فى المدن الكبيرة مثل ( منشستر ) و ( ليفربول ) و ( برستول ) و ( بريتون ) عدد من الضباط ليقوموا بمثل هذا العمل وأن يتعاونوا مع الفرقة ، وعلى ذلك اتفقت مع رؤساء الكونستابلات المختصين أن يلحقوا بالفرقة بعضا من ضباطهم ليتعلموا أساليبها ويكسبوا خبرة . وهؤلاء الضباط يعملون الآن فى المدن التابعة لها .

أما أشهر تحقيقات فرقة التزوير فهى التى أدت الى انشاء محكمة (لينسكاى) سنة ١٩٤٨ ففى هذه السنة انتشرت الاشاعات بأن بعض الوزراء وموظفى الحكومة أغرامهم ماكان يدفع اليهم من مال أو ماكان يرسل

اليهم من هدايا أو لاعتبارات أخرى أن يحابوا بعض طلاب الرخص أو الاذونات وفي ٢ من يوليو بدأ المراقب ( ثورب ) تحرياته ومعه مساعد واحد . وقبل نهاية التحقيق كان قد ندب للفرقة خمسة عشر رجلا آخرين من رجال المباحث . اما هو نفسه فقد استجوب عدة مئات من الناس وسجل أفوالهم ودلت التحريات المبدئية للفرقة على أن ادعاءات الرشوة في بعض الحالات كانت صحيحة ونتيجة لهذا الفت محكمة برئاسة القاضي ( لينسكاي ) واستمرت نحو شهر تسمع شهادة الشهود وانتهى الأمر بأن أكثر الادعاءات لم تكن على أساس سليم وظهرت براءة المتهمين غير أن هذه المحكمة قررت في قضيتين اثنتين أن المحاباة طلبت ومنحت . ومع أنه لم يوجد ما يصلح أساسا لاتخاذ الإجراءات القانونية فقد أدت النتيجة الى استقالة اثنين من المختصين . وقد أثنت المحكمة على الفرقة أثناء مستطابا للمجهود الذي بذلته في هذه القضية الشاقة ولم يكن هناك شك في أنها أدت خدمة جلية في تحذير الموظفين وعملت كثيرا لتؤكد وجوب أن يتجنب موظفو التاج - بكل تزم - أية علاقة بينهم وبين أصحاب الحاجات المصلحية معهم وهى العلاقات التى قد تثير الشكوك في استقلالهم نفوذهم بغير حق .

وهناك قضية أخرى استغرقت أشهراً في التحقيق وهى قضية ( جورج اريك تيتلى ) المحاسب القانونى إذ استخدم فى أعماله الخاصة مبلغ ثلاثين ألفاً من الجنيهات كان مستحقاً لاحدى شركات اصلاح الطرق التى كان يعمل وكيلاً عنها عندما أمتت الشركة ، ويستولى أيضاً على مبلغ ٢٩٠٠ جنيه حصل عليه ببيع شركة جلود بالنيابة عن أرملة مديرها المتوفى . وتقرير الفرقة عن هذه القضية تناول سلسلة معقدة من التصرفات حاول بواسطتها لص ماهر أن يغطى تزويراته ولذلك أرسل الى ( كوينزلاند ) أحد الضباط ليعيد منها تلى الذى كان قد توجه اليها وأخيراً حكم عليه بالسجن سبع سنوات .

ويحدث أحيانا أن أعمال الفرقة تؤدي بها الى ميادين شديدة الاختلاف فمثلا فى سنة ١٩٥٠ عندما باشرت التحريات عن ابدال حصان ايرلندى اسمه ( نيوتون روك ) الذى أصاب فى السباق نجاحاً كبيراً فى ايرلندا بحصان خصى اسمه ( ليفي فالى ) وليفى هذا كان قد بيع الى صاحب محل رهان فى برمنجهام بعد ماض قصير الامد فاشل فى ايرلندا ولم يظهر بعد ذلك أبداً وجرى ( نيوتون روك ) فى انجلترا على أنه ( ليفي فالى ) فى

سباق الخيول المبتدئة وتفوق عليها بمراحل ولكن التحقيق الذى أجرته  
الفرقة وضع حدا لتاريخه وتاريخ صاحبه الذى اشتراه فسيق الى المحكمة  
الجنايئة المركزية فى شهر فبراير سنة ١٩٥١ .

وهناك حالة أخرى استبدل فيها حصان بحصان وهى الحالة التى  
استبدل فيها الحصان ( ستلر ستى ) بالحصان ( وليم المسالم ) . فكان  
ستلر ستى مهرا ايرلنديا ذاكن اللون ربح عدة سباقات فى ايرلنده سنة  
١٩٤٦ واستحضر الى انجلترا وبيع سباقات باسم ( وليم المسالم ) حتى  
سبتمبر من تلك السنة واهتم نادى (الراكبدارين) بالامر وكان لستلر  
ستى غرة يضاء على جبينه على حين أن وليم المسالم خال منها ولاخفائها  
وضعت قطعة كبيرة مستديرة من الجلد تثبت بحزام الانف ولسوء حظ  
صاحبه انها تزعزحت عندما اقتيد لادخاله الحظيرة على اثر فوزه فى  
( لانارك ) واخذت له صورة فوتوغرافية سجلت وجود الفرقة تسجيلا  
واضحاً وادت الفرقة واجبها فى جميع الأدلة وحكم على رجلين بالسجن  
ثمانية عشر شهرا فى سبع حوادث تزوير .

وحادث الكلاب مثل حوادث الخيول فابديل كلب أكبر سنا وأكثر  
خبرة بـكلب صغير يعطى صاحبه امتيازاً غير عادل وفى أكتوبر سنة ١٩٤٩  
ورد الى اسكتلنديارد خطاب غفل من التوقيع يفيد أن كلبا يسمى (ردوند)  
أى الريح الاحمر وكان قد فاز فوزا كبيرا فى السباقات الحديثة بلندن أنه  
هو الكلب الايرلندى المسمى ( واجلز ) وهو أكثر منه كثيرا فى السن .  
ويحتتم فى انجلترا تسجيل كل جرو فى نادى السباق الاهلى ويجب اعطاء  
التفصيلات عن امه وأبيه ولونه والعلامات التى به متضمنا حتى لون اظافر  
أصابع قدمه . وفى خلال عامين يجب تسمية كل جرو واذا كان الكلب  
للسباق يجب أن تسجل جميع البيانات فى النادى الاهلى لسباق كلاب  
الصيد وهو يصدر بطاقة تحقيق شخصية مسجل عليها جميع السباقات  
التي دخلها . وفى يونيو سنة ١٩٤٨ سجل صاحب كلب صيد خمسة أجزاء  
فى انجلترا . وفى سبتمبر مسمى أحدها باسم (آر دوند ) وفى تجارب  
السباق التى عملت فى يوليو سنة ١٩٤٩ لم ينجح ردوند الا نجاحا  
حتموسطا ولكنه بعد يومين اثنين من آخر محاولة جرى ٥٠٠ ياردة فى وقت  
بقل عن الوقت الذى جرى فيه من قبل ٤٦٠ ياردة وبعد ذلك أخذ يربح  
سلسلة من السباقات الكبيرة وكثيرا منها فى أزمان قياسية . ولما فحصت  
فرقة التزوير الامر وجدت أن كلبا اسمه ( واجلز ) سبق له الفوز فى  
ايرلندا أحضر بالطائرة الى انجلترا فى مايو سنة ١٩٤٩ وبيع الى رجل فى

لقد جوار بمبلغ ١٠٠٠ ج واحضرت الفرقة شهودا من ايرلندا الى انجلترا  
بوعينوا الكلب المسمى ( ردوند ) ولم يجدوا اية صعوبة في التحقق من  
انه الكلب المعروف عندهم في ايرلندا باسم واجلز وأثبتت تحقيقات  
الفرقة وجود استبدالات أخرى وحوكم صاحبه وشقيقه أمام محكمة  
الجنايات المركزية وحكم عليهما بالسجن عامين وثمانية عشر عاما على  
التوالي .

ولكن مثل هذه الحوادث تكون الجانب السهل من عمل فرقة التزوير  
وقد أثبتت في البلدان التجارى نشاطا له غاية الاهمية وحقت الأمل  
المرجو من انشائها . وأن نمو هذا النوع من التخصص في أعمال المباحث  
الجنائية ساعد كثيرا في تطهير المظهر الكريه الذى ساد حياتنا التجارية  
قديما .



الفصل الثامن عشر

المتحف الأسود







تنوع مسلك المجرمين الذى لا حد له... هملر وقناع  
موته وتشارلس بيس وأدواته للسطو على المنازل... عصا السير  
المصنوعة فى منتهى المهارة مفامرات الرجل ذى قدم الفانلا •  
أعمال التزييف والبطاقات ذات الاطراف المشرشرة وأجر  
النهب • بقايا حوادث القتل المشهورة •

ان بقايا الجرائم المشهورة لها دائما تأثير السحر على كل  
أنواع الناس وأن المتحف الأسود باسكتلنديارد يتمتع بشهرة  
تتعدى كثيرا حدود الدوائر البوليسية وقد بدأ بمجموعة من  
المعروضات أخذت من المحاكمات المشهورة فكانت بعد أن  
تقسّم للمحكمة تكس في غرفة فى الطابق الارضى  
باسكتلنديارد • والى هذه الغرفة كان يأتى الزوار ذور الحظوة  
برفقة رجال المباحث وكان الاقتراب منها خلال ممرات تحت  
الارض معتمة مليئة بالتراب مما يزيد الزيارة روعة وطلاوة •  
وإذا كان رجل المباحث محدثا لبقا - وأغلبهم ذلك الرجل -  
وصف المعروضات وتاريخها بأسلوب يتجمد منه دم الزائر •

وأول مرة زرت فيها المتحف كنت فى وزارة الداخلية  
ووجدته أقرب ما يكون الى مكان متعفن يضم خليطاً من أشياء  
مقبضة لا تصلح لأى غرض من أغراض التدريب أما الذى كان  
منها فى متحف مدروسة تدريب رجال المباحث فى هملتون  
فكان فى مجموعه يختلف عن هذا الطراز وأنشئ لتعليم  
الطلبة وفى خلال الحرب أزيحت معروضات المتحف الأسود  
لتفسح مكاناً لنشاط أكثر أهمية • ولما انتهت الحرب بدأ لى  
أنه يحسن إعادة المتحف ولكن فى شكل يضم معروضات لتعليم  
من يزورونه من ضباط البوليس وغيرهم من الناس الذين  
يعتنون بالمظاهر المختلفة للجريمة كما هى الحال فى متحف

رجال المباحث • هذا مع الاحتفاظ بأهمية المجموعة القديمة الجنائزية • وما زال المتحف في الطابق الارضى الا أنه لم يعد ذلك المكان الملىء بالقدر والوجل • وهذا ما يدعو الى أسف بعض الذين يذكرون ما كان عليه الحال من قبل • فقد عدل وزخرف وأدخلت الاضاءة وصففت فيه موائد العرض وبهذا الترتيب الجديد لم تفقد المجموعة أى شيء من قيمتها وهى تبين التنوع الذى لا حصر له لتصرفات المجرمين كأكثر ما يدل عليه أى شيء •

فحول الجدران مجموعة من أقنعة الموت للسجناء الذين شنقوا فى سجن ( نيوجيت ) وقد عملت هذه الاقنعة لدراسة نظرية الدكتور ( جول ) ( ١ ) فى الوقت الذى اعترف فيه كثير من علماء الاجرام بنظرية شبروزو الخاصة بطرائق المجرمين وهذه النظرية ظهر بطلانها منذ أكثر من خمسين سنة مضت من الابحاث التى قام بها أحد أطباء السجن من الضباط الانجليز وهو دكتور جورنج غير أن أقنعة الموت هذه احتفظ بها للتذكير بمهد يظهر أن مشكلة المجرم فيه كانت أبسط مما هى اليوم • وقناع هملر رئيس الجستابو فى عهد هتلر أحد الاقنعة الحديثة التى تجد لها مكانا مناسباً فى هذا المتحف العجيب وقد أحضرها الى المتحف أحد ضباط بوليس العاصمة وكان يعمل فى ادارة الأمن العام فى ألمانيا فى الوقت الذى أمر فيه هملر •

تحتوى الغرفة الأولى على مجموعة فريدة من أدوات السطو على المنازل وهى تبين الاجهزة الدقيقة التى أعمل الذهن فى صنعها مما يستصعبه السارق المحترف • ومع هذه المجموعة نماذج من الأسلحة وغيرها • ومن أهم المعروضات مجموعة ( تشارلس بيس ) التى قضى شطرا كبيرا من حياته فى السطو على المنازل والذى شنق فى سجن أرملى فى ليندز يوم ٢٥ من فبراير سنة ١٨٧٩ لقتله مسز ( ديسون ) وتشتمل المجموعة على مطرقة وجاروف وبريمة وطفاشة وأقفال ومفاتيح لم يكمل صنعها ومصباح من علب الكبريت ونظارات سوداء وذراع اصطناعية تستخدم للتحفى وبوقت لصهر المجوهرات المسروقة وسلم مصنوع من الحبل بدرجات من الخشب يمكن طيه الى حجم صغير وحمله الى مكان التركيب الجريمة •

وأحد المعروضات الحديثة الاخرى هو عصا للسير • ففى خلال سنة ١٩٥٢ أقلت راحة البوليس بوقوع سلسلة من السرقات كان اللص فيها

---

(١) نظرية الدكتور جول وهو طبيب من فينا (١٧٥٨ - ١٨٢٨) تقول ان الجمجمة تتفق مع شكل المخ وان نمو القوامس العقلية يمكن التحقق منها بفحص الجمجمة •

جميعها يدخل المنازل من نافذة علوية • ففي احدى ليالى ديسمبر من تلك السنة لما كان الضباب منتشرا • شاهد أحد الكونستابلات الشبان وكان يقوم بمراقبة قريبا من فندق (دورنتر) رجلا يعالج أبواب بعض السيارات. المنتظرة بالقرب منه ولما جرى الكونستابل نحوه هرب الرجل فى اتجاه ( هايد بارك ) ولكن الكونستابل أدركه وقبض عليه عند السور حيث القى على الأرض عصاه ثم سحب مسدسا أوتوماتيكيا من جيبه وألقى به أيضا وتبين فيما بعد أنه كان يحمل تحت سراويله سكينًا حادة مربوطة الى ساقه وكان يتدلى من حاملته أجنة حديدية ثم أتم معداته بمشعل صغير مع بطارية احتياطية وتسعة مسامير وقطعة كبيرة من جوب حريرى ملفوفة حول عنقه بحيث يمكن أن يسحبها على وجهه فى الحال .

ودل فحص عصا السير على الكيفية التى كان يستطيع بها أن يصل الى النوافذ العليا فالعصا كانت تتألف من خمس أنابيب متداخلة تدخل التلسكوب بحيث أنها اذا سحبت كومت مسيخا يبلغ طوله حوالى احدى عشرة قدما وعلى مسافات يبلغ كل منها نحو قدم توجد ثقوب فى أنابيب العصا يمكن أن تدخل فيها المسامير التسعة لتقوم بوظيفة درجات السلم وكان يمكن أن تشبك العصا فى عارضة احدى النوافذ أو التليفونات بواسطة يدها المعقوفة المغطاة بشريط من المطاط وكان ثقلها فقط هو الدليل على أن هذا الجهاز العجيب لم يكن كما يدل عليه مظهره وقد زخرفت زخرفة فنية باضافة كعب من المطاط اليها بحيث اكسبها مظهر العصا التى يتوكأ عليها الرجل المريض • وكان لهذا السجين تاريخ طويل حافل بالجرائم الخطيرة وقد اعترف أنه مذنب فى حيازته لسلاح نارى بغير سبب مشروع بينما كان يتسكع بنية ارتكاب سرقة وصدور الحكم عليه بحبسه حبسا واقفا لمدة عشر سنوات •

وعلى مقربة من هذه المجموعة يوجد جهاز ( ذى قدم الفانلا ) وهو أحد لصوص المنازل ، وقد استطاع أن ينجح فى النهب من البوليس عدة سنوات ، وكان يقوم بسرقاته فى جميع أنحاء لندن ، وكان يسارس عمله هذا عادة أيام السبت والاحد، وكان يدخل عدة منازل صغيرة متجاورة فى الليلة الواحدة ، وكانت طويقته أن يدفع مزلاج النافذة بالة حادة أو أن ينزع المعجون من لوح الزجاج أو أن يصنع مفتاحا للباب بواسطة زردية صغيرة ولم يكن يترك بصمات ايد أو آثار أقدام ، وكان تارة يرتدى حذاءين احدهما فوق الآخر ، وتارة يغطى قدميه بالقماش حتى يتسنى له أن يسير فى صمت ولا يترك آثار أقدامه وكان عادة يستقل دراجة ويفهب بها الى

أحدى محطات السكك الحديدية أو الى طريق الترام حيث يترك الدراجة ويستقل أول قطار أو ترام صباحا ليمود به الى قلب لندن .

ومن سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٦ على الرغم من التحقيق الدقيق واستخدام عدد كبير من رجال البوليس المرادين ملابس مدنية فقد استمر ذو قدم الفانلا في عبثه باطمئنان حتى تقرر أن تنصب فرقة خاصة لتعالج هذا اللص المثير . وفي غرفة الخرائط وضعت علامات في كل الحالات المشتبه فيها على خريطة خاصة مع إيجاد الصلة بينها وبين الاماكن التي كانت تترك فيها الدراجات وكانت الفرقة تدرس بعناية هذه الحوادث وتتبع كل ما يثير بالاهتمام الى الفاعل ووضع تحت المراقبة جميع المجرمين الذين يعرف عنهم استخدامهم لمثل هذه الطريقة وانتهى الامر الى استبعادهم جميعا ما عدا واحدا . وكان هذا رجلا يدعى ادوارد فيكارز ولم يكن له الا سابقة واحدة منذ عشرين سنة تقريبا .

واستخدم مئات من رجال البوليس للقيام ببحث واسع النطاق اسفر عن الاهتداء اخيرا الى عنوان فيكارز ولكنه كان كثير الروغان سريع الاحساس والشم اذا كان البوليس في اثره فكان أحيانا يتجه الى طريق مسدود ولا غرض له الا أن يكتشف هل يتبعه أحد أم لا .

استؤجرت شقة مقابلة لمسكنه وأخذ فريق من الضباط بينهم بعض النساء يتولون بالمساوبة المراقبة على مختلف الشوارع مستخدمين أحيانا سيارات أو تاكسيات لتعقبه وأخيرا انتهى البحث في أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، فقد اقتفى أثر ذى قدم الفانلا بواسطة الاوتوبيس والقطار لغاية محطة ( ايسست كورت ) بالضواحي الغربية ، ومع أنه اختفى في الظلام فقد وجد بعد مضي بعض الوقت وهو يخرج من حديقة منزل خال ، وكان يحمل مجموعة كاملة من أدوات السطو ولما فتش منزله وجد البوليس فيه كثيرا من المسروقات وازاء هذا الدليل اعترف بارتكاب نحو أربعين جريمة ولكنه لم يعترف الا في الحوادث التي كان واضحا أن البوليس يستطيع تقديم الأدلة على إدانته فيها ، وكان المقدّر أنه في سنة ١٩٣٧ وحدها ارتكب مالا يقل عن مائة وخمسة وثلاثين حادث سطو على المنازل وأنه كان يبدى مثل هذا النشاط منذ سنة ١٩٣٣ ان لم يكن قبل ذلك وبعد القبض عليه توقفت الجرائم التي من هذا النوع ولم تعد .

ويحفظ المتحف بأدوات العمل التي كان يستخدمها وكان فيها المذنان الاضافيان وقفازان من الجلد ومجموعة من المفاتيح وقطع من اللدائن ليأخذ عليها بصمة المفاتيح وقطعتان من الحشيش وزوج من الزرديات ومقبض

معدنى مجوف وبعض الأسلاك وسكين مائدة وقاع جودين كان يضمهما فوق حدائيه وهما اللذان اطلق بسببهما عليه ذو قدم الغزالا .

يدل أحد معروضات المتحف على أهمية علم اغفال شيءهما كان نافها اذا ما وجد فى محل ارتكاب الجريمة فقد عثر على زر مكسور على قاعدة نافذة بمنزل دخله أحد اللصوص فقبض عليه فيما بعد بطريقة الاشتباه فى السطو على منزل والشروع فى ارتكاب جريمة قتل فوجد أحد أزرار سترته مكسورا وكانت القطعة التى وجدت على قاعدة النافذة تتفق تماما مع باقى الزر المكسور وبهذا الدليل أدین \*

ومما له الدلالة نفسها بعض الأسافين وبعض سيقان الكراسى الخشبية. فقد وجدت الاسافين فى بعض منازل ارتكبت فيها جرائم السرقة ولما فتش منزل الناص المشتبه فيه وجد أن الاسافين تتفق تماما مع سيقان الكراسى التى به وانتهى نزعت منه ويوجد فى هذا القسم من المعرض أيضا بعض القنابل الزمنية التى كان يستعملها جيش ايرلندا الحرة أثناء الاضطرابات الارلندية فى خلال الحرب العالمية وصندوق التبغ وبعض الخلفات الأخرى التى كان يملكها سير ( روجر كيسنت ) وهو الذى نفذ فيه حكم الاعدام فى سنة ١٩١٦ بتهمة الخيانة العظمى .

أما القسم الثانى من المعرض فأغلبه مخصص لتزييف النقود الا أن اختفاء الجنيه الذهبى وخفض قيمة العملة الفضية قضى على تزييف النقود بشكل واضح أما اليوم فقد أصبح فن التزوير أكثر أهمية لأن الفرص المتاحة له اتسع ميدانها بانتشار المستندات ذات القيمة غير أوراق البنكنوت. وهى المستندات التى تستخدم كثيرا فى كل يوم فالشيكات وأذونات البريد ودفاتر صناديق التوفير وطوابع التأمين وتذاكر الاشتراك وكثير غيرها تفتح امام المزور ميدانها كبيرا للربح . ومن أجود أنواع التزوير لأوراق البنكنوت التى كان يصدرها ( بنك انجلترا ) هو ما كان يطبع منها فى ألمانيا النازية وكان يوزع خلال الحرب الا أنه يوجد أيضا أوراق بنكنوت مرسومة باليد وهى تكاد تتحدى اكتشاف حقيقتها وعندما كنت أفحص بعضها لم أستطع أن أملك نفسى من التعجب كيف استطاع ذلك أحد المزورين المهرة الذى حصل فى بداية عهدى لوزارة الداخلية على ترخيص فى مزاوله الحفر على حين يقضى الحكم الصادر عليه بالاشغال الشاقة فى سجن بورتلند ، أم هل هى من صنع أمين مكتبة السجن الذى قابلته فيما بعد سنوات عدة وهو يقضى عقوبة الحجز الوائى فى سجن بورتسموت فقد كان رجلا متقدما فى السن رقيق الحاشية على قسط كبير من المعلومات.

وكان ذا قيمة كبيرة في عمله كأمين مكتبة وتحدثت معه في تاريخه فشرح لى مع ابداء اسفه انه أصبح يرى الآن أن التزوير صناعة بائرة لأن النفقات التى تصرف للمشرفين عليها تبلغ أرباحها .

ويظهر أن هذه النفقات كانت مرتفعة بالنسبة للرجل الذى زور اذن البريد من فئة ٦ بنس و ٣ شلن والذى عرضه فى احدى القضايا فقد غير رقم ٣ الى رقم ٨ فى الارقام الكبيرة الدالة على قيمة الاذن ثم غير كلمة :ثلاثة الى ثمانية عدة مرات عندما ذكرت القيمة بالكتابة حول القسم الاوسط من الاذن ولسوء الحظ نسي أن يغير قيمة طابع الدفعة الموجود بجانب الاذن وكان هذا هو سبب افلات الغنيمة منه .

وفى هذا القسم من التحف نماذج من المجوهرات المقلدة والتى يستخدمها المحتالون الذين يعملون على اكتساب ثقة الغير بهم أو التى تستعمل فى اجهزة القمار التى يستخدمها المحتالون مثل عجلة الروليت التى يستطيع العامل أن يوقفها متى شاء وجاروف السحب المستعمل فى الأوراق .

وهذا الجاروف الذى يستخدم فى لعبة السكة الحديدية عبارة عن قطعة معدنية بها فتحة فى مقدمتها توزع منها أوراق اللعب وبها قطعة تملو وتهبط على طول العصا لتحفظ أوراق اللعب فى مكانها وهذه الآلة فى ذاتها ليست وسيلة احتيال بل هى على العكس من ذلك، مهمتها أن تضمن أن الورقة العليا من حزمة أوراق اللعب هى التى تفرق وحدها وحزم الأوراق التى توضع فى هذا الجاروف جديدة مختومة على مايدوغيان حزمة أو أكثر كانت تفتح من قبل وترتب ترتيبا خاصا ثم يعاد ختمها فاذا تصيد المحتال ضحيته فتحت الحزمة وفنطت وان كان التفريط فى الواقع سوريا لا يغير الترتيب الذى وضعت به الأوراق ولا يشترك المحتالون فى اللعب الا اذا أعطيت علامة متفق عليها من قبل وهى سحب ورقة معينة ويكون الترتيب عند حلول هذه اللحظة هو أن يجعل الضحية تتسلم الجاروف وينصبونه ( بنكا ) وبهذه الطريقة ينتف ريشه ويجز صوفه .

انطلاقة بعض الناس أكثر من أن تتصور وكذلك ثقتهم فى قدرتهم على الحصول على شيء دون مقابل فقد استطاعت عصابة من محتالين استراليين أن يستولوا بحيلة ماهرة على مقادير كبيرة من المال وكان ذلك بطريقة النصب المعروفة بأجر الذهب . فأحد الإبرياء الجالسين فى إحدى السيارات أو فى قاعة استقبال الفنادق قد يجد نفسه مشتتكا فى حديث مع رجل غريب يعرض عليه لسبب ظاهره الصديق أن يبيعه صندوقا مليئا بقضبان

الذهب بسعر مفر بطبيعة الحال وهذا الغريب كمظهر من مظاهر ثقته يدي. استعداده الكامل لترك نموذج منها مع المشتري وهذا النموذج يكون من الذهب الحقيقي أما سائر التضييق التي في الصندوق وهي التي لم يكلف المشتري نفسه عناء بحثها بدقة فتوزن على أنها من الذهب ولكنها تكون في الحقيقة من نحاس حتى بأنابيب الزئبق ترتفع بالوزن الى المستوى المطلوب .

وبالمتحف أيضا مجموعة من الحقائق والصناديق المصممة خصيصا لاستعمال المهرين ولصوص المتاجر . أما ما يستعمله المهربون منها فله جوانب وأرضيات مزدوجة وتصميمات أخرى مخفية بطريقة ماهرة تخدع موظفي الجمارك عن أن يكتشفوها أما الصناديق التي يستخدمها خاطف المتاجر فلها جوانب وأرضية ذات مفصلات يمكن أن تدفع فيها باليد الأشياء المسروقة وهذا التصميم يسمح بأن توضع الصناديق فوق الأشياء المراد سرقتها بحيث إذا رفع السارق الصندوق مرة أخرى أصبحت المسروقات بداخله .

وبالقسم الثالث من المتحف بقايا كثيرة من حوادث القتل المشهورة. ففيه مثلا دفتر مذكرات كونستابل البوليس ادمج مع البيانات التي كان يكتبها حينما أطلقت عليه النار . والهاوية المصنوعة من المطاط التي استخدمها توماس قاتله ورصاصات مختلفة وظروف رصاصات وكتاب ( اطلاق النار في سنبل العيش ) وهو الذي وجد مع توماس وبجوار هذه الأشياء يوجد معطف المطر والمسلمات التي أشير اليها في قضية (انكريس) وقطع ألواح الأرضية الملونة بالدماء التي أخذت من مسكن دوغلاس هيوم الذي أدين بتهمة اشتراكه في مقتل متانلي ستي . ويوجد ما يذكر بقضايا أخرى قديمة فالسندس الذي استخدمه ( ادم سنج ) في حادث مقتل سير ( مايكل ادوير ) على رصيف في ( كاكستون حول سنة ١٩٤٠ ) كما يوجد الدبوس الدائر والادوات الأخرى التي كانت ( لرونالد ترو ) الذي حكم عليه بالإعدام في مايو سنة ١٩٢٢ لقتله (جروترو باقس) الذي وجد فيما بعد أنه مجنون فأرسل الي ( يرودمور ) وتوجد أيضا سكين صيد استخدمها ( باي وترز ) في حادث القتل الذي أدين بسببه هو ومسز طومسون في ديسمبر سنة ١٩٢٢ وتوجد كذلك مذكرات هربرت أرمستريج محامي ( موث ويلز ) ولقافتان من الزرنينغ شبيعتان بما استخدمه في تسميم زوجته في سنة ١٩٢٢ وصندوق الدواء والمسماح الذي كان يستخدمه ( نيل كريم ) سجين لأميت الذي أعلم في نيوجيت.

لقتله ماتيلدا كلوفر بتسميمها بالأستركتين ويوجد عدد من بقايا قضية كربين سنة ١٩١٠ وفيها البرقية اللاسلكية التي أدت الى القبض على كربين وزميلته ايثل لنيف عند وصولها الى نيويورك ومما يذكر أن هذه هي المرة الاولى التي استخدم فيها اللاسلكي لمثل هذا الغرض .

وهناك مجموعة من معروضات هامة أخرى وهي التي لها علاقة بمقتل الكونستابل جتدرج في مركز اسكس وهو الذي قتله براون وكندى في سنة ١٩٢٨ وهذه المجموعة تتضمن سلم عربية ورفرفها وكانت قد سرقت من أحد الاطباء وعليها آثار دماء نشأت عن اصابته بأعيرة نارية وعدد من أدوات الجراحة التي سرقت من السيارة عندما وجلت مهجورة في ( بركستون ) وعثر عليها فيما بعد في حظيرة براون القريبة من محل الحادث ووجد قناعان للوجه كان يرتديهما المجرمون ومسندسان ضبط أحدهما مع براون حينما قبض عليه وثبت أنه استعمل في اطلاق خرطوشة وجد ظرفها في السيارة المسروقة .

ويشتمل المتحف على عدد من المعروضات التي تبين تاريخ بوليس العاصمة ولكن بسبب ما أصاب السجلات والمذكرات من تلف شامل عند الانتقال الى المبنى الحالي في سنة ١٨٩٠ فإن هذه المعروضات قليلة العدد، أما وقد أعيد انشاء المتحف فالمرجو أن يجنب اليه بالتدريج المواد التي تشرح بالتفصيل تطور قوات البوليس وان كان التمثال الذي يود كل رجل من رجال البوليس أن يراه هو بطبيعة الحال اختفاء المعروضات اختفاء كاملا مع اختفاء الجرائم التي تستخدم فيها .



الفصل التاسع عشر

الفرع الخاص  
وزيادة ما يشاء الله تعالى



الدور الذى يلعبه الفرع الخاص - حكمداؤه - حماية الوزراء والزوار الممتازين - أخطار القتل التى كان يتعرض لها مارشال تيتو - كيف اتخذت الحيلة ضدها - قلق رئيس الوزراء - الزيارة تمر دون حادث - الاضطرابات السياسية الداخلية لا تدخل فى اختصاص الفرع المخصوص - كيف عولج موضوع الفاشيين والشيوعيين فى ( ايسنت اند ) .

ان الخلاف بين تفهمنا للدور الذى يلعبه البوليس وتفهم كثير من البلدان الاخرى له واجهنى بمجرد ان توجهت الى اسكتلنديارد فى محادثة مع المدير العام للامن فى باريس ومبالي اذا كنت اجتمع كثيرا بوزير الداخلية فأخبرته بأنه قد مضى شهر أو أكثر دون أن ألقاه الا فى المناسبات الاجتماعية على الرغم من أن مكتبى يتبادل مع وزارة الداخلية المراسلات الرسمية بانتظام فى المسائل الادارية وقد نالت منه الدهشة كل منال وقال ( يا الهى انى أمضى مع وزيرى ساعتين كل صباح ) .

وفى الواقع لا توجد رابطة مشتركة بين بوليس العاصمة أو حتى الفرع الخاص وبين قوات البوليس السياسى كما هو فى كثير من الاقطار الاخرى .

ان الفرع المخصوص جزء من ادارة المباحث الجنائية وهو مبدئيا ادارة مخابرات ومهمته أن يفرض رقابة مستمرة على أية جماعة من الناس من أى لون سياسى يحتمل أن يؤدى نشاطها عاجلا أو آجلا الى اعمال صريحة للاخلال بالامن أو التحريض عليه وبناء على ذلك كان الفرع يهتم من وقت لآخر بجماعة

الاخوان الارلنديين الجمهوريين وهي التي كانت قد أدت باستخدامها  
الديناميت في سنة ١٨٨٤ الى انشاء هذا النوع كما يعنى الفرع بأعمال  
جماعة سين فين (١) والفاشينيين الشيوعيين والفوضويين والانتخابات والهنود.  
الوطنيين ووكلاء المخابرات في جيوش الاعداء في اثناء الحرب .

ويرأسه القومندان (برت) وقد بدأ حياته في الدرك بوظيفة كونستابل.  
نظامي ، ثم التحق بإدارة المباحث الجنائية وأعيد في الحرب العالمية الثانية  
الى القسم الخامس للاستعلامات الحربية وعاد الى اسكتلنديارد في سنة ١٩٤٥  
الى الفرع المخصوص. وبرت يليق لهذا العمل لانه هادئ الطبع لا يضطرب  
يظنه الانسان أحد كبار موظفي الحكومة المدنيين أو أحد كبار موظفي الجماعة  
أكثر مما يحسبه من رجال البوليس ويمتاز بذاكرة عجيبة ، واكتسب منذ  
سنوات طويلة خبرة واسعة بالناس الذين يشتغلون بالكرات الارهابية .

وضباط الفرع المخصوص ليست لهم سلطات تفوق سلطات ضباط  
البوليس الاعتيادي ، واذا ما أريد اتخاذ إجراء فانه يترك عادة الى فروع قوات  
البوليس الاعتيادية ، وفي كل ميناء بحري أو جوي يعين مندوب للفرع  
المخصوص ومهمته التعاون مع ضباط الهجرة في أن يفحص فحصا دقيقا  
كل الاجانب الذين يدخلون البلاد ، ويطلب من ضباط هذا الفرع أن  
يكونوا على معرفة باللفات وبعض الاتجاهات السياسية وكثيرا ما ينسب  
اليهم نشاط يدعو للأسف ، وأرى من الانصاف لهم أن أقول انه لو صح  
وجود مثل هذا النشاط فاني لم أكتشفه برغم اني عملت مع ضباط الفرع  
المخصوص أغلب السنوات الاربعين الماضية وكنت على صلة وثيقة بهم .  
وهناك واجب آخر يقع عبؤه على عاتق الفرع المخصوص وهو أن يخصصوا  
ضباطا لحماية الوزراء ، وقد مضى وقت طويل دون أية محاولة لاغتيال  
حياة وزير بالملكة ، وقلما تدعو الحاجة الى أن يقوم بحماية أحد الا رئيس.  
الوزراء ووزيري الداخلية والخارجية وهم أبرز اعضاء الحكومة وأكثر  
الناس استهدافا لثغرى الفتن ، والعمل الرئيسي للضباط هو تخليص  
الوزراء من الازعاج والمضايقة ولكن عليهم واجب اليقظة لكل ما هو أكثر  
خطورة من ذلك ويعنون أنفسهم لمعالجته أو طلب مساعدة ضباط آخرين  
اذا استدعى الحال .

وتعطي حماية مشابهة لرؤساء الحكومات الأجنبية أو الزائرين  
المعظم القادمين من خارج المملكة فمثلا في نوفمبر سنة ١٩٥٢ سألني

(١) ( السين فين ) حركة سياسية اجتماعية تنادي باستقلال أيرلندا وتعليم اللغة والآداب.  
الأيرلندية .

وزير الداخلية عن وجهة نظري فيما يمكن قرضه من نظام كاف لحماية (مارشال تيتو) عند قدومه في زيارة غير رسمية الى هذه الملكة فشعرت بأن واجبى يقضى بأن أقول ان في الامر مخاطرة ينبغي ألا يففل لها حساب، ولكن سوف نبلل غاية جهدنا ولو أنه من المستحيل ان نضمن عدم حصول مايمكن حسوئه . وكان حاضرا في ذهني تاريخ قائم عن الاغتيالات السياسية واذا كان أحد المتطرفين من خصومه استطاع أن يدخل بلادنا على أنه زائر أو طالب وكان مهيتا نفسه لمواجهة نتائج عمله فقد يستفيد من طرقتنا السهلة غير المقيدة لمحاولة يصعب عليه إقترافها في دولة أخرى حيث يكون الزوار الكبار في حراسة أكثر التصاقا مما هي هنا .

وبصرف النظر عن احتمال القيام بمحاولة مقرونة بالعنف ضده ، فهناك احتمال أن يقوم جماعة أو أكثر من المتذمرين من نظامالمارشال في الحكم بمظاهرة فالإيطاليون من أجل تريستا والشيوعيون بسبب خروجه على الكومنفورم ، والفاشيون لانه شيوعي ، والرومان الكاثوليك للمعاملة التي يعامل بها الكنيسة والقسس ، ولتذكر جماعات الصرب والكروات الذين كانوا أثناء الحرب - ولا زالوا - في عدااء مع تيتو وكثير من أعضائهم سجن أو شنق .

ولم ينب عن نظرنا في كل حين عندما رسمنا الخطة أن نذكر حادث (ساراجيفو) ونتائج . وعندما تقررت الزيارة نهائيا وضع الحكمдар بروت بمساعدة رئيس الكونستابلات في الملكة ترتيبا لكي يراجع في جميع أنحاء البلاد سجلات المشتبه فيهم من أهالي البلقان ووسط أوروبا ففحصوا كشوف الاجانب المسجلة أسماءهم على ضوء تاريخهم وعما يعرف عن هؤلاء الذين يستحقون منهم رقابة خاصة وقد زدودنا ادارات المخابرات التابعة الى (يوغوسلافيا) وحكومتنا ببضعة أسماء معينة على حين قامت وزارة الداخلية بوساطة ضباط الهجرة بفرض رقابة دقيقة على كل من يهبطون في الموانئ البحرية والجوية .

وقد راجعت في الوقت نفسه جميع الاجراءات التي يجب اتخاذها أثناء زيارة مارشال تيتو لحمايته شخصيا وكما يحدث عند زيارة رؤساء الدول ينبغي الحاق مخبرين منتخبين لمراقبته أثناء اقامته للتعاون مع من يستصحبهم من ضباط الأمن ، ولكن ظهر لنا أن أكثر من هذا لابد منه وعلى الاخص في هذه المناسبات التي تستلزم مروره في الشوارع أثناء رحلته أو زيارته بعض الاماكن خارج لندن . ان الحرس الراكب الذي يحرس الملك أو رؤساء الزائرين ليس الا حرسا مظهريا ولكنه من الصعب

«نقول بأنه يؤدي أكثر من حماية رمزية • واقتبست من نظم بوليس أمريكا شبيها وقررت أن تكون حراسة المارشال يحرس من راكبي الموتوسيكلات ان دوريات بوليس الموتوسيكلات بتدريهم وخبرتهم سائقون متفوقون في جميع الاحوال • واختيرت فرقة لهذا من بينهم عدد ستة عشر كونستابلا أربعة من كل قسم وأرسلوا للتدريب في هندون واستطاعوا أن يكونوا الائق تشكيلة تصلح لهذا الواجب غير المألوف ، ولما وصل المارشال بدعوا العمل وكانوا موضع حديث كل فرد بأنه لم يشهد من قبل مثل هذا المنظر الفريد في لندن •

لقد قاموا بحراسة سيارة المارشال في جميع رحلاته بلندن ومكنوه من تنفيذ البرنامج في مواعيده المقررة في خلال اسبوع مزدحم والاتفاق مع رئيس الكونستابلات المختص قد رافقه في رحلاته خارج بوليس العاصمة الى ( وندسور ودكسفورد ) وكنا من حسن حظنا قد جئنا الحرس في الوقت المناسب بخوذة الصدام التي اعتمدت حديثا والمطلية بالسواد وعليها شريط أزرق وشارة بوليس العاصمة وقد أظهروا بمظهرهم الانيق بحسن قيادتهم للموتوسيكلات ماقد يؤديه هذا النظام الجديد من الحراسة في مناسبات الاحتفالات وهو نظام جديد بالنسبة للندن وخير ما استخدم فيما بعد اثناء طواف الملكة خلال لندن بعد التتويج •

على أن وظيفتهم لم تكن مقصورة على أعمال الاحتفال فإن أعظم الخطر في احتمال الاعتداء على حياة المارشال كان قد يبدو واضحا في الاوقات التي كان يقف فيها بلا حراك ويسير فيها سيرا بطيئا على مقربة من حشود الناس فبالتعاون الذي وضعت خطته بعناية بين البوليس المشاة وحرس الموتوسيكلات أمكن عدم وقوف سيارته في صفوف السيارات ، ونظمت الحراسة بحيث يستطيع دائما راكبان من حرس الموتوسيكلات أن يطبقا على السيارة اذا ما دعت الحاجة بحيث يستطيعان أن يضبطا أى شخص يحاول أن يجري نحو السيارة التي كانت في حد ذاتها من السيارات التي لا يتركها الرصاص وان مما يؤكد الأمن في الحياة السياسية الانجليزية أن مثل هذه السيارة لم يتيسر الحصول عليها في هذه البلاد وان حكومة شمالي ايرلندا هي التي وضعتها تحت تصرفنا •

وكان تاريخ الزيارة وتفاصيل برنامجها سرا والسبب ظاهر لانه كلما بكر في اعلانها اتسبح الوقت للأشخاص ذوى الميول الخبيثة ليعمدوا خططهم ، وقدم تاريخ وصول المارشال في مرحلة متأخرة من

البرنامج فعين له ١٦ من مارس بدلا من ٢٣ ولم تعرف ميناء الوصول حتى بالنسبة لرجال البوليس الا قبل الوصول ببضعة أيام .

ولما لم تكن الزيارة زيارة رسمية فان البروتوكول لم يسمح بأن ينزل المارشال في قصر بكينجهام وعلى ذلك أصبح من الأهمية بمكان اختيار مكان مناسب لاقامته وواضح أنه كان لا بد من اختياره بحيث تمكن حراسته حراسة طيبة ولهذا السبب استبعدت الفنادق من الحساب وشدت على أن ينزل في منزل خاص . واختير لهذا الغرض قصر (هويت لودج) في ريتشموند بارك ، وكان هذا المكان من وجهة نظر البوليس مكانا مدهشا لانه مع قربه من لندن قريبا معقولا كان مع ذلك قائما على أرض مرتفعة يمكن أن يرى منها كل من يحاول الاقتراب وكذلك اختيرت الشوارع التي يسلكها بين هذه البقعة ولندن .

كان واضحا ان المكان الذي يقيم فيه المارشال لا يمكن أن يظل طي الكتمان طويلا بعد وصوله ولكن قبل ذلك لم يكن ما يدعو الى الاعلان عنه وخلال الزيارة كان المنزل محاطا بحرس مسلح تمزقه الكلاب البوليسية وكان على صلة برياسة البوليس تليفونيا ولا سلكيا وكانت به أنوار كاشفة متحركة لكي تغمر الأرض بنورها في حالات الاضطراب .

وبمجرد أن وضع نظام تحركات المارشال وضعنا خطة تفصيلية لتزويد النقط التي يحتمل ان ينشأ منها خطر . رجال البوليس . كما درست بدقة جميع الطرق التي يسلكها ووضعت الترتيبات للإرشاد الى تحركات القارب المسمى (نور) التابع لسلطات ميناء لندن وهو يتجه في نهر التيمز من جرينتش الى متنزّه وستمنستر النهري وذلك لكي تخفى القناطر بأقل تدخل في حركة المرور التي يمر من تحتها القارب لانه من الظاهر أنها تعد من نقط الخطر .

ولما كان متنزّه وستمنستر الذي سيسير فيه المارشال يطل عليه قنطرة وستمنستر وساحل فيكتوريا فقد شمرت بالحاجة الى اتخاذ احتياطات خاصة وعلى ذلك وضعت ( كردونات) سياجات من البوليس تبعد الناس عن القنطرة وعن جزء من الساحل من على جانبي المتنزّه أما المتنزّه نفسه فقد فتش تفثيشا دقيقا للبحث عن مفرقات وكان ذلك بواسطة بوليس سلطات ميناء لندن وضباط بوليس العاصمة التابعين للفرقة أو وضعت عليها حراسة من ليلة السبت حتى وصول المارشال بعد ظهر يوم الاثنين .

وفي حين اتخذت هذه الاحتياطات كنت مهتما بأن تبذل كل التسهيلات

المعقولة لمثل الصحافة وأشرطة الاخبار والاذاعة وهي الهيئات التي كانت تقضى مهمتها بأن تذيع على العالم بياناً كاملاً في أول فرصة لزيارة كان ينتظر أن يكون لها أهمية سياسية بارزة ، وكان للمخبرين الصحفيين والمصورين والمعلقين على الاخبار في الراديو القادمين من يوغوسلافيا ٠٠ الحق في مطالبتنا بمساعدتهم . وكانت هيئة الاذاعة البريطانية تؤكد أهمية الزيارة بغلات مختلفة الى دول أوروبا . وفي الوقت نفسه كنت مهتماً ألا تقلق راحة المارشال بمقابلة عدد كبير من مخبري الجرائد له ، ولهذا رأيت أن أصدر بطاقات خاصة لعدد محدود من المخبرين المعتمدين والمصورين وعمال أشرطة الاخبار على أن يعملوا جميعاً متعاونين لحساب جميع من يعينهم الأمر ، وأن يقتسموا فيما بينهم النتائج وتمت الموافقة على هذا . وقد علمت أن هذا الترتيب نجح ولقد يسر مهمة البوليس .

ولما اقترب موعد الزيارة كان من المستحيل أن تتجنب الشهور بالقلق ، ولذلك لم يدهشني أن يطلب رئيس الوزراء في يوم الخميس السابق على الزيارة أن أتوجه لمقابلته حيث أخبرني مستر ونستون تشرشل أن المارشال تيتو لم يكن محبوباً من عدد وفير من الناس وقد لا يتحرج بعضهم من محاولة قتله فما الذي عملته لحمايته ؟ فعرضت عليه الخطوات التي اتخذناها . ثم سألت : ما الذي اتخذناه بشأن متنزه وستمنستر ؟ فأخبرته ويظهر أنه رضى به وبعد مضي يومين طلب مني بمقابلته في مجلس العموم وأعاد سؤاله عن متنزه وستمنستر وأعدت عليه النظام الذي أعدناه . وعندئذ قال تشرشل ( أود أن أذهب اليه وأشاهد ما عملتموه ) . خرجنا معاً من مجلس العموم وسرنا الى الساحل فلما وصلنا الى الأرض ودرسنا موقعها وحالتها أكد أنه يكون من الحكمة إبعاد جميع الناس عن الأماكن المظلة على المتنزه

في يوم الاثنين وهو صباح يوم وصول المارشال أرسل رئيس الوزراء في طلبى للمرة الثالثة وأمرني أن أعيد النظر في الترتيبات مرة أخرى فلما انتهيت سألتني هل أنت راضٍ عنها فقلت ( راضٍ ) فأجاب في اهتمام ( حسناً انها مسئوليتك بالطبع ) فعملت الى اسكتلنديارد وأنا أعزى نفسي بهذا الاعتقاد .

لم يكن ثمة ما يمكن عمله الا انتظار الحوادث والتوسل الى الله بحسن الختام وكنت في المتنزه حينما وصل المارشال فكان رجلاً مرحاً تبدو عليه ملامح الذكاء رائق المزاج ، وكان يتلو خطابه بلغة انكليزية كان ظاهراً أنه لم يعتدها ولم يكن يظهر عليه اضطراب من توقع أى حادث مزعج .



وفي الواقع فإن الحادث الوحيد في هذه الزيارة وقع عندما أخذت سيارته تفادى المتنزه اذ ألقى أحد الموجودين في جموع الناس قريبا من محطة وستمنستر قنبلة دخان ولم يرها أحد وهي ترمى ولم يقبض على أحد وذهبت القنبلة في مجرى المياه القنطرة محدثة فزعا قليلا في محيطها وكان هذا كل شيء .

كنت أتلقي تقارير منتظمة عن تحركات المارشال كل يوم ولكن لم يكن بها ما يستحق التسجيل وقد رأيته مرة ثانية في حفلة استقبال أقامها السفير اليوغوسلافي وقد تناولت فيها لأول مرة مشروبا وطنيا يسمى ( سليفوفتس ) واني مستعد أن أجرب أي مشروب مرة ثانية ولكني لأحب أن أجرب هذا المشروب مرة أخرى .

في صباح اليوم الأخير من زيارته استدعى رجل المباحث اللذين كانا ملحقين بخدمته وأهدى اليهما علبة سجائر من الذهب وقد تلقت فيما بعد خطاب شكر من السفير اليوغوسلافي يعبر فيه عن تقديره لكل ما اتخذ من تدابير ، وفي أول إبريل قال رئيس الحكومة في مجلس العموم ( لست أظن أن من المغالة القول بأن الزيارة كلها لاقت نجاحا منقطع النظير وانها ساهمت في التعاون والتفاهم المتبادلين بين البلدين كما عملت على تأييد قضية السلم العامة ؟ ) .

إن قيام بوليس العاصمة بلوهر في هذه الزيارة التاريخية مصدر رضاء عظيم له إذ يعرف أن ضيفنا الممتاز عاد الى وطنه ومعه ذكريات سارة عن هذه البلاد غير أننا كنا نقضل أن يرآنا ونحن مبتعدون عن المظاهر الرسمية كما رآنا أمثاله من كبار الزوار غير أن الأخطار التي تعرضنا لها كانت أخطارا جساما . وأظن أنه ليس من الشيء القبيح أن يتحقق كل فرد كيف أن رقابة البوليس يمكن زيادتها بسرعة وبإحكام الى درجة لم نعهد من قبل ولو كان هذا لبيان الضرورة التي تقضى بصيانة حريتنا فلا تصبح التدابير الاستثنائية التي اتخذت في ذلك الأسبوع أشياء مألوفة .

منذ الحرب أقلقتنا قليلا الاضطرابات الناشئة عن نشاط بعض احزاب سياسية الا ان هذه الاضطرابات عندما وقعت لم يقع عبء معالجتها على عاتق الفرع المخصوص بل على بوليس النظام فالحركة الفاشية التي كان لها قبل الحرب أتباع عديدون عولجت خلال الحرب بشيء من الشدة ولم يبق منها الآن الا شكل مخفف غير أن الفاشيين بمجرد أن وجدوا أنفسهم قادرين على تجديد نشاطهم لم يتخلفوا عن ذلك متسمين باسم ( حركة

الاتحاد ) متخذين طريقة التحصن منظمين المواقف والاجتماعات في تلك الانحاء من «ايسست اند» التي يكثر فيها السكان اليهود . وكانت هذه التصرفات تثير قيام مظاهرات مضادة ، وكان يقع بعض ما يخلش الأمن العام فلما حصل هذا بدا لي أنه قد آن الأوان لاندخل فأصدرت بموافقة وزير الداخلية أمرا في ٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٨ الخاص بالنظام العام حرم المواقف السياسية في مساحة كبيرة من ايسست اند فتهرب الفاشيون من أحكام هذا الامر ونظموا في الحال موكبا خارج المنطقة المحرمة وكانت نتيجته حدوث اخلال شديد بالنظام وقبض على واحد وثلاثين شخصا .

وبناء على ذلك أصدرت أمرا جديدا في ٦ من مايو يشمل جميع مناطق بوليس العاصمة ويخولني ذلك القانون السلطة لهذا العمل لمدة ثلاثة أشهر وبما أنه خلال هذا الوقت كانت حركة الاتحاد تستمر في عقد اجتماعات في شوارع ايسست اند ، وإن لم تستطع أن تنظم موكبها وكان يقع في تلك الاجتماعات في كثير من الظروف اصطدامات بينهم وبينه خصوصهم فجددت الامر ثلاثة أشهر أخرى لغاية ٦ من نوفمبر ، وفي هذا الوقت تحسنت الاحوال وقل الاضطراب في الاجتماعات ، وكذلك قررت أن ألقى الحظر الذي كان مفروضا على المواقف على أمل أن تتجنب حركة الاتحاد أي تعديات أخرى .

استمرت الاجتماعات المنتظمة تعقد في منطقة دليستون وأخذ كبير الراقبين ( سنترويت ) وضباطه التابعون للفرقة ( ج ) يقضون الأسابيع ثلو الأسابيع في الفصل بين المتنازعين أو في فض الاجتماعات اذا هدئت بالتحول الى التشاجر الصرف . وكنت أقابل ( سنترويت ) بانتظام ، وكنت أقنعه بضرورة التزام الحياد ولكني في الوقت ذاته أخبرته أنه سيوجد كل تأييد اذا لجأ الى الاجراءات العنيفة حين يخشى حدوث اضطرابات ، فقابل سنترويت وهو رجل صريح زعماء الاضطرابات وصرح لهم بما لديه من تعليمات ، واعتقد أنه كان يدين بالتأييد الذي منحه اياه وما أظنني بحاجة الى القول بأن رجال البوليس الذين أجلت كشوف أجازاتهم كانوا متفهمين كل التفهم من هذه المهمة وكانوا يستمطون اللعنات على رعوس كل من الفاشيين والشيوعيين .

ولم يكن رجال البوليس في مركز يحصلون عليه لأن الفاشيين كانوا يشكون من أن البوليس أخفق في حمايتهم وهم يمارسون حقهم في حرية الخطابة في حين أن اليهود والشيوعيين كانوا يشكون من أن البوليس يحس الفاشيين حينما كانوا ينظمون اجتماعاتهم المثيرة للشائنة في مناطق

كان معروفًا أنهم غير مرضى عنهم فيها فهذه الشكاوى المتناقضة كانت طبعًا دليلًا على أن البوليس كان يلتزم الحياء .

بعد شهر أو شهرين بدأ حزب الاتحاد أكثر نشاطًا فنظم موكبًا جديدًا كان فيه كثير من سوء النظام فأعيد فرض الحظر في ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٩ مدة ثلاثة أشهر وكان له أثر أطول بقاء من الحظر السابق فمر الصيف في أمان إلا أنه في الحريف قام موكب من ( ميرستريت ) إلى ( ردل رود ) ولقي معارضة من هيئة من الشبان الشيوعيين اليهود تعرف باسم جماعة ٤٣ وكان لابد من القاء القبض على اثني عشر شخصًا .

بعد بضعة أسابيع ظهر أنه إذا لم أكن أعلنت فرض القيود على المواكب للاستفحال الاضطراب لأن هذه المواكب لم تكن تجذب إليها الحشود السياسيين من الفاشست فقط ولكنها تجلب أيضًا عددًا من الرعاة الصغار الذين يجدون فيها فرصًا لخلق اضطرابات يفيدون منها ، ولما فكر في تنظيم موكب ٤ من أكتوبر كان محققًا أن الاضطرابات ستتولد عنه ، ولذلك أعددت فرض القيود من ٣ من أكتوبر لمدة ثلاثة أشهر وكنت أجددها كل ثلاثة أشهر حتى ربيع سنة ١٩٥١ عندما انتهت المدة قبل ( يوم مايو ) ماعدا فترات قصيرة في يناير سنة ١٩٥٠ .

وفي جميع أنحاء العالم يكون ( يوم مايو ) هذا اليوم الذي تقوم فيه مظاهرات اشتراكية وشيوعية . وفي لندن منذ عدة سنوات اعتاد مجلس صناعات لندن أن ينظم سلسلة من المواكب المنتظمة تسير من أحياء لندن المختلفة إلى ميدان ترافلجار حيث تعقد اجتماعًا عظيمًا . وفي سنة ١٩٥٠ وقعت هذه المواكب ذات الصبغة السياسية تحت طائلة الحظر الذي فرض بالامر الذي أصدرته ولذلك تمتنع كثيرون وأغضب هذا أولئك الذين كانوا يرغبون في تسير مواكب ( يوم مايو ) المعتادة وطلبوا أن أقصر أمرى على المواكب الفاشية وأنى إذا لم أقبل هذا فيسكون تصرف مشوبًا بالغرض وفي الواقع أن السلطة التي حولني إياها القانون لا تعطى حق التفرقة فلما أن تشمل الجميع وأما لا ، غير أنني سنة ١٩٥١ لم أكن أرغب في تجديد الأمر مدة الأشهر الثلاثة .

أولاً - لأنى بصفة عامة أكره القيود التي تخالف تقاليدنا عن حرية الخطابة وطبيعة العمل ولم تكن لي أية نزعة لغرض قيد ما إلا كملأ آخر .

وثانياً - لأن الحظر وقد استمر أكثر من اثني عشر شهراً متوالية

يمكن أن يفسر تفسيراً له مسحة من الحق بأنى أكسب تصرفاً وقد رأى البرلمان أن يكون مؤقتاً ( صفة الدوام ) .

وثالثاً - من التلحية العملية وهي الأهم - اتى اقتنعت بأن الحاجة الى فرض القيود قد انتهت وأن الحظر يمكن أن يرفع دون أى خوف من تحديد الاضطرابات .

وفى الواقع ظهر لى أن الاضطرابات تكون أكثر احتمالاً اذا ما حاولنا أن نمنع مواكب ( يوم مايو ) وقد كانت فى الماضى مقرونة بالنظام أكثر منها من قيام مظاهرات صغيرة تنظمها جماعات منقسمة على نفسها وغير منظمة ممن يمالئون الفاشيين . ولهذا قررت ألا أعيد فرض الحظر ، ولم يجد فيما بعد ما يجعل من الضرورى إعادة فرضه . وبدأ حزب الاتحاد يظهر بمظهر التحرش . وكانت محاولات خصومهم فى تعطيل اجتماعاتهم وسيلة للدعاية لهم ولم يكونوا يستطيعونها بجهودهم وحدها . فلما تحقق زعماء الطائفة اليهودية من ذلك أقنعوا الجماعات المعارضة لحزب الاتحاد أن من المصلحة تجاهل تلك الاجتماعات وهذه النصيحة الحكيمة مع ما أبداه رجال البوليس المحل من الصبر والحزم غادت باطبيب الثمرات فاختفى اختفاء كاملاً مدة عامين كل مظهر من مظاهر الاضطراب .

وفضلاً عن نشاط حزب الاتحاد خلت السنوات التالية للحزب خلواً تاماً من أى اخلال بالأمن ويمكن أن توصف بأنها خالية من الحوادث الا حادثة واحدة سبب ذكرها عاقلة بالأذهان زمناً طويلاً . فان الوطنيين الاسكتلنديين لم يسترعوا الا قليلاً من الانتباه جنوبى الحدود وحتى فى اسكتلندا لم يتخطوا حدود الاضطرابات العادية السياسية ولكنهم فى مساء عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ قاموا بضربة أحدثت عجباً دام تسعة أيام بسرقتهم حجر سكون (١) من كرمى التتويج فى كنيسة وستمنستر .

---

(١) وهو اسم العاصمة القديمة لاسكتلندا ومحل تتويج ملوكها وكنيسة وستمنستر أشهر مبنى دينى فى انجلترا وكان يتوج فيها ملوكها منذ ٩٠٠ سنة ويدفن فيها الملوك والشراء والسياسيون والجندي المجهول .

الفصل العشرون

حجر يكون  
أو حجر التورج





بلاغات عن محاولات لسرقة ماسة الملك - حظ الناشئين  
برجل البوليس يرى المجرمين - عريضة للملك - المطاردة تنتقل  
الى اسكتلندا - استجواب للشبيوه الأول - شابان يسردان  
قصتهما - عودة المجر \*

جليب جيجرسكون (١) الى انجلترا في سنة ١٢٩٦ ادوارد  
الاول بعد انتصاره على الاسكتلنديين وكان قد ثبته والتر نقاش  
الملك في كرسى ومنذ ذلك التاريخ وملوك انجلترا وملكاتهما  
يتوجون عليه ، وكان هذا المجر في نظر الوطنيين الاسكتلنديين  
رمز الاستقلال الاسكتلندى \* وكون فريق صغير منهم فكرة  
الاستيلاء عليه ونقله الى اسكتلندا ليوجه انظار الراى العام الى  
شكاياتهم \*

---

(١) جيجرسكون - نسبة الى مدينة (سكون) عاصمة اسكتلندا القديمة  
بلندن ، وهذا المجر هو الذى توج عليه ملوك بريطانيا . وكان يتوج عليه ملوك  
اسكتلندا لعدة سنه حتى نقل الى لندن عام ١٢٩٦ م  
الترجم

وكانت اسكتلنديارد قد تلقت من قبل بلاغا بأنه يحتمل حدوث محاولة للاستيلاء على حجر الملك في ( كنيجستون أون تيمس ) التي كان يتوج عليها الملوك السكسونيون ، ثم وصلت معلومات أخرى بأن عضوا بارزا من الجناح المتطرف من جماعة الوطنيين الاسكتلنديين غادر اسكتلندا قاصدا الى انجلترا بالسيارة . ولذلك أخذ البوليس منذ ذلك الوقت يراقب حجر الملك ليلا ونهارا . ولم تصل إلينا أية اشاعة عن محاولة الاستيلاء على ( حجر سكون ) . وقام بالسرقة جماعة من الهواة الناشئين صاحبهم الحظ . فانهم حينما قبض عليهم أخيرا وإستجوبهم رجال البوليس كان الأثر الذي تركوه في نفوسهم أن هؤلاء الشباب لم يكن لديهم أية فكرة عن النجاح في نزع الحجر فانهم كانوا يعتزمون محاولة نزعه أثناء النهار عندما تكون الكنيسة مفتوحة ، وكانوا لا يبالون اذا شوهدوا وهم يفعلون ذلك ويقبض عليهم لأنهم يكونون قد حققوا الغرض الذي يبقونهم من العالانية التي تنشأ عن القبض عليهم .

في مساء عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ كانت كنيسة وستمنستر مغلقة لا يدخلها الجمهور من الساعة الخامسة مساء فأغلق الحارس الابواب والبوابات الحديدية خارج ركن الشعراء (١) وبعد الساعة التاسعة خرج الحارس الى الممر المغطى ورأى الكاهن يتحدث مع اثنين من الطلاب خارج البوابة ، فطلب اليه الكاهن أن يفتح لهما البوابة ويسمح لهما بالدخول لكي يطلعهما على بعض اجزاء المباني المهمة ، وبعد نحو عشر دقائق انصرف الطالبان ولاحظ الحارس انهما يتكلمان بلهجة اسكتلندية .

وفي الساعة ١٠ و٤٥ مساء سلم الحارس المهدة الى رجل المطلق . والى حارس الليل فقاما بالمرور المعتاد خلال الليل ، ولم يلاحظا أمرا غير عادي حتى اذا وافقت الساعة السادسة صيحا رأى الحارس أن الباب الموجود في ركن الشعراء فتح عنوة فتوجه في الحال الى كنيسة (هتري) السابع . وتحقق من أن الشمعدانات الفضية والصليب الموضوع على التمثال التذكاري لمركبة بريطانيا لم تهرق . ثم توجه إلى كنيسة أدوارد . المعترف فوجد أن حجر التتويج الذي يزن حوالي ٤٥ رطلا مسروقا .

بمجرد أن أبلغ خبر السرقة الى البوليس اتصل برئيس المباحث الجنائية بالمرور تليفونيا وأبلغني ماحدث وكان قد عهد الى رئيس مفتشى رجال المباحث ( ماك جراث ) التابع لفرقة (١) والذي تقع الكنيسة في

(١) ركن الشعراء ذكر مشهور من أركان كنيسة وستمنستر دق فيه كثير من مشاهير



اختصاصه القيام بالأبحاث وأكد لى أن كل مايمكن عمله لكشف الحادث قد عمل .

لما وصل ( ماك جراث ) الى الكنيسة في ذلك الصباح وجد ان البوابة الموصلة من بلاس يارد الى ركن الشعراء كانت مفتوحة ، وان الأبواب الخشبية على يمين الطريق الموصل من البوابة الى باب ركن الشعراء فتح عنوة ، وكان المزلاج والقفل قد انتزعا وكان متيسرا أن تدخل من الباب قطعة طويلة من الخشب كان يستعملها البنائون الذين كانوا يعملون بالكنيسة وبذا كان يمكن الوصول الى باب ركن الشعراء الذى ظهر أنه فتح عنوة ايضا من الخارج كما ظهرت عليه آثار استعمال (أجنة) حديدية ، وكانت المسامير المثبت بها لوحة المزلاج الخاص بفناء البناء مفقودة . فوجد ماك جراث داخل الكنيسة أن زخرفة الكرسي قد أتلفتها نزع الحجر ووجد تحته ( أجنة ) حديدية وساعة يد مما يلبسه الرجال على معصمهم ودلت الآثار التى على الأرض أن الحجر سحب من الكرسي ومر من الباب الى المذبح المرتفع ثم من درجت المذبح الى باب ركن الشعراء .

وفي الحال استجوب كبير المفتشين كل الشهود الممكن سؤا لهم ، وكان أحد الكونستابلات الحديثين القليلي الخبرة يقوم بعمله خارج الكنيسة في الصباح الباكر فذكر أنه رأى سيارة سوداء ملوكة (فوردا انجليا) بدون أضواء منتظرة في الطريق الموصل الى باب ركن الشعراء حوالي الساعة ١٥ ره في ذلك الصباح، وكان بها رجل وامرأة ولما سألهما لايضاح سبب وقوفهما على أرض خاصة أجابا بلهجة اسكتلندية أنهما في رحلة ويبحثان عن مكان يقضيان الليل فيه فأرشدتهما الكونستابل الى موقف انتظار العربات في شارع (جريت كولديج) القريب من ذلك المكان ووصف المرأة بأن عمرها بين اثنتين وعشرين سنة وخمس وعشرين ذات شعر طويل أسود وبأن عينيها سوداوان ، ولها أنف مدبب طويل وشفتان رقيعتان ولون بشرتها خمري ، وكان الرجل يكبرها بستين أو ثلاث ذا بنية متوسطة وشعره ذهبي ، اشعث وانفه يكاد يكون أفطس ولم تتكلم الفتاة كثيرا ولكن الرجل كان يرغب في مواصلة الحديث ، وكان يتكلم بلهجة اسكتلندية ظاهرة جدا . وبينما هم يتكلمون سمع صوت طرق باب فلما سمعه الكونستابل قال بروح المسيحي المتدين ( أخشى أن يكون هذا صوت حارس الليل وأنه قد وقع ) ثم أضاء مشعله ووجهه الى ظهر

السيارة ولم ير الا سجادة للرحلات ( وضع تحتها كما جاء بالكتاب الذى نشره اiban هاملتون فيما بعد قطعة من الحجر كسرت اثناء نزعه ) .

بعد بضع دقائق تحركت السيارة واختبر رجل البوليس البوابات الحديدية فى نهاية الطريق على بعد ١٥ ياردة من مدخل الشعراء . ووجه مشملة ايضا الى باب ركن الشعراء ولكنه بدا من هذه المسافة سليما ولم يلاحظ الابواب الخشبية التى فتحت عنوة وقد رأى اثنوا بالكنيسة ولكنه ظن انه يحتمل ان يكون قد اضاءها بعض الناس استعدادا لصلوات عيد الميلاد ثم سار فى سبيله .

ومرة اخرى واجه المفتش (ماك جراث) الحارس الذى تذكر انه وجد رجلا فى الكنيسة بعد اغلاقها فى مساء ٢٣ من ديسمبر كان مختبئا خلف تمثال فى الجناح الشمالى للكنيسة وكان يلبس جوربا فى قدميه ويحمل فردة حذاء فى يده اليسرى وكانت الثانية فى جيب جاكته وقال فى لهجة اسكتلندية انه كان بداخل الكنيسة عندما اغلقت . وخشى ان يستفيث حتى لايقع فى متاعب وآجاب ان اسمه اليسون وانه كاتب تجارى فى محطة بالذنجتون ومع انه لم يقدم بطاقة تحقيق شخصية فقد مكثفى الحارس بتصديق روايته وسمح له بالخروج من الباب الشمالى .

كانت الأدلة حتى هذه المرحلة تشير الى ان الوطنيين الاسكتلنديين هما المحرضان على السرقة وبدأت التحقيقات تسير فى هذا الطريق حتى يوم ٢٩ من ديسمبر اذ وجد على مكتب جريدة جلاسجو هرالد التماس موجه الى الملك وهذا نصه .

ان العريضة التى يرفعها بعض رعايا جلالة الملك جورج السادس ومن اشدهم ولاء وطاعة تبين بكل خضوع ان مقدمى هذا الالتماس الى جلالته هم الذين ازاحوا حجر القضاء والقدر من كنيسة وستمنستر ، وانهم فى ازاحة هذا الحجر لم يقصدوا الاضرار بممتلكات جلالته ، ولا ان ينقصوا من احترامهم للكنيسة التى هو رئيسها الزمنى .

وان حجر القضاء والقدر على كل حال هو الرمز القديم للجنسية الاسكتلندية ، وانه نقل من اسكتلندا بالقوة واستبقى فى انجلترا وفى هذا تكث للعهد الذى قطعه سلفه الملك ادوارد الثالث ملك انجلترا ، وان مكانه الطبيعى هو فى وجوده بين شعب جلالته الاسكتلندى الذين يعتبرون هذا الرمز العزيز فوق كل شيء .

ان مقدمى الالتماس للملكى سيكونون على أتم استعداد لاعادة الحجر الى العهدة الامينة التى يتمتع بها ضباط جلالة اذا ما تكرم جلالة وحقق مطلبهم بأن يبقى الحجر فى جميع الأيام القبلية باسكتلندا بين ممتلكات جلالة أو غيرها مما يراه جلالة مناسباً .

وان هذا التأكيد لن يحول دون استعمال الحجر فى تنويع اصحاب الجلالة خلفاء جلالة سواء فى انجلترا أو فى اسكتلندا .

وان مقدمى الالتماس مستعدون لان يقدموا لوزراء صاحب الجلالة او من ينوب عنهم الدليل على انهم القوم القادرون والراغبون والمتلفهون لان يميذوا الحجر الى عهدة ضباط جلالة الملك .

ان مقدمى الالتماس لصاحب الجلالة الذين خلموا جلالة فى اوقات الحرب والسلام يعاهدونه ثانية على ولائهم له محتفظين دائماً بحقوقهم وواجبهم فى الاحتجاج على تصرفات وزراء جلالة اذا كانت هذه الاعمال مضادة لرغبات شعب جلالة الاسكتلندى أو روحه . واشهاداً على حسن نية مقدمى الالتماس الى جلالة يضيفون البيان الاتى الخاص بترك ساعة فى كنيسة وستمنستر فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ وهامى ذى :

١ - ان ( زمبرك ) الساعة أصلح حديثاً .

٢ - ان المسمار الذى يربط الساعة بالطرف الايمن من جلدة المعصم كسر ولحم ، وقد قدم هذا البيان عوضاً عن توقيع مقدمى الالتماس لجلالة الملك خوف القبض عليهم .

ولو ان الالتماس لم يكن مهوراً بامضاء فان الاشارة الى الساعة الثالثة بلغت من الدقة مبلغاً يدل على ان كاتبه كانت لهم صلة بالحادث .

وكانت تنهال على اسكتلنديارد البلاغات عن مكان وجود الحجر وكانت تفحص هذه البلاغات فما وجد منها صالحاً للبحث أجرى البحث فيه ، واعلن احد الكتاب انه لو زود ببعض بيانات عن الحجر لما وجد صعوبة فى معرفة مكانه بالتجائه الى اساليب روحانية يحذرها الا ان ادارة المباحث الجنائية وجدت ان المساعدة التى يعرضها أكثر مما يجب الالتجاء اليه والدليل الملموس الوحيد الذى وجد كان هو العثور فى ٦ من يناير على لوحة بها وصف للكرسى كانت توضع عليه عادة وقد وجدت فى مكان متهدم من الفارقات فى ( فتون ستريت ) قريباً من الكنيسة .

ولما كان واضحا انه من العبث استمرار التحريات في لندن فقد انتقل التحقيق الى اسكتلندا حيث لجأ كبير المفتشين ( ملك جراث ) الى ( بوليس جلاسجو ) طلبا للمساعدة وبناء على معلومات تلقاها هذا البوليس في ٢٣ من يناير استجوب آنسة تدعى ( كاترين بل كاليسون ) مدرسة فن التدبير المنزلى فأتكرت انها تعرف اى شيء عن سرقة الحجر وان كانت أضافت قولها ( لو كنت أعلم شيئا لما ذكرته لك ) وقالت انها قضت عيد الميلاد في دارها في روسشير ولما لم يقتنع البوليس بأقوالها فقد واصل أبحاثه فوجد انها تعرف قيادة السيارة وأنها غادرت مسكنها في جلاسجو في ٢٢ من ديسمبر في طريقها الى لندن وانها رؤيت وهي تعود الى دارها بالقطار في ( دانج وال ) في ٢٧ من ديسمبر ، وانها اتصلت تليفونيا بصاحبة فندق مجاور لدارها وطلبت منها ان توصل رسالة الى امها تذكرها بانها اذا سال البوليس عن تحركاتها في عيد الميلاد كان على الام ان تقول له انها عادت الى المنزل في ٢٥ من ديسمبر . وعلم فيما بعد انه لما انتهى البوليس من استجوابها اتصلت تليفونيا مرة أخرى بصاحبة الفندق وطلبت اليها ان توصل رسالة عاجلة الى امها بهذا المعنى .

وفي مساء ٣٠ من يناير وجد اعلان على درجات سلم كتدرائية ( سانت جيلز ) بادنبره هذا نصه :

( نحن الأشخاص الذين نزعوا حجر القضاة والقدر من كنيسة وستمنستر صباح يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ والذين نقلوه عبر الحدود الى هوجماناي سنة ١٩٥٠ يرغبون في أن يوجهوا الى الشعب الاسكتلندي النداء الآتي وان يطلبوا تعليماته عن طريق التخلص من الحجر .

وازاء التهديد بالسجن نحن نعيد تأكيد تعميمنا بالاحتفاظ بهذا الرمز العتيق للجنسية الاسكتلندية في بلادنا ما لم يبد الشعب الاسكتلندي رغبته الصريحة في إعادة الحجر الى كنيسة انجلترا .

ولذلك نقترح ان تتخذ الجمعية الوطنية الاسكتلندية في اجتماعها القادم قرارا لتعيين مكان استقرار الحجر في المستقبل ، ونحن نعهدنا باحترام اى قرار تتخذه لاتنا مقتنعون ان هذه الجمعية هي الوحيدة التى تستطيع ان تعبر عن ارادة شعب اسكتلندا .

واذا كان قرار الجمعية هو إعادة الحجر الى انجلترا فنسسلمه الى اى مندوب تعينه الكنيسة الانجليزية ، او الى من ترى الجمعية تسليمه اليه اما اذا قررت الجمعية ان يبقى الحجر في اسكتلندا فان املنا الصادق

هو أن تتفاوض الجمعية مع سلطات لندن لكي يجد الحجر مستقره الدائم  
لا في مذبح لأناس لا يرون فيه الا نه من غنائم الحرب ولكن في عاصمة أمة  
تفخر باعتباره زمرا لحريتها .

وللتدليل على حسن نوايانا فاتنا نذيع البيان الآتي وهو ييان لم  
يلعبه بعد رجال البوليس .

١ - في ليلة السبت ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ طرد حارس  
كنيسة وستمنستر أحد أعضائنا من الكنيسة بعد اغلاقها بنصف ساعة  
واسم شريكنا هو جون اليسون القاطن في شارع ارلنجتون رقم ١٤ .

٢ - ان المسمار المعلقة به هذه الوثيقة على باب كنديائية سانت  
جيلز منزوع من مبانى كنيسة وستمنستر .

وكان هذا المسمار حلزوني الشكل ترك على عتبة الكنيسة وقد  
اقتنع مالك جراث بأنه أحد المسامير التي نزلت بالقوة من بوابة فناء  
البنائين بالكنيسة .

وفي ١٦ من مارس استجويت أم ( مس مانيسون ) وأكدت أن ابنتها  
عادت الى المنزل في مساء يوم عيد الميلاد غير أن مس مانيسون حينما  
استجوبها البوليس تحققت من عدم امكان الاستمرار على روايتها طويلا  
وقررت أن تعترف ومن دلائل حالة التوتر التي كان فيها هؤلاء الشبان  
ليلة السرقة أن مس مانيسون كانت تعتقد انها هي لا رجل البوليس  
التي أبدت الملحوظة عن سقوط الحارس على الأرض وهندما استجوب  
بعد ذلك زملاؤها حدثت خلافات بسيطة بين اقوالهم مما يعزل الحالة  
الطبيعية التي كانت فيها أعصابهم وقت ارتكاب الحادث وبعد أن أتمت  
مس مانيسون اقوالها أضافت انها كانت تعتزم الا تتكلم الا باللغة  
الاسكتلندية الدارجة ولكن لسبب غير معروف عدلت عن تصميمها  
ورفضت أن تذكر أسماء شركائها .

وفي هذه الاثناء دلت التحريات التي عملت في الحظائر الموجودة في  
جلاسجو وقريبا منها على أن سيارة من طراز ( فورد انجيا ) استأجرها  
في جلاسجو يوم ٢٢ من ديسمبر طالب اسمه ( جافن فرنون ) الذي يبلغ  
من العمر ٢٤ سنة وانها أعيدت في ٢٩ من ديسمبر بعد أن قطعت ١٤٧٩  
ميلا وقبل هذا بقليل طلب طالب آخر اسمه ( ايان هاملتون ) وعمره ٢٥  
سنة من نفس الحظيرة استئجار سيارة ولكن الحظيرة رفضت أن تؤجر  
له فانصرف ثم عاد ومعه فرنون الذي استأجر السيارة .

خطر في بال احد رجال البوليس في جلاسجو ان يستعلم من دار الكتب التابعة للبلدية عما إذا كان قد استعار أحد في الآونة الأخيرة كتباً عن كنيسة وستمنستر وأظهرت السجلات أن ثلاثة كتب في هذا الموضوع اعيرت لهاملتون في ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٠. ودلت التحريات التالية على أن شخصاً ثالثاً اسمه ( الكسندر ستيفورت ) وعمره ٢٠ سنة كانت له علاقة بالحادث فاستلمى هو وفرون وهاملتون واستجوبوا وأنكر هاملتون قيامه بأي دور في السرقة ورفض الإدلاء بأي قول ولكن المفتش (ماك جراث) لاحظ سرور هذا الشاب حينما أتاح له المفتش فرصة يشرح فيها من الذي يراه أحق من الناحية القانونية بحيازة الحجر . أما ستيفورت وفرون فقد أدليا بأقوالهما غير أنه لم يبع أحد منهما بأسماء شركائهما فمن هذه الأقوال ومن أقوال مانيسون يمكن أن تؤلف قصة السرقة .

قرر فرنون ولثلاثة من أصدقائه قبيل عيد الميلاد أن يتوجهوا الى الكنيسة ويسرقوا أو يستمروا ، وهي الكلمة التي فضلوا استعمالها ، حجر السكون فاستأجر فرنون سيارة من طراز فورد انجليا وفي مساء يوم الجمعة ٢٢ من ديسمبر انطلق مع هاملتون الى لندن يصحبهما ستيفورت ومس مانيسون في عربة مماثلة يملكها والد ستيفورت ووصلتا الى لندن في مساء اليوم التالي وطافوا فيها بعض الوقت للتفرج عليها وفيما بعد توجه هاملتون الى الكنيسة وهو يعتزم البقاء داخلها بعد إغلاقها ليرى مالمذى يحدث فيها ولكنه انضم الى زملائه بعد أن طرده حارسها وهو الذى ذكر له أن اسمه اليسون .

وقضى الاربعة الليل نياما في سياراتهم وفي بعد ظهر اليوم التالى زاروا الكنيسة للاستكشاف وقرروا أن الباب الموجود في ركن الشعراء هو أسهل طريق موصل الى داخل الكنيسة ولاحظوا الابواب الخشبية الموصلة الى فناء البناء وفي ساعة متأخرة من المساء سار فرنون وستيفورت حول فناء الكنيسة حيث تقابلا مع الكاهن ثم عاد الاربعة الى سياراتهما للنوم على نية أخذ الحجر في صباح يوم الاثنين عندما تفتح الكنيسة ولكن البرد ايقظهم من النوم فقرروا الشروع في العمل فوراً .

وكانوا قد اتموه اعداد مدخل لهم بأن كسروا المزالج الخشبية من الباب ورموه في فناء الباب وقص فرنون كيف أنه وضع المسامير الاربعة لثتى كانت في اللوحة في جيبه ثم في ثقب بأحدى السيارتين .

ثم قادوا السيارات إلى محل انتظار بشلوع (جريت كوليدج) وتركوا سيارة فرنون هناك وقادتهم جميعا بالسيارة الأخرى مس مانيسون إلى الكنيسة واتجهت السيارة إلى ركن الشعراء ودخلوا الكنيسة ونزعوا الحجر من كرسى التتويج ووجدوه أثقل مما كانوا يتوقعون فوضعه على معطف هاملتون وسحبوه إلى باب ركن الشعراء وفي هذه اللحظة سمعوا صوت آلة السيارة تدور فصجلوا بإفاد هاملتون ليطلب من مس مانيسون إيقافها وكانت قد رأت أحد رجال البوليس يمر الطريق متجها إليهما فتقدمت بالسيارة في وسط الشارع لتحاول بذلك أن تحول نظره عن الكنيسة وعجل هاملتون بالقفز إلى السيارة وذكر كلاهما للكونستابل أنهما سائحان يبحثان عن مكان للمبيت .

كان فرنون وستيورات قد حملوا الحجر إلى البوابة الخشبية دون أن يعلموا بما هو حاصل في الخارج ثم تطلعا من ثقب المفتاح ورأيا رجل البوليس بجانب السيارة وسمعا ملاحظة عن سقوط حارس الكنيسة ثم انطلقت السيارة بمس مانيسون وهاملتون دون أن يستطيعا الاتصال بزميلهما وعادت مس مانيسون وحدها إلى اسكتلندا بناء على تعليمات هاملتون .

بعد أن انصرف حارس الكنيسة توجه فرنون وستيورات إلى مكان انتظار السيارات للبحث عن سيارتهما وقبل أن يبلغاه رأيا عربة بوليس تمر بجوارهما فخافا أن يكون البوليس قد أبلغ عن السرقة فقررا أخذ السيارة والابتعاد بها قورا ولما وصلا إلى شارع جريت كوليدج لم يجدوا مفتاح السيارة ولما بلغ الفرع منهما مبلغا كبيرا انصرفا راجلين وبعد مضي بعض الوقت وبمحض الصدفة قابلها هاملتون يقود السيارة التي ذهبها يفيئانها .

فلما اطمان هاملتون إلى عودة مس مانيسون سالمة رجع إلى محل انتظار السيارات في شارع جريت كوليدج ولما وصل إليه وجد أن المفتاح ليس معه ولكنه تذكر أنه كان في جيب معطفه الذي استخذه لجر الحجر ولذلك عاد ثانية إلى الكنيسة ولحسن حظه وجد أن المفتاح ملقى على الأرض فعاد وأخذ السيارة من محل الانتظار ورجع للمرة الثالثة إلى الكنيسة ووضع الحجر في الجزء الخلفي من السيارة تحت معطفه وكان يقود السيارة على غير هدى في لندن وضل في طرقها إلى أن رأى بالصدفة فرنون وستيورات يسيران معا وجينذاك اتفق على أن يعود فرنون إلى جلاسجو بالقطار وأن يهرب ستيورات وهاملتون بالسيارة

وعاد فنون الى جلاسجو بصاحبيه فيما بعد وتسلم منهما السيارة واعادها الى الجراج .

سار الاخران بالسيارة الى « كنت » وقبيل وصولهما الى رويستر اخفيا الحجر في غابة قريبة من الطريق ثم واصلا رحطهما الى اسكتلندا التى تقل اليها الحجر فيما بعد اما اللوحة التى كانت على الكرسي فقد القى بها في موقع متهدم من القنابل في شارع تفتون حيث وجدت وكان ستيوارت وهاملتون هما اللذان كتبوا الالتماس الذى ترك في ادارة جريدة جلاسجو هرالد والاعلان الذى وجد على باب كاتدرائية (سانت جيلز) .

ان الامر الذى يكتسبه القارئ من الكتاب الذى ألفه هاملتون عن هذا العمل الجريء هو أن هذا العمل مغامرة من مغامرات الطلاب اذكته نيران الحماسة الدينية فهاملتون الذى صرح بأنه هو الذى وجد في الكنيسة في الليلة السابقة على ليلة السرقة كان يملأ نفسه حقد كبير على انجلترا دون معرفة تامة بهذا الحقد . وكان يعد نفسه كأنه يقوم بحرب صليبية نيابة عن وطنه المهضوم الحق وازاء صدق ماجاء في كتابه نعرف أن شيوخ الوطنيين الاسكتلنديين كانوا يشجعونه على التمسك بفكرته مع انه كان ينتظر منهم أن يكونوا أكثر احاطة بالحوال .

حسبنا هذا القدر من الكلام عن سرقة الحجر ولنتناول الآن مسألة عودته ففى سبيل البحث عنه جفف البوليس بحيرة «السربانيتية» (١) في لندن وما حولها حيث يحتمل أن يخبأ فيها ثم انتقل البحث الى اسكتلندا حيث كنا متأكدين من أنه نقل اليها ولم تكن لدينا حتى ذلك الوقت أية فكرة عن مقره الى أن حصل في ١١ من ابريل سنة ١٩٥١ أن توجه أحد مدرسي المدارس وهو مستر دافيد اليستر جاردنر من سكان مدينة اربروث وأحد أعضاء المجلس البلدى وعضو في حزب الوطنيين الاسكتلنديين الى مركز بوليس اربروث وأبلغه أن الحجر موجود في المذبح العالى في كنيسة اربروث المتهدمة .

ويقول مستر جاردنر ومستر فراتك ثورنتون المتعهد وعضو المجلس البلدى لمدينة اربروث وعضو حزب الوطنيين الاسكتلنديين انه قد طلب اليهما قبل يوم ١١ من ابريل أن يتوسطا في اعادة الحجر والا يوحا بأسماء الأشخاص الذين طلبوا وساطتهما وبحسب وصف مستر جاردنر كان الذين اعادوا الحجر غير الثلاثة الذين اخذوه وكانوا يكبرونهم في السن كثيرا .

(١) هي بحيرة جميلة أنشئت في هايد بلوك في لندن بين سنتي ١٧٢٠ ، ١٧٢٢ م



وحوالى ظهر ١١ من إبريل ذهب مستر ثورنتون الى كنيسة اديروث وكانت حيث توقفت هناك سيارة بها ثلاثة أشخاص وقتل الحجر من حقيبة السيارة محمولا على نقالة تحت علم سنت أندرو الى الكنيسة ووضع في المذبح العالى وتذكر مستر وشارت حارس الكنيسة أنه رأى مستر جاردنر واقفا خارج المكتب في هذا الوقت ولكنه - وقد كان مشغولا ببيع بطاقات برديّة الى المتفرجين - طلب اليه الانتظار ولما فرغ من بيع البطاقات قال للمستمر جاردنر « أهذا هو حجر القضاء والقدر » فأجابته مستر جاردنر « نعم انه حجر القضاء والقدر وها هو ذا يسلم لك » .

وعندئذ قال مستر وشارت : « كان عليهم ان يستأذنوا قبل الحضور هنا بالحجر لأنى أنا المسئول هنا » .

وعلى كل حال فقد قبل تسلم الحجر وعند مفادرة الرجال الذين أحضروه قال أحدهم له « انى سعيد جدا لمقابلتك ولتقليدك شرف قبول حجر القضاء والقدر » ولم يكن مستر وشارت يعرف أحدا منهم .

ولقد وضع على الحجر ظرفان مختومان موجهان الى جلالة الملك والى الجمعية العمومية لكنيسة اسكتلندا وهذه صورة خطاب الملك أرسلها كاتبوها الى الصحف ونصه :

« خطاب الى جلالة الملك جورج السادس من رعاياه الاسكتلنديين الذين تقولوا حجر القضاء والقدر من كنيسة وستمنستر واحتفظوا به فى اسكتلندا منذ اعادته اليها وهم يمرضون بخضوع ... انهم فيما فعلوا وهم الرعايا المخلصون ، لم يقصدوا استهانة أو اضرارا بجلالته أو للأسرة الملكية .

وان لاحدا بهم على ما فعلوا ليس الا حبههم العميق لحكم جلالته لاسكتلندا ورغبتهم فى لفت انتظار وزراء جلالته الى مطالب الشعب الاسكتلندى التى اعلنوها على الا بالمطالبة للحصول على قسط من الحكم الذاتى .

واستعاد البوليس الحجر من كنيسة اديروث ونقله الى بوليس فورفار فى اليوم التالى الى بوليس جلاسجو الرئيسى حيث اختبره المختصون بالكنيسة وتحققوا من أنه هو وقد أصيب الحجر بتلف طفيف فى أحد أركانه ولكن التلف أصحح وفيما عدا هذا لم يمس بسوء وفى اليوم

التالى نقل الحجر الى لندن حيث سلم بعد الساعة الثامنة مساء بحضور وزير الداخلية الى عميد الكنيسة .

وبعد أن استعيد الحجر لم يبق الا تقرير هل تتخذ الاجراءات لقضاة هؤلاء الذين ازاحوه ؟ وفى ١٦ من ابريل اعلن النائب العام سير هارتلى كروس قراره فى مجلس العموم جوابا عن سؤال وجهه مستر هندرسون ستبأرت قال : -

« ان البوليس قام بتحقيق واف ذو بالحرى تحقيق فى منتهى الدقة فى هذه المسألة المحزنة واتى أدرس الآن التقرير المقدم عنه وهو يشتمل على أقوال ثلاثة أشخاص من الأربعة الذين يظن أنهم اشتركوا فى ازاحة الحجر من كنيسة وستمنستر وقد اعترف كل منهم بالدور الذى لعبه دون ان يوقع بالآخرين او يدل على مقر الحجر حينذاك وان انتزاع الحجر بطريقة خفية من كنيسة وستمنستر والطريقة التى اخذ بها والاستهتار الظاهر نحو قداسة الكنيسة كانت أعمال تخريب فاضحة قوبلت بكثير من الحزن والسخط فى انجلترا واسكتلندا وكادت تسمى الى سمعة المختصين فى البلدين ، ومع ذلك فلا اعتقد ان المصلحة العامة تتطلب منى ان أشير باتخاذ الاجراءات القانونية .

ولهذا الموضوع حاشية صغيرة طريفة فقد حضر «ابان هاملتون» الى مركز بوليس كاتون رو فى ١٦ من مايو وطلب مقابلة المفتش ماك جراث وهاملتون هذا كان قد اترك مرتين من قبل ان لا صلة له بسرقة الحجر وقال له انه منذ أن قابل المفتش فى اسكتلندا رجع مذكراته اليومية فعرف انه كان فى كنيسة وستمنستر فى صباح يوم عيد الميلاد وأنه ساعد فى ازاحة حجر التتويج وأنه صاحب الساعة التى وجدت بالكنيسة وأنه يود استعادتها .

وذكر له المفتش بأنه اذا كان حقا صاحب الساعة فستعمل اجراءات شكلية معه قبل اعادتها فقال هاملتون انه سيفكر فى الامر وانصرف ولم يعد ثانية .

الفصل الحادى والعشرون.

فرقة التميز



أيام الخيالة الثقيلة ولعبة الملاحين - إنشاء پوليس نهر  
التيتمز - تقص الخسائر في النهر من ٥٠٠.٠٠٠ جنيه الى  
٢٠٠٠ جنيه سنويا - الأسطول الحديث وعمله - البحث  
عن جثث وعربات وأسلحة - تكوين الادميرالية للفرقة .

خلال مدة عملي حكمدارا فاعتدت كلما استطعت ان  
ما فعلت وكنا نطوف من باترسى (١) بارك على قصرى  
أركب لنشا من لنشات فرقة التيمز ، ومناظر نهر التيمز من  
اعظم مناظر لندن ، ومما يؤسف له انى لم استخدمه أكثر  
مما فعلت وكنا نطوف من باترسى (١) بارك على قصرى  
لامبث (٢) ووستمنستر (٣) العظيمين وعلى قناطر واترلو  
(٤) المدهشة ومن خلفها كنيسة «سنت بول» ودار الجمارك  
القديمة وبناء البرج (٥) الرمادى حتى نصل الى لندن حيث  
القوارب تسير في اتر المد ذهابا وإيابا ونواصل السير فنهر  
باحواض السفن وهو على ما أظن أجمل مناظر التيمز حيث  
يواجه النهر مستشفى «رينز جرينوتش» (٦) .

(١) مترو باترسى أحد متزهات لندن ومساحته مائتا فدان وبه بحيرة جميلة وحدائق  
للنباتات الاستوائية .

(٢) قصر لامبث هو مسكن مطوقة كاتدربرى على شاطئ نهر التيمز في مواجهة وستمنستر  
ودرج في بنائه سنة ١٢٢٧ وزيد في مبانيه في القرن الخامس عشر وبه غرف كثيرة جميلة  
ومكتبة عظيمة .

(٣) قصر وستمنستر هو دار البرلمان .

(٤) قناطر واترلو مقامة على نهر التيمز وقد أقيمت سنة ١٨١٧ .

(٥) برج لندن كان قلعة تاريخية بنيت سنة ١٠٧٨ - ١٠٨٠ .

(٦) ملجأ للشيوخ والمرضى من الملاحين ثم اتخذت منذ ١٨٧٢ دارا للكلية الملكية البحرية  
وهي تطل على نهر التيمز ويبنى في انشائه سنة ١٦٦٧ ثم استؤفت البناء في عهد  
وليم الثالث والملكة آن وفقا للتصميم الذى وضعه دن .

تلقه وصف جون بيرنز (١) التيمز بأنه التاريخ السائل ، ومن المعقول أن يكون بوليس النهر أقدم من بوليس العاصمة بثلاثين عاما . وقد أصبح الآن فرقة منه ومن بوليس نهر التيمز . وهو مدين بنشأته الى باتريك كولكوهون وهو دكتور فى القانون اسكتلندى الاصل من سكان دمبارتون . وبعد أن شغل منصب عمدة جلاسجو غادرها الى لندن فى سنة ١٧٨٩ مع أسرته حيث عين قاضيا فى محكمة كوينز ستريت وخصص وقتا طويلا لدراسة الجريمة حيث فشلت فى لندن فى ذلك العهد وكتب عددا من الكتب أبدى فيها رأيه بأن العلاج يكون بإنشاء قوة بوليس مدنية منظمة تنظيما جيدا ، ولفت أنظار تجار الهند الغربية فى إحدى نشراته وكان عنوانها مقالة عن التجارة والبوليس فى نهر التيمز ، وكان هؤلاء التجار يقاسون خسائر فادحة من لصوص النهر الذين يتآمرون مع بحارة المراكب .

وأظهرت تحريات كولكوهون أن ما يقرب من نصف البضائع التى تجلب الى نهر التيمز لم تكن لتصل الى متاجر التجار ، ولما فشل التجار فى انشاء جمعية لحماية البضائع دعوا كولكوهون لتكوين بوليس نهري جديد . افتتح مكتبا فى وابنج فى موقع مركز البوليس الحالى وبمعاونة كابتن جون هارپوت الذى عين أول قاض للمكتب الجديد لبوليس التيمز - قاما بانتخاب وتنظيم قوة لبوليس النهر مؤلفة من بحارة ملاحين واستخدموا المراكب ذات المجاذيف الطويلة وكانوا مسلحين ببنادق صغيرة وخناجر ، وسرعان ما هزم هذا البوليس الجديد العصابات المتخصصة فى أعمالها تخصيصا كبيرا حتى أطلقت عليها أسماء خرافية .

وكانت « الخيالة الثقيلة » ، وهم من عمال الاحواض يخفون البضائع المسروقة فى طيات ملابسهم الفضفاضة على حين كانت الخيالة الخفيفة وهم بحارة على السفن الشراعية التجارية زادوا بوسائلهم غير المشروعة المتنوعة سرقاتهم التقليدية الانيقة من طرود البضاعة ، وكانت عصابات اللصوص الأخرى هى : مثل (١) عصابة مراكبية الصيد (٢) قوارب الصيد (٣) جماعة الرجال ذوى الميادع الطويلة (٤) صيادو المراكب (٥) بلابل الطين .

(١) ولد سنة ١٨٥٨ وكان من زعماء العمال وعضوا فى مجلس العموم واستقال من وزارة اسكوت عند نشوب الحرب المالية الأولى .

وكانوا يفترسون الطرود كل فريق بطريقته .

ان نجاح رجال البوليس الجديد والحاجة اليهم تصورها قصة ضابط بوليس النهر الذى أنيط به مراقبة مركب كانت ستغفل بالنحاس ، وكان اصحاب المركب قد احضروا عشرة اكياس من المسامير النحاسية و ١٦٠٠ لوح من النحاس أيضا ، وقد سبق أن اجريت هذه العملية من قبل واستنفدت هذا المقدار ، ولكن عندما انتهت التغطية فى هذه المرة وجد ان ثلاثة اكياس من المسامير النحاسية و ١١٣ لوحا من النحاس يقدر ثمنها بمبلغ ٤ بتس ، ١٧ شلن ، ٧١ جنيه . لم تستخدم .

ومثل هذا العمل الذى قام به البوليس النهري ساعد كثيرا على صدور تشريع بيل الخاص باتشاء بوليس العاصمة فى سنة ١٩٢٩ ، وبعد عشر سنوات أصبح لبوليس نهر التيمز فرقة من القوة الجديدة ، ومنذ ذلك الحين وهم يقومون بعمل دوريات ليلية ونهارية مجتازين مسافة يبلغ طولها ستة وثلاثين ميلا ، وتبدأ من دارتفولد الى لندنجون .

وتقصت الخسائر بالنهر أكثر من نصف مليون جنيه فى ١٧٩٧ الى نحو ٢٠٠ جنيه سنويا ، منذ نشأتها المتواضعة بقليل من الرجال ، فان فرقة التيمز يبلغ مقدارها اليوم نحو مائتين من الرجال بقيادة كبير مراقبين .

فى سنة ١٨٨٥ استبدلت مراكب التجديف القديمة بلنشآت بخارية ، وهنه بدورها استبدلت فى سنة ١٩١٢ بمراكب ذات محركات ، وفى سنة ١٩٤٠ استخدم أول قارب يدار بآلة الديزل ، وخلال الحرب حل محلها أسطول كامل من ثلاثة وثلاثين من هذا الطراز ويضاف اليها ثلاثة لنشات لعمل الدوريات طول كل منها ثلاثون قدما يستخدمها كبير المراقبين وكبير المفتشين .

وكانت هذه فى الاصل لنشات الاتقاذ الجوية والبحرية التابعة لسلاح الطيران الملكى الذى أعدها لتلائم أعمال البوليس وتستطيع أن تسير بسرعة أربع وعشرين عقدة .

ومنذ الحرب أدخل التليفون اللاسلكى فى جميع القوارب وأصبحت على اتصال مستمر مع غرفة الاستعلامات باسكتلنديارد ، ويمكن توجيهها بسرعة الى أى مكان فى النهر ، وكذلك فقد جهزت بأجهزة مختلفة من ادوات الجر والاتقاذ وأجهزة لقذف الحبال ومصاييح الاشارات

اليلية ويقوم مركز بوليس «وابتج» بأعمال الصيانة واصلاح السفن البوليسية في ورشة يوجد بها مصنع من احدث المصانع الخاصة بأعمال الهندسة وبناء السفن وقد اضيف اليه في سنة ١٩٤٦ حوض عائم .

ويقوم بوليس النهر بواجبات كثيرة علاوة على مايقوم به على نهر التيمز من منع ارتكاب السرقات ، وهو في كل عام ينقل من الفرقى نحو خمسين وبنعم ما بين مائة ومائتين من القوارب السابحة في النهر التى لو تركت وشأنها تصيب غيرها من السفن والمنشآت النهرية بالضرر وتنتشل ألوقا من الاقدام من الخشب ، ويراقب تلك الاجزاء من الشواطئ التى يقصدها الأطفال للعب . ويزور بانتظام المدارس القريبة من شاطئ النهر ليحذر الأطفال من الاخطار التى يجب عليهم تجنبها على طول شاطئ النهر وليس ادعى لادخال السرور في نفوس بوليس النهر من معرفتهم انه نتيجة لهذه الاحاديث هبط عدد حوادث الفرقى كثيرا خلال السنوات الأخيرة .

وهم يظهرون كثيرا فى سباق القوارب الذى تشترك فيه الجامعات . وفى احدى السنوات كانت بعض البواخر النهرية التى تتبع السباق وفى مقدمتها ثلاث سفن الثارت رشاش الماء على الأطفال الذين كانوا يملئون جنبات شاطئ بوتنى ، حتى انه اتخذت التدابير لتحديد عدد البواخر النهرية فى المستقبل ، وفى سنة أخرى شكت اوكسفورد من أن «لأنش» الحكمدار كان قريبا جدا من زوارقها بحيث يؤثر قربه فى سيرها وأرجو ألا يكون هذا ايعازا للنيل من حكمدار كمبردج ، وعلى أية حال فقد كنت خلف لنشات الحكمين والاذاعة بمسافة بعيدة .

ويلقى بوليس النهر القبض على بعض الناس فى دائرة اختصاصهم ، ولكنهم كثيرا ما يطلب اليهم مساعدة البوليس على الشاطئ فى تحقيقات تنتهى بالنهر أو ببعض الحياة الداخلية الأخرى ، وإذا ما دعت الحال الى القيام بتفتيش فى مستنقعات أو ترع فكثيرا ما يلقي البوليس النهرى صعوبات فى نقل القوارب الثقيلة والمهمات فوق الأرض ، وللتغلب على هذا بنيت سفن ذات قاع مسطح يبلغ طولها ١٤ قدما وثلاث بوصات ، ولها سارية بارتفاع خمسة اقدام وتسع بوصات وهى خفيفة الوزن بحيث يمكن أن يسيرها ثلاثة من الرجال للاحاقها بأية سفينة أخرى لتكون فى خدمتها وإذا ما اكتملت شحنتها ورجالها فلا يزيد الفاطس منها ، على أربع بوصات وأخفقت محاولات عنيفة فى قلبها .



وتتألف مهمات السفينة من جهاز مغناطيسي دائم لانتشال أدوات الحديد او الصلب ، ومن خطاطيف من الصلب لسحب الجثث او الأشياء الموضوعة في زكائب ، ومن مجسّسات مائية لمعرفة أماكن وجود الخزائن أو الفضيات وما يشبهها ، ومن جهاز نصفى مزود بمخفاف لرفع الأدوات من المياه ومخطفين صغيرين لارساء السفينة وثبيتها خلال قيامها بالبحث النهري ، وقد دل هذا القارب الصغير على جزيل فائدته ، وقد أدى القارب في إحدى رحلاته الموقفة الى العثور على سيارة ألقيت في حفرة مهجورة كان يستخرج منها الحصى وقد تجمع فيها ماء يبلغ عمقه ثمانين قدما ، وارشد الجهاز المغناطيسى آلة رافعة بالقارب الى مقر السيارة فدلّيت الحبال تحتها ورفعت من الماء بواسطة «ونش» . أما صاحب السيارة الذى ابلغ عن سرقتها فيظهر أنه لم يعبه استرجاع سيارته كما كان منتظرا ، وتبين فيما بعد أنه قد دفع أجرا لاختفاء السيارة وأنه طالب بقيمة التأمين عليها فوجهت اليه التهمة وصدر عليه حكم بالحبس تسعة أشهر .

وكذلك كان الجهاز المغناطيسى مفيدا في النهر فانه على سبيل المثال حينما وجد جندي بولندي قد قتل بالرصاص فوق كوبري وستمنستر في سنة ١٩٤٥ بحث بوليس النهر في قاع النهر عدة ايام بواسطة جهازه المغناطيسى فالتقط أشياء معدنية يتردد وزنها بين ٢ و٢ هندروديت من بينها بعض الخزائن والصواميل والمسامير ويد ادارة سيارة (ماتيفلا) وثلاثة مسدسات ظهر فيما بعد ان احدها هو الذى أطلقت منه الرصاصات القاتلة .

وللبوليس النهري كالفرق البرية جماعات من الكونستابلات الخاصة تكمده بالمساعدة . أغلبهم بحارون أو عمال باليخوت ممن يجبون النهر وقواربه ، وهم يقومون بدورات تفتيش نظامية ، وفي كل عام حوالى عيد الميلاد يخرجون كقوة خاصة للقيام بأعمال الدورية على النهر حتى تتاح لزملاتهم النظاميين فرصة تناول عشاء عيد الميلاد في بيوتهم .

وفي سنة ١٩٥٢ منح حكمدار يو الادمرالية جميع قوارب البوليس سلطة وضع شارة البوليس على العلم الاذرق الذى هو علم الادمرالية . وهذا اعتراف من قبل السلطات العليا بالدور الذى تلعبه فرقة بوليس نهر التيمز في تأمين النهر لجميع من لهم أعمال فوق مياهه ، قابله بالقبطة والسرور والفخر رجال بوليس النهر السابقون واللاحقون .



الفصل الثاني والعشرون

البوليس النسائي



منع النساء قانونا من العمل في البوليس لفاية سنة ١٩١٩ -  
استخدامهن كمساعدات في الحرب العالمية الاولى - السنوات الاولى  
للقوة الجديدة - تصميم ازياء لهن - استخدامهن في ادارة المباحث  
الجنائية - التغلب على خصومة الذكور لهن - العمل بين النساء والاطفال  
- نوط الشجاعة .

اصبح منظر البوليس النسائي في لندن منظرا مألوفيا في السنوات  
الاخيرة حتى ليصعب القول بأنه منذ ثلاثين سنة فقط التحقت أولى  
كونستبلات النساء بقوات البوليس وقد كن حتى سنة ١٩١٩ متنوعات  
قانونا من الالتحاق به كما كانت الحال في وظائف كثيرة حرم عليهن  
الانخراط فيها بسبب جنسهن فقط ، وفي خلال سنوات النضال في  
سبيل الحصول على حق المرأة في الانتخاب كان كثيرات من زعيماتهن  
حينذاك في حرب سافرة مع رجال البوليس وفرضن عليهم واجبات لابد  
انها كانت من امقتها لديهم .

ومع ذلك فقد كان للبوليس النسائي رائدة بكرت في الظهور ، اذ انه  
في سنة ١٩٠٧ التحقت مس « ماك دجل » بادارة المباحث الجنائية لتسجل  
امتيازات البنات وتتخذ التدابير للمحافظة عليهن اذا وقعن فريسات  
لجرائم جنسية قد تؤدي بهن الى الدعارة ، ومس « ماك دجل » « لم  
يعترف بانها من البوليس النسائي ولم يكن لها ملطعات البوليس وكانت  
تعمل وحدها ، وعلى الرغم من توصية احدى اللجان الحكومية في سنة  
١٩١٢ بتعيين ضابطات في بوليس جميع المدن الكبيرة ، فقد ظل الراى  
العام مرتابا في صواب هذه الفكرة بل بقي معاديا لها .

ان المشاكل الاجتماعية التى خلقتها الحرب العالمية الاولى هي التى  
اتاحت فرصة للنساء يظهرن فيها قيمتهن ، ومع انهن لم يشهد لهن  
بانهن كونستابلات فقد ادى مئات منهن أعمالا جليلة فتطوعن في أعمال  
الدوريات ، وفي خدمة البوليس النسائي تلك الاعمال التى كانت تراول  
في مصانع الاخيرة الكبرى ، ومساكن الطلبة وفيما يجاورها ، وفي سنة

١٩١٧ ألف حكمدار البوليس دوريات من مائة امرأة واثنى عشر جاوisha للخدمة الاجتماعية في لندن بين النساء والأطفال ويصدر قانون إزالة قيود عدم الأهلية الناشئة عن الجنس الصادر في سنة ١٩١٩ رفع الحاجز القانوني الذي كان يحول دون استخدامهن كونهن بوليسيات إلا أن تدابير «جديس» (١) الاقتصادية التي تلت الحرب كانت ضربة قاضية عليهن وفي سنة ١٩٢٢ هبط عددهن إلى عشرين .

وبعد سنتين ارتفع العدد إلى خمسين ، وانتهزت الفرصة للاستفادة من القانون الجديد فعين كونهن بوليسيات وأقسمن اليمين على ذلك ، وفي سنة ١٩٢٤ ارتفع عددهن إلى ٢٠٠ إلا أن عددا أقل من هذا العدد جند عندما نشبت الحرب ، ونجاح النساء في الجيوش وفي ميادين أخرى كثيرة خلال الحرب قضى على ما كان باقيا من شكوك ، فقبب الحرب فوراً اقترحت زيادة قوة البوليس النسائي في لندن إلى ٣٠٠ ، ولقى هذا الاقتراح الموافقة توا من وزير الداخلية ، ومنذ ذلك الحين وعددهن أخذ في الزيادة حتى أصبح عددهن الآن في اقسام بوليس العاصمة أكثر من ٥٠٠ امرأة بوليسية .

كان من السهل في سنة ١٩٤٥ زيادة الوظائف المقررة لهن ، ولكن إذا كان علينا أن ننتخب الطراز الصالح من المرأة كان علينا أن نتخطى بعض صعوبات موجودة أولاها : هي الخاصة باللباس ، فالزى القديم بالخوذة والحذاء العالي كان قبيح المنظر ولم يسترع إلا الانتقاد المر ، ولم يكن بالنسبة للنساء ليوفر لهن الراحة لا ليتفق مع طبيعتهن والخدمات المتنوعة التي يقوم بها النساء قد أدت خلال الحرب إلى خلق زى جذاب قلم يكن عسيرا أن يصمم على نفس خطوط التطور زى للمرأة البوليسية ، وكانت القبعة مثار أشكال أكبر ، فقدمت نماذج متنوعة منها قبعة غريبة تشبه قبعة العسكري القديمة اللدبية ولم تلق قبولا ثم شاهد وزير الداخلية استعراضات اللازياء ، وأخيرا اخترت قبعة على أساس ما ترتديه الكنديات المحقات بقوة الطيران . وإذا أضيف إليها كساء أزرق فيستألف منهما زى جميل جذاب للنساء وهو ما وقع الاختيار عليه . أما الصعوبة الثانية فكانت ضيق مجال الأعمال التي تخصص للنساء فكن يملن إلى قصر أعمالهن على الجرائم الجنسية . ومع أن هذا

---

(١) « سير رايك جديس » تولى وزارة النقل من ١٩١٩ إلى ١٩٢١ ورأس لجنة للاقتصاد في المصروفات الحكومية »

العمل كان ضروريا وكان لابد أن يقوم به البوليس النسائي فكانت الحاجة ظاهرة الى وجوب توسيع نطاق عملهن ليتاح لهن مجال للعمل واسع مفيد وأنبنى على ذلك أن واجبات البوليس النسائي أخذت تتسع دائرتها منذ الحرب وليس من غير المألوف في هذه الأيام أن تقود إحدى نساء البوليس النسائي وحدها رجلا سجيناً ، فكم من عميل فظ أدهشه وهو يبدى علامات المقاومة أن يجد كيف شددت امرأة بوليسية قبضتها عليها .

وزاد في السنوات الأخيرة زيادة مستمرة عدد النساء البوليسيات المستخدمات في إدارة الباحث الجنائية فيوجد منهن بها الآن حوالي خمسين وهن ينتخبين كما ينتخب الرجال من الفرع النظامي بعد قضاء سنتين في الخدمة ، ويعملن تحت ملاحظة إحدى كبيرات المفتشات اللاتي يعملن باسكتلنديارد تحت رياسة مساعد حكملار ( الجريمة ) ، وهن كرميلاهن النظاميات يستخدمن في جميع الفرق في جميع أنحاء لندن ، ويقمن بأعمال متعددة من أعمال الباحث وإذا ارتدين اللابس المدنية أفدن كثيرا في جميع أعمال الملاحظة المختلفة التي تسند إليهن ، لأنهن لما لم يكن عليهن ما يدل على أنهن من البوليس يستطعن دخول محال تخالف فيها القوانين الخاصة بلبس القمار أو شرب الخمر ، وبذلك يقمن شهادات مباشرة لم يكن يمكن بدونهن الحصول عليها .

كانت العلاقة بين البوليس النسائي وزملائهن من الرجال مشكلة في غاية الأهمية . لأن الرجال كانوا ينظرون إليهن بعين الريبة ، فرجل البوليس كان يرى فيها منافساً له في سوق العمل يمكن أن يستخدم بسبب قلة أجره لينقص عليه حياته . وأخذ اتحاد البوليس باستمرار يرفض قبول النساء البوليسيات في عضويته ، وكان هذا الاتجاه يظهر في الرجال المعينين في الفرق ومراكز البوليس ، ولم تطل حياة هذا الموقف بعد الحرب لأن ازدياد عددهن جعل من الميسور أن تعين المرأة في أي مركز مهما كان في جميع المناطق ، وبهذا ازداد عدد الرجال الذين استطاعوا أن يعرفوا من الاحتكاك الشخصي قيمة الأعمال التي تؤديها المرأة على حين أن النقص في عدد الرجال الذي تعانيه القوات منذ زمن بعيد كان حافظاً على استخدام النساء في أوسع مجال ممكن ، ونتيجة لهذا اختفت الخصومة القديمة والارتباك ، وقبلت النساء أعضاء في الاتحاد وفي الجمعية الرياضية . قبلن على أنهن جزء لا يتجزأ من قوات البوليس ، ولا عين الاتحاد إحدى الجاويشات من بين الأعضاء الذين يمثلونه لمناقشة « سير مالكولم ترسترام ايف » في سنة ١٩٥١ لتحسين المرتبات فان البوليس النسائي - ويمكن أن يقال عنه بحق أنه وصل الى ما ينبغي ، وقد أصبح

وجودهن حقيقة ملموسة ، وانه لمن الصعب ان نفهم كيف استطاع قوات البوليس ان تعمل بدونهن ذلك الزمن الطويل .

والمرأة المجندة حديثا تقضى الأشهر الثلاثة الأولى من التدريب بجوار الرجال في « بيل هوس » و « هندون » . وعلى غرار الرجال توضع تحت التجربة للباقي من السنتين الأوليين وتكون خاضعة لنفس لوائح الخدمة واحكام التأديب والمعاش وإها نفس المعاملة والسماسطات والواجبات ، والاختلافات الوحيدة هي أن راتبها يبلغ نحو ٩٠٪ من راتب الرجل وان ساعات عملها اقل من الرجل عندما تؤدي أعمال بالدورية فيكون الزمن سبع ساعات ونصفا بدلا من ثمان ولها أحكام خاصة بالزواج والأمومة .

وعقب الحرب بقليل سحبت القاعدة الخاصة بالاستقالة بسبب الزواج وظل عدد كبير من النساء البوليسيات مستمرت في الخدمة بعد الزواج ، وإذا اتفق أن كان الزوج من رجال البوليس وهو غالبا ما يحدث فان تعارض ساعات العمل يمكن أن ينشأ عنه بعض المشاكل فتتظم دوريات العمل كلما تيسر للتغلب على هذه الصعوبة لاننا لا نود أن نخسر بغير موجب خدمات امرأة بوليسية متدربة . والزواج في الواقع أكبر ما يواجه المرأة البوليسية في حياتها ، ففي سنة ١٩٥٢ فقدنا نحو خمسين منهن بسبب الزواج ومما يبين مقدار ما في عمل البوليسيات من جاذبية أنه على الرغم من هذه الخسارة لم نجد أية صعوبة في اختيار نساء على وجه السرعة ليعمل في الأماكن الشاغرة .

وربهن هي نفس رتب الرجال :

كؤنستابل - جاويش - مفتش - كبير مفتشين - مراقب - كبير مراقبين .

وتتردد الرتب من ٣٩٥ جنيه في السنة تزداد الى ٤٩٥ جنيه خلال ٢٥ سنة للكؤنستابل ، وإلى ٦٦٠ جنيه ترفع الى ٧٠٠ جنيه في ثلاث سنوات للمفتشين .

عقب الحرب بقليل أحييت « مس بيتو » على المعاش لبلوغها السن وكانت رئيسة على البوليس النسائي منذ ١٩٣٤ وتحت رياستها اجتزن سنوات الشدة قبل الحرب وخلالها بنجاح وخبرة فائقة ، وعلى أسس ما وضعته مس بيتو أقيمت القوة الحالية ، وكان موضوع تعيين خلف لها موضوعا صعبا فبعد أن قعت بمراجعة دقيقة لحالات النساء



الموجودات فعلا في الخدمة سواء في لندن أو غيرها اقتنعت بأنه للحصول على الطراز الصالح للقيادة يجب على أن أبحث خارج القوة، وبعد أن قابلت عددا من المرشحات من قوات البوليس ومى هيئات التدريس والحرف الأخرى وقع اختيارنا على قائدة السرب « اليزابت بارز » التابعة للسلاح الجوى النسائي .

ومن الأعمال المهمة المنوطة بكبيرة المراقبات تطبيق القانونين الصادرين في سنتي ١٩٢٣ ، ١٩٣٨ الخاصين بالأطفال والشباب فعليها أن تعد فهرسا مركزيا بالشباب وبخاصة البنات اللاتي اتجهت اليهن انظار البوليس وأن تكون على اتصال وثيق بمحاكم الأحداث وبالنضباط المنوط بهم مراقبة الأحداث المفرج عنهم أو المحكوم عليهم مع إيقاف التنفيذ وضباط الأطفال وضباط التعليم ويكثر من المنظمات الأهلية التي تهتم باصلاح الطفل ومنع جرائم الأحداث .

وعليها أيضا أن تنظم مناهج دراسية مدة أسبوعين يدرس فيها لكونستابلات البوليس الحديثات بعد أن يكن قد اكتسبن من الخبرة ما يؤهلن للانتفاع بهذه الدروس ، والفرض من هذه المناهج أن توسع معلومات الطالبات بالمحاضرات والمناقشات ، عن محاكم الأحداث وإيقاف الحكم عن الجريمة الأولى وعن العناية التي تبذل للسجينات بعد الإفراج عنهن من السجون ومعاهد بورستال (١) وبزيارتهم سجون النساء ومعاهد بورستال والمدارس المعتمدة يطلعن على نظم المعاملة التي يعامل بها المجرمات بعد صدور الحكم عليهن ويتعرفن ظروف هذه المعاملة .

وأساس عمل المرأة البوليسية هو عمل الدورية باللباس الرسمية أسوة بالرجال إلا أنه تقوم المرأة البوليسية بأعمال الدورية في الشوارع وعلى وجه الخصوص حول المقاهي والمحال العامة ومراكز اللهو ومحطات السكك الحديدية لأن هذه الأماكن تتيح خير الفرص للإشراف على رعاية النساء والأطفال ، فالبقاء من المشاكل الرئيسية في هذه المنطقة والبوليس النسائي يلعب دورا مهما في معالجته فهن لا يكتفين بالقاء القبض على المومسات اللاتي يجدنهن يحرضن المارة على الفسق في الشوارع ، بل

---

(١) بورستال قرية قريبة من شام ادخل فيها لأول مرة نظام لاصلاح حال الأحداث من السجناء ثم توسعت الحكومة في هذا النظام وأنشأت له مؤسسات ومنظمات في مدن أخرى .

يناط بهن بنوع خاص انقاذ الفتيات اللاتي قدمن الى وست اند من الاقاليم  
أو من ضواحي لندن ، وأصبح الخطر يهدهن بدخول حياة الدعارة .

أما في الضواحي المتطرفة فتستخدم النساء البوليسيات في القيام  
بأعمال الدورية بالمتنزهات والأماكن الخالية . حيث يكون وجودهن  
حائلا دون الرذيلة والاعتداء على النساء والأطفال . ففي ايسنت اند (١)  
ومناطق الحوض يقمن بالدورية في الشوارع ويهتمن بنوع خاص بالقاهي  
والمحال الأخرى التي يتردد عليها البحارة الملونون وهي الأماكن التي  
تأوي اليها المومسات .

ويحافظن على أن يكن على اتصال بالبنسسيونات ومحال النوم  
الاضطرادى ليمتحن دائما من الفتيات اللاتي لا مأوى لهن واللاتي يحتجن  
الى مكان يقضين فيه الليل ، فأمر الدورية هذا اذا اقترن باستخدام  
حكيم لفهرس الأحداث الذي تمسكه اسكتلندبارد يكون وسيلة الاهتداء  
الى كثير من الشبان والشابات الفاتئين والى مد يد المساعدة لهم .

وللنساء البوليسيات نفس سلطة القضاء القبض المخولة لرجال  
البوليس وانهم وإن كن لا يحملن هراوة وبلجان عادة الى الاستماعه برجل  
البوليس لالقاء القبض على أحد الرجال الا انهن لا يترددن في العمل  
بمفردهن اذا ما اضطررن الى ذلك ، فقد دربن على الدفاع عن النفس  
ليستطعن العناية بشئونهن . ولن يغلو عمل البوليس من بعض الخطر  
الا انهن يتقبلنه ، والأدلة متوافرة في السنوات الأخيرة على ما يتحلى به  
من الشجاعة الكبيرة ، والمثل البارز لهذا هو ما وقع من إحدى نساء  
البوليس وهي الجاويشة ( البرتالو ) التابعة لإدارة المباحث الجنائية  
عندما تطوعت وأرسلت ملابس مدنية لتخدع بها رجلا يراد القبض عليه  
لاعتدائه عدة مرات على النساء وسرقته إياهن في وجهات غير مطروقة في  
جنوبي لندن ، فهاجمت وتلقّت ضربة من زجاجة على رأسها ولكنها  
تشبّثت بالعتدى الى أن وصلت اليها المساعدة وألقي القبض عليه ، وجرأ  
لهذا العمل الذي استبسلت فيه منحت أول وسام لبوليس الملك عن  
أعمال الشجاعة تحرزه امرأة .

---

(١) ايسنت اند هو اسم أطلق على ذلك الجزء من لندن الذي يقع في شرقها وهو جزء  
صناعي عامر بالسفن لتفريغ حمولتها أو سحقها أو إصلاحها أو بنائها .

الفصل الثالث والعشرون

اليوليس الرّكب والكلاب



فخر الفرع الراكب - شراء وتدريب خيول البوليس - اعمال  
الانتقاء في الفيزانات - ادخال نظام الكلاب البوليسية - كيف يلقبون  
القبض - استخدامهم ضد الاحداث المثيرى الاضطرابات في الطرق -  
تغيير اساليب معالجة القضايا - قضية السلحفاة المسروقة \*

كانت زوجتى تسير فى احد الايام قاصدة المنزل وهى تخرق  
الشوارع الخلفية الهادئة فى وستمنستر حينما شاهدت أحد رجال  
البوليس الراكب دون أن يلحظها وهو يوقف حصانه تجاه نافذة زجاجية  
وزجاج النافذة يعكس الصور أشبه بالمرآة \* وأخذ أمام هذه المرأة  
اترجلة يختبر فى هدوء خطو حصانه فتحدثت اليه فقال لها ( لا اجد  
كثيرا فرصة ارى فيها ماذا يفعل الحصان \* انى أرقب عادة خطوه عندما  
أصل الى هذا المكان وهو مكان لا يرتاده أحد ) \*

فهذه القصة تصور لى الزهو الذى يشعر به الفرع الراكب حيال  
خيولهم والجهد المتواصل لاحراز الكمال حتى انه ليحزن سكان لندن  
اذا ما اختفى يوما البوليس الراكب من شوارع المدينة .

والفرع الراكب كبوليس النهر مؤسسة أقدم من قوة بوليس العاصمة  
نفسها ، وهم يرجعون نشأتهم الى الدورية الراكبة فى بومستريت (١)  
وكانت تتألف من عشرة رجال أنشأها كبير القضاة سرجون فيلدينج  
سنة ١٧٦٣ وللدوامى الاقتصاد أوقفت بعض الوقت ثم أعيدت سنة ١٨٠٠  
وبلغ مددها اثنين وسبعين رجلا فكان عملها الطواف (الدورية) فى الطرق  
الرئيسية الخارجة من لندن الى مسافة ستة عشر ميلا من شارنچ كروس  
وحتى حينما أنشئت قوات بوليس العاصمة ظلت مستقلة عنها فترقى  
الزمن الى أن أدمجت فيها سنة ١٨٣٩ .

ويشتري خيول الفرع الراكب سير ( جون نوت بور ) الحكماء  
الذى خلفنى حينما تكون صغيرة السن ممن يربونها فى يوركشير من

(١) به اكبر محاكم لندن البوليسية \*

مراعيها ، وتختار الخيول على قدر الامكان موحدة الشكل متينة البنيان لا تقل عن ١٥ر٣ يدا (١) ولا تزيد على ١٦ يدا اذ أنه وجد أن الخيول الضخمة لا تحسن القيام بالمناورات في شوارع لندن المزدحمة .

وعند وصول فصيلة جديدة من الخيول الى (امبركورت) وهي المركز الرئيسي للفرع . يحتاج مركز التدريب الى عين حكيم مجرب ليكتشف من بينها عددا كبيرا - وهي بعد خشنة لم تصقل ولم تنل أى قسط من التدريب - ما يصلح منها فى المستقبل لخدمة البوليس ، ولكن العناية وحسن التفذية مقرونة بتدريب محكم يأتى بمعجزة فى خلال شهرين أو ثلاثة ، وهي بجميع الالوان ، ولكن جرت التقاليد على أن يركب الحكمدار حصانا رماديا فى مناسبات الحفلات . وتورتون وهو اسم الحصان الذى أركبه منذ سنوات معروف بقوامه لكثير من اللندنيين ولازال يؤدي واجبه ، وهو الآن فى سن السادسة والعشرين بينما ونستون الكستنائى الذى ركبه كل من الملك جورج السادس والملكة اليزابث فى الاحتفال المسمى العام فى لندن يحظى بشهرة اوسع لأنه يظهر على وجه العملة الرسمية التى سكّت بمناسبة التتويج \*

ورجال الفرع الراكب يدخلون قوات البوليس بالطريق المعتاد ويمرون بمعهد التدريب ، ومدة التجربة مثل القوات الراحلة سواء بسواء ، وقد حصل مرة من المرات أن أخذ معظمهم من بين كتائب الجيش الراكبة ، ولكن لما اختفى الحصان من الجيش نصب هذا المورد وعلى هذا يبدأ الضابط العسرى فى الوقت الحاضر بالخيول غير المدرجة ولكن بعد أن يقضى ستة أشهر فى ( امبركورت ) معهد التدريب يكتسب براعة فائقة فى ركوب الخيل تتفق مع المستوى العالى اللازم للفرع ، ويلحق الجند منهم بعد التمرين بفرقة ويرتدون الزى المقرر للخيالة ويكلفون اللجام وتوايحه للخيال أى أنهم يكونون ضابطا كاملى العدة والتدريب ولكنهم يكونون بغير خيول ، وفى كل فرقة يوجد ستة رجال راكبين أو أكثر ويستطيع أن يركب حديثو التخرج خيول الغائبين بأجازات بالمناوبة وبهذا تكتمل القوة الفعلية المخصصة للشوارع وتتاح للمتدربين فرصة ركوب ركائب متنوعة فى كل اسبوع . وتستغرق الدورية اليومية ثلاث ساعات ونصف ساعة وتقطع نحو ثمانية أميال وقد يعطى أحدهم حصانا فيحتفظ به سنوات وتتوطد الصلات بينهما .

---

(١) اليد تساوى ٤ بوصات فى قياس ارتفاع الخيول .

وعند وصول الحصان الصغير الى ( امبركورت ) يبعد به لأحد أعضاء الفرقة التى يعد له برنامجا وافيا للتدريب لمدة ستة أشهر . وبعد ان يكتسب ثقة الحصان يركبه مطلق العنان ليمض الوقت ولا يستخدم الحصان للركوب للمرة الاولى الا بعد ان يألف راكبه وطبع الصوت ويفهم الإشارة التى يحملها العنان الطويل من اليد والساق . ويتدرب على المشى والجلب والركض والقفز ، ومنذ ذلك الوقت يسير على نظام مرسوم لييجعله يألف بل ويحتقر أى مفاجآت تقدمها اليه شوارع لندن فالإعلام والأصوات المجلجلة ، والسيارات التى تخرج النيران من مؤخرتها ، والأجهزة التى تطلق الدخان والنار ، وشحن وتفرغ العربات ، والأسلحة النارية ، والدمى التى تمثل الزحام كل أولئك يمثل للحصان على التوالي وينبئ أن يتعلم الحصان صعود درجات السلم والهبوط منها ويجتاز الحرائق والمياه ويمر بين صحائف من الورق كبيرة راقصة تحركها الريح وبين دمنى تظهر له فجأة من تحت أرجله ومن خلف الأشجار ويقابل الحصان الصغير فى المدرسة جميع مايلقاه فى الشارع بل أكثر منه .

وبعد هذا يعلم اللعب والكرة المدفوعة (١) حتى يعرف كيف يشق طريقه فى الزحام ويتلو ذلك تدريب أكثر على النط . ثم فترة نصب الخيام ثم تمرينات على السيف والرمح والمسدس . وينتهى به الأمر بأن يصبح حصانا بوليسيا حسن التدريب يمكن الاعتماد عليه فى كل الظروف وخير جزاء لهذا التدريب هو الثقة الكاملة التى تبدو على حشود الناس فى لندن حينما يعمل حصان البوليس بجوارهم . وهى ثقة فى محملها لأن من الأشياء النادرة جدا أن يسوء حصان البوليس مسلكه .

كنت ذات صباح قد خرجت بالحصان نورتون فى (امبركورت) واذا بنا بمجرد خروجنا من الاسطبل قد (اعترضنا على غير انتظار منظر كان يؤخذ لفيلم عن تدريب خيول البوليس فلما اقتربنا من الموقع ساد الهرج والمرج فطارت الاعلام وعلا الصليل وانطلقت طلقات المسدسات وما الى ذلك فتساءلت لحظة كيف يتحمل نورتون هذا المنظر ولكن ما كان يحق لى أن يساورنى الشك أنه لم يلق أى بال لما يحيط به .

وتختلف أوجه الاستفادة من حياة الحصان فهو يؤخذ الى قوة

---

(١) هى لعبة يلعبها فريقان يتألف كل منهما من أحد عشر لاعبا ويدلون بأيديهم كرة نظرها ست اقدام نحو الهدف ٢٠

البوليس في سن الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ومازال كثير منها يؤدي الخدمة بحالة جيدة بعد عشرين عاما أو أكثر وهي تسمى طبقا لنظام الحروف الأبجدية وجميع الخيول التي اشترت في سنة ١٩٤٦ أعطيت أسماء تبدأ بحرف A علمين على الما - انجلا ( وهذه هي الفرس الرمادية التي امتطيت صهوتها في حفلة التتويج ) . وفي سنة ١٩٤٧. بدىء في التسمية بحرف B - برنادوت - بلتييم وفى سنة ١٩٤٨ بدىء بحرف C - كلارا ( وهو اسم الفرس السمراء الجميلة الصغيرة التي ربحته الكأس في معرض الخيول الملكي في ريتشموند لاختيار أحسن حصان بوليسى مدرب . وهكذا يمكننا فوراً أن نعرف من اسم الحصان مدة خدمته .

رجال البوليس الراكب بعيدون كل البعد عن أن يكونوا مجرد زخرف لقوات البوليس النظامية . وفى سنة ١٩٢٨ عندما فاض نهر التيمز وغمر كثيرا من أجزاء وستمنستر استطاع البوليس الراكب أن يخوض الماء وينقذ الأهل من طبقات المباني السفلى المغمورة بالمياه ومن عام مضى قام بعمل انتقاذ بهيدبارك (١) استلقت الانتظار فقد كان ولد صغير يركب مهورا مع والده في شارع (روتن رو) عندما جمع المهر وأخذ يجرى بين السيارات المنطلقة في (ايسٲ كريج رود) ورأى كونستابل البوليس دورمان - وهو يعمل في دوريته - مايجرى فركض وراءه فلما أدركه مال عليه ونزع جسم الولد من البردة وبهذا حال بين وقوع حادث ربما كان قاتلا فلما أطريته على هذه الفروسية أجاب في تواضع ( أنه من مصمم العمل اليومى ) .

ويظهر عمل الحصان البوليسى في المناسبات التي تجتمع فيها جموع غفيرة فإن الفارس المتعطى صهوة جواده بما عليه من جلد لامع وأجزاء معدنية تسطع له سلطان على الجمهور قلما يعد له سلطان البوليس الراحل ، وعندما غزت جموع الناس حلبة سباق ومبلى للكأس النهائية سنة ١٩٢٣ استطاع رجل بوليس راكب بمفرده أن يعيد النظام حيث أخفق البوليس الراحل .

وكان أول اثر للندن في نفسى عندما زرتها وأنا صبي في سنة ١٩٠٣ هو وقع أقدام الخيول في انتظام على الشوارع المرسوفة بالخشب ،

---

(١) أشهر جداول لندن العامة وهي تشغل ثلاثة وتسعين نادانا وفيها بحيرة جميلة مصطنعة تسمى سريتارين .



والآن لحسن الحظ أخذ الرصف بالخشب طريقه الى الزوال ، وقد طردت السيارات الخيول من لندن ولكن الحصان البوليسى سيبقى وارجو ان يبقى على الدوام مظهرا مفيدا جذابا مما تمتاز به لندن .

وقد شاوركه فى العهد الحديث خليف آخر من الحيوان فقد كان من أكثر الاعباء التى واجهت فرقة الانتقاذ أثناء الغارات . هو تعرف مكان الاشخاص المدفونين تحت اقناص المنازل والمباني التى هدمتها القنابل وكانت السرعة ضرورية اذا ما أريد انقاذهم قبل أن يدرهم الموت من الاختناق من ضغط مافوقهم من اقناص . وقد جربنا تجارب دقيقة بمساعدة ابتكارات كهربائية ولكن فى النهاية اثبتت الكلاب المدربة جيدا انها أكثر جدوى منها فى هذا المضمار . واخيرا اثبتت الكلاب المدربة فى حماية المطارات ومصانع الطائرات انها مساعد قيم للديبنات والحراس .

ومع ما يعلق بذكريتى من نتائج هذه التجارب فقد تأثرت كثيرا أثناء زيارتى الى ألمانيا فى يناير سنة ١٩٤٦ ، وفى زيارة تالية الى هولندا بما تفيدته هاتان الدولتان من هذه الكلاب البوليسية ولم يسبق قط استخدام الكلاب البوليسية بصفة عامة فى لندن ، ولو أنه قبل الحرب كان يمنع ضباط البوليس علاوة صغيرة تشجيعا لهم على اقتناء كلاب تصحبهم فى دورياتهم الليلية فى المناطق القريبة من الريف ولم تكن هذه الكلاب مدربة تماما وانما كانت مدللة فقط لدى أصحابها .

وبناء على نصيحة لجنة وزارة الداخلية المعنية فى سنة ١٩٣٥ اتخذت الإجراءات لتدريب عدد قليل من الكلاب واختصت بعض قوات المديرية بـكلب أو أكثر غالبيتهم لابرادور (١) وعهد الى بوليس العاصمة بتدريب كلبين والحقا بفرقة الجريمة فى جنوبى لندن من منتصف سنة ١٩٣٨ الى أن نشبت الحرب وفى خلالها أصابا بعض النجاح غير أن ضباط البوليس ظلوا فى ريب من قدرهما وعند نشوب الحرب سلما الى كونستابلات شيشير .

وبمناظرة ماسجلته أرقام الجريمة فى سنة ١٩٤٥ والاحتمال الذى يجره العجز فى الرجال الذى ربما يستمر سنوات متعددة قررت إعادة التجربة باستخدام الكلاب البوليسية ثانية ولو أن معظم اقسام البوليس فى العاصمة كان حديث البناء ولم يكن به مبنى يصلح تماما لهذا الغرض

---

(١) جزء من شرقى كندا واقع على المحيط الاطلسى شمالى جزيرة نيوفونلاند وبشتغل مكانه عادة بصيد السمك .

وقد بدأنا بداية صغيرة بستة كلاب من النوع اللابرادورى ودربت على العمل فى الضواحي الخارجية وكان كل كلب يعمل مع المدرب المسئول عنه ويعيش معه فى داره .

ومن أول الامر قررنا ألا يطلب من الكلاب مهاجمة المجرمين والاقضى على المشروع لو أن أحد الكلاب هاجم أى فرد وأصابه اصابة بالغة سواء كان مجرما أو بريئا . والقاء القبض على الافراد يدرّب الكلب على إمساك المجرم من كفه الايمن ويتعلق به مهما كان الثمن حتى لو استخدمت ضده أسلحة نارية الى أن يأتى صاحبه ويلقى القبض . وفى مدى ست سنوات لم تحدث حوادث إصابات من الكلاب لأحد ما برغم أنه كان هناك بها مئات من المقبوض عليهم .

وانشئ مؤقتا مركز للتدريب بحظائر فى (امبركورت) ولكنه نقل أخيرا الى مكان لائق فى ( وست ويكهام ) وهناك تقضى الكلاب الجديدة مع المسئولين عنها ثلاثة اشهر فى التدريب قبل أن تبأشر أعمالها البوليسية وتعود بعد فترات لتتلقى تدريبا تذكيريا لأن العمل فى شوارع المدينة المملوءة بالأصوات المضطربة والروائح المنتشرة يؤدى الى بلبلة حساسية الكلاب ويديرّب الكلب أول ما يديرّب على الطاعة العمياء للمدرب ويستمر فى إقتفاء الأثر وتفتيش منطقة أو مكان بحثا عن شخص أو أدوات مسروقة وضبط أى شخص يحاول الهرب . والصغير ذو اللبديبات العالية تسمعها الكلاب دون الاذن البشرية ولذلك يستطيع المدرب أن يراقب كلبه وهو يلاحظ المشبوهين دون أن يشعروا بأنهم مراقبون ، وكثيرا ما يكون وجود الكلب كافيا لحمل الشخص على تسليم نفسه فى هدوء ولكن سواء سلم نفسه أو لم يسلم فلا يؤثر عن كلب أنه أضع رجلا عهد به اليه . والكلب بن وهو من كلاب لايرادور اتخذ لنفسه أسلوبا خاصا به فبدلا من أن يضع على كم المجرم وجد أنه لو وقف بين ساقيه وعرقل مشيته لوصل الى نفس النتيجة .

وكانت كلاب لايرادور أول كلاب استُخدمت ثم بعد مضي بعض الزمان عملت تجربة لاستخدام كلاب من الأتراس وقد أصبحت هذه الكلاب الأخيرة تكون الأغلبية ، وللكلاب عند بعض الشعوب سمعة سيئة من حيث الاعتماد عليها إلا أن تجاربنا لا تؤيد هذا فان قوتها البدنية وسرعة جريها وذكاءها تجعلها صالحة بشكل مدّش للأغراض البوليسية .

وفى الأيام الأولى لهذه التجربة كانت الكلاب تستخدم - غالبا فى

مصاحبة الضباط في دورياتهم في الضواحي حيث الأماكن الفسيحة أو المساكن المعزولة فهنا تقوم حواس الكلب الحادة بمساعدة عظيمة وسرعان ما يبلغ عن حالات رأى الكلب فيها أشياء في الظلام لم يكن يستطيع ملاحظتها الضابط لو كان بمفرده . ففي إحدى أمسيات شهر نوفمبر في (متشام كومون) كان أحد الضباط يقوم بعمل الدورية حينما أحس كلبه بوجود شخصين في الظلام فقاد مدربه اليهما وكان بحوزتهما ثلاث غارات بها قصاصات معدنية مسروقة من مصنع صهر معادن قريب . فبدون الكلب ربما مر الضابط بجوارهما ولم يشعر بوجودهما وهما مختلفيان .

وبعد أن بدأت التجربة بقليل اعتدى بعض الناس بدخولهم أراضي قصر بكنجهام (١) وكان من بين المعتدين سائحان شابان أمريكيان كانا يعتزمان البيت في هايد بارك فوجداها مزدحمة ازدحاما شديدا فتسلقا أقرب حائط ولم يكونا يدركان أنها في حدائق القصر . وساعدتنا كلاب الدورية على إيجاد حراسة اضافية لأراضي القصر وأراضي دار كلارنس (٢) حيث استطاعت كلاب الدورية القاء القبض على أحد الأشخاص ، وأثبتت الكلاب أيضا أن قيمتها ثمينة في تفتيش منطقة يعتقد أن بعض الناس مخبئيء فيها ، فقد سمع أحد رجال البوليس أصواتا غير مألوفة في أراضي أحد الأديرة وبعد فترة قصيرة وجد (كيم الثاني) وهو كلب الزامى رجلا فقبض عليه واتهم بسرقة ألواح من المصن وزنها أربع هندريتوتيه (حوالي ١١٢ رطلا ) كان قد أخفاها في أرض الدبر .

وقصة ( ركس الثالث ) تبين قيمة الكلب في التفتيش في ناحية أخرى تختلف كل الاختلاف فحوالي الساعة ١٠:٣٠ صباح ذات يوم تلقى البوليس اشارة من مصنع صلب كبير بأن ثلاثة أشخاص مشتبه فيهم شوهدا وهم ينفادون مكتب المبنى فاوفد الى الموقع كل من تيسر إيفاده من الرجال وبدأوا في البحث ، ولما كانت المباني تشغل مساحة كبيرة على شاطئ النهر ، وكان من السهل الوصول الى المباني المجاورة ، فقد استعين بأحد الكلاب فأرسل الكلب ركس الثالث مع مدربه وبدأ في الحال

(١) هو القصر الذي يقيم فيه ملك إنجلترا بلندن وقد أثنى سنة ١٧٠٢ للوق بكنجهام ثم تملكه جورج الثالث سنة ١٧٦١ ، وفي سنة ١٩١٣ أعيد بناء الجزء الخارجي منه الواجه ليدان مول .

(٢) دار قريبة من قصر سانت جيمس بلندن شيدت سنة ١٨٢٥ لوليام الرابع حينما كان دوق كلارنس - ويسكنها الآن دوق كونوت .

بحته وقبيل الساعة السادسة وجد الكلب رجلا مختفيا في مكان بعيد من  
البناني وفي الساعة السابعة والنصف اكتشف الرجلين الآخرين فوق سطح  
مباني المنزل المجاور .

في بعض الاحيان يكون الامر قليل الاهمية كما حصل حينما استدعى  
البوليس الى احدى الحقائق لمعرفة منشأ وجود اصوات بها فلم يستل  
على شيء الا ان احد الكلاب هدها الى مصدر الصوت وكان أسرة من  
القنافة .

منذ سنوات قليلة كثرت حوادث نشل الحقائق في هيدبارك وكان  
اول تحذير هو صرخة المرأة عندما يجرى اللص هاربا ، وحتى لو كان  
رجل البوليس على بعد يسمع فيه الصرخة فان اللص يكون قد ابتعد  
مسافة طويلة ، ولكن هذا الامتياز قد اضاعه وصول الكلاب البوليسية .  
لم تكن السرعة وحدها الامتياز الوحيد فان اللص الناشئ يفرغ من وجود  
كلب كبير وكثيرا ما يرفع يديه للتسليم ويستسلم بمجرد الاقتراب منه .

قد اثبت الكلب البوليسى أنه في ظروف كثيرة قد يكون انفع من  
عدد من رجال البوليس ففي احد الايام اخذت مجموعة من الشباب  
يتردد عندهم بين اثني عشر وعشرة يتسلون بتكسير الكراسي في هيدبارك  
وبالقائها في ( السربانتين ) (١) فاقترب ضابطان بكلبيهما من هذه العصابة  
فتفرقت شذرا منذ ولو أن رجال البوليس كانوا وحدهم لما استطاعوا  
أن يفعلوا كثيرا الا أن الكلبين ( راجا ) و ( ايرل ) احاطا بالجماعة كلها  
وساقاهم في هدوء كما لو أنهم كانوا قطعيا من الفئمة وكان تصرف كلب  
آخر بالقرب من ( ادجوار ) أكثر إعجابا فقد رأى مدربه خمسة شبان  
يتسكعون بالقرب من مجموعة من السيارات المنتظرة وكانوا يعالجون  
أبوابها ولما اقترب منهم لسؤالهم هرب أربعة منهم غير أن واحدا وقف  
يبقى الشجار ، وفي الحال هاجمه الكلب وتغلب عليه وبعد ذلك أرسله  
مدربه يبحث عن الأربعة الآخرين فأحاط بهم وساقهم الليلة ووقف بحرس  
الخمسة خارج كشك التليفون الذي دخله الضابط ليطلب عربة البوليس  
لينقل هؤلاء السجناء الى مركز البوليس . لازلنا نتعلم كلما تقدم بنا  
الوقت ونجد دائما مزايا جديدة في استخدام الكلاب البوليسية فقد دربنا  
عددا من المدربين والكلاب البوليسية لقوات بوليس المدريبات والمستعمرات  
وأفاد ارسال الكلاب الى الملايو وكينيا فائدة كبرى ، والواقع أن تدريب

(١) البحيرة الصناعية الموجودة في حدائق هايدبارك .

الكلاب على البحث واقتفاء الاثر بدون أن نقاد بمقود جعلها ذات أهمية خاصة ضد الإرهابيين الذين يجتمعون بالغابات والأحراش .

ربما كان أهم اكتشاف وقفنا عليه في التدريب هو أن الفكرة الأصلية من أن يختص الرجل الواحد بكلب واحد كانت فكرة خاطئة . وفي بادئ الأمر كان كل كلب يعلم أنه يعمل تحت إمرة رجل واحد فقط ، ولكن بتوجيه علامات المدربين والفاظ الأمر التي يستعملونها أمكن تدريب عدة كلاب تعمل تحت إمرة ستة مدربين ، والكلب اللبرادورى هو أحسن الكلاب لهذا الغرض وأصلحها لمهمة الحراسة .

وكان كثير من الضباط في بداية الأمر يرتابون في فائدة الكلاب ، ولكن بعد أن باشرت العمل زاد الطلب عليها بكثرة ، وسرعان ما تحول إليها الجمهور أيضا . وربما كان بدء أكبر قضاياها شهرة هي تلك التي استدعى فيها كلب بناء على توصل امرأة عجوز جاءت تبكى وتطلب رد سلحقاتها المفقودة إليها والتي لازمت الأسيرة أربعين عاما . ولما شم الكلب رائحتها من تحت صندوقها تتبع آثارها في الحديقة واجتاز سورها وعبر بعض مساحات مجاورة وسار بجانب شريط السكة الحديدية إلى أن وصل إلى كومة من الموسج كانت ترقد تحتها السلحفاة المفقودة .



الفصل الرابع والعشرون

مشكلات المروء في أثناء





الخصائر في الأرواح والأموال - تنظيم أعمال رجال  
المرور وفرق الحوادث . التعليم والدعاية - دراسة احوال  
الطرق - المسكنات والعلاجات طويلة الامد - الحاجة الى  
طرق رئيسية جديدة .

بلغ عدد القتلى في شوارع لندن خلال سنة ١٩٥٢ - ٧٥٠  
قتيلا وعدد الجرحى ٥٦٧٠ شخصا ، وتقدر خسائر تأخير  
المرور في لندن بمبلغ ٧٠ مليون جنيه . وترى الهيئة  
التنفيذية لأعمال النقل بلندن انه لو زيد في سرعة حافلات  
( اوتوبيس ) لندن ميلا واحدا في الساعة لعاد يوفر على  
الهيئة يقدر بمليونى جنيه في العام .

وهذه الأرقام المدهشة تلخص لنا عبء المسئولية  
الثقيلة التى تقع على عاتق بوليس المدينة من جراء الاضرار  
على ادارة حركة المرور في لندن وعلى البوليس أن يوفق بين  
هدفين : منع الحوادث ، واستمرار حركة المرور . وكانت  
حوادث المرور في الطرق في ازدياد مطرد قبل الحرب حتى  
انه في سنة ١٩٢٨ كان عدد القتلى ١١٧٣ وعدد المصابين  
بجروح خطيرة ٥٣١٤ فى لندن وكان هذان الرقمان أقصى  
ما وصلت اليه حوادث المرور حتى الآن . وتفحص الادارة  
الاخصائية باسكتلنديارد الأسباب في كل عام على ضوء  
تقارير تفصيلية عن الحوادث ترسلها يوميا كل فرقة من فرق  
البوليس ومن هذا الفحص يتضح جليا ان مشكلة منع  
الحوادث ليست بالأمر الهين كما تبدو ، وأن ليس لها علاج  
فردى أو عام .

قد يكون من اليسر لوم السائق وهو بلا شك مسئول  
في حالات كثيرة ولكن ليس في كل الحالات اذ ان الإهمال  
وغدم الانتباه الذى يقع من المشاة لا يمكن السائق من تجنب

الحادث وفي حالات كثيرة جدا يقع خطأ نتيجة لعدم مهارة السائق أو لعدم يقظته أو لاهماله أو لآنانيته الظاهرة . وعلى العموم ليست قلة المهارة وحدها هي سبب الحوادث وانما هناك عوامل أخرى هي التي يوجه اليها رجال البوليس عنايتهم . وهم عادة يقومون بهذا العمل بواسطة دوريات المرور التي تتألف من ٧٠٠ رجل يستخدمون مائة سيارة ومائة وخمسة وأربعين موتورسيكلا .

في سنة ١٩٤٧ قررت على سبيل التجربة أن اشكل من بعض دوريات المرور ثمانيا وأربعين فرقة للمرور والحوادث وتتألف كل منها من سيارة وموتوسيكلين وتكون على استعداد لاستدعائها فورا باللاسلكي الى أية منطقة تتوقف فيها حركة المرور . وهذا التركيز السريع لضباط المرور المحنكين في المكان الذي يحتاج اليهم أثبتت فائدته . وعندما يتم تجهيز الموتوسيكلات والسيارات باللاسلكي سيكون المجال لهذه الفرق أكثر مرونة .

ورجال دوريات المرور هم سائقون غاية في المهارة فقد اجتازوا اختبارات عسيرة في المدرسة البوليسية لقيادة السيارات وتوجه المدرسة انظارهم الى تقطعتين هامتين أولاها أن مهمتهم هي ضمان استعمال الشوارع استعمالا تاما واشاعة الأمن فيها . والثانية أن النجاح الذي يحرزونه لا يقاس بمدد المخالفات التي يضبطونها . ولكن بمدى ما تؤدي اليه اعمالهم من نقص في الحوادث . وهدفهم أن يضربوا المثل للقيادة الآمنة المذهبة وليساعدها أو ينصحوا رواد الطرق ليحذوا حذوهم . وليحذروا بدلا من أن يقاضوا كلما تسر ذلك . وأخيرا عليهم أن يلبفوا كل مخالفة - للنظر - لأحكام القانون . وقد قل عدد القضايا التي عرضت على المحاكم قلة يصعب تصديقها ففي سنة ١٩٥١ حذر شفويا أكثر من نصف مليون شخص في موقع المخالفة . وبلغ عن أكثر من ثمانين ألف مخالفة وعولجت بالانذار الكتابي . ولم توجه الاتهامات الا في ٩٦٦٩ قضية فقط .

تثير المقاضاة للسرعة الانتقادات فكثيرا ما يقال انه من الخير لرجال البوليس أن يعملوا على منع الجريمة لا على مضايقة سائقي السيارات . الا أن الدوريات لا تهتم بالسرعة الا على الطرق التي تدل خرائط الحوادث على أن لها ماضيا عريقا فيها . ولما كانت حوادث الموت في الطرق لا تقتل عن عشرة أمثال الوفيات الناشئة عن القتل العمد فيبدو لي انه مما لا يقبل المناقشة أن دوريات المرور تقوم باهم واجب من واجباتها

ألا وهو حاية الأرواح . ومصايد السرعة في بعض اجزاء الطريق الامينة  
اصبحت جزءا من التاريخ ولا تستخدم المصايد الآن الا في دائرة ضيقة  
جدا . وكثير من العمل تؤديه الدوريات في سيارة او على موتورسيكل  
وهي تستخدم كذلك مقياس سرعة اختبار اختيارا دقيقا .

ومن وقت لآخر تقوم دوريات الموتوسيكلات باعمال باهرة ومن بين  
الجهود الطيبة التي بذلتها ما وقع في ( أبسوم دونز ) ( ١١ ) سنة ١٩٥٢  
حينما فزع فرس مسغير عند بداية الشسوط وألقى براكبه وقفز غوق  
الحواجز وأخذ يجرى فوق التلال-متجها نحو ( تاتنهام كورنز ) وتبعه  
أحد رجال البوليس من راكبي الموتوسيكلات وأدركه وأمسك بعنانه  
وأوقفه بعد مطاردة مثيرة للأعصاب على طول طريق مزدحم بالسيارات  
ومن الاعمال التي تدعو للبطلة والتي تستحق دوريات المرور الشكر من  
اجلها هو انه على الرغم من ازدياد حركة المرور فان الحوادث ما زالت  
أقل من مستواها قبل الحرب فكان عددها سنة ١٩٥٢ أقل بمقدار  
تسعين حادثة عما كان عليه في السنة السابقة . والدوريات وهي تعمل  
في جميع الأجواء تضطلع بواجب شاق وفي بعض الأحيان محفوف بالخطر  
فمنذ الحرب قتلت دوريتان من راكبي الموتوسيكلات وأصيب كثير غيرهم  
باصابات خطيرة :

ويعمل البوليس وحده لا يمكن أبدا أن يحل مشكلة الحوادث برمتها  
بل يجب أن يصاحبه نضال ثابت من التعليم والرعاية يشعران مرتادي  
الطرق بما يحف بهم من الاخطار وبالحاجة الى العناية والأمان فقد قام  
البوليس في هذا المجال بدور غاية في النشاط بتعاونه مع الجمعية الملكية  
لمنع الحوادث ، فبواسطة المحاضرات في المدارس والاستعراضات في  
المتنزهات وملاعب المدارس حاول البوليس أن يعلم الأجيال المتعاقبة من  
أطفال لندن مبادئ أمن الطرق وإذا كان الاطفال أصبحوا قدوة طيبة  
لآبائهم في هذا الشأن فمعظم الفضل يرجع الى عمل البوليس هذا .

حينما فحصت احصاءات الحوادث التي أصيب فيها الاطفال هالتي  
عدد ما وقع منها عندما كانوا يعبرون الطرق قريبا من مدارسهم . وفي  
( مدلكس ) نجح النظام الذي وضعه المجلس المحلي وهو يقضي بأن تؤلف  
دوريات من الطلبة الراشدين ليرقبوا مغارك الطرق القريبة من المدارس .

---

( ١١ ) ولال أبسوم المستديرة . وأبسوم بلدة في نهرى مشهورة بحلبة السباق وبالنافع  
المدنية التي اكتشفت فيها سنة ١٦٦٨ واليها ينسب الملح الانجليزى .

وحاولت ان اقنع السلطات المحلية الاخرى ان تحذرو حذوهم ولكنهم رفضوا ما عدا قلة مشكورة كما أن بعضها سحب دورياته مخافة أن تمتد مسئولة عن الأضرار اذا وقع منها خطأ في التقدير أدى الى اصابة الاطفال او موتهم .

كان التمويل المالى ايضا عقبة كئودا فهل تدفع وزارة التعليم الاعتمادات أم تدفعها وزارة النقل ؟ ولما كانت الهيئات المحلية على اى اعتبار تدفع نصف تكاليف البوليس فى لندن فان الحجج المالية لم تعد فى نظرى ذات أهمية كبرى وأخيرا بعد أن يشت من الحصول على الموافقة وكان ينفى سلامة الاطفال أكثر من الناحية المالية فقد عرضت ان اتعهد بتنظيم وتدريب دوريات لجميع اقسام بوليس العاصمة وتمت الموافقة على هذا وكان عدد دوريات مفارق الطرق المدرسية محددا فى الأصل بألف وخمسين دورية . ولم أجد أية صعوبة فى تجنيد وتدريب هذا العدد فى أشهر قليلة . وسار المشروع فى سر سيرا حسنا وقد زيد العدد الآن الى ١٤٠٠ ، وهذه الدوريات تتألف من رجال ونساء محليين يتمتعون لقاء أجر متواضع أن يحضروا فى مفارق الطرق المدرسية أربع مرات فى اليوم مرتدين معطفا ابيض ويحملون لافتة مكتوبا عليها (بوليس العاصمة ) وتجمل إحدى لوائح وزارة النقل تجاهل عبور الاطفال الدوريات التى انقلت بغير شك كثيرا من الارواح جريمة معاقبا عليها .

ولهذا حق على البوليس أن يدرس باستمرار ظروف الطرق التى تؤدي الى وقوع الحوادث فمثلا طريق ( فنشلى ) كان له سجل ملىء بالحوادث حتى كسب بناء على طلب البوليس فاصبح انزلاق السيارات أقل حدوثا وبذا هبط عدد الحوادث هبوطا سريعا ومنذ سنوات قليلة لاحظت أن الجزر الموضوعة فى ( هاى رود ) فى بلدة توتنهام كانت كثيرة قريبا بعضها من بعض بحيث كانت خطرا على سائقى السيارات ودل فحص الإحصاءات على أن نسبة الحوادث أصبحت ترتفع منذ انشاء هذه الجزر ولما اعلنا هذه النتيجة خفض عدد الجزر وهبط معه عدد الحوادث مرة أخرى .

وفى الوقت ذاته كان كلما زاد عدد السيارات فى الشوارع أصبحت الشوارع كل يوم كأنها أماكن انتظار للسيارات وكان على قوة البوليس المخفظة أن تستمر فى معالجة مشاكل المرور . وفى سبتمبر سنة ١٩٥١ قامت لجنة لندن الاستشارية للمرور بفحص تفصيلي بين أنه فى منطقة تبلغ مساحتها سبعة أميال مربعة فى وسط لندن تضم حى المال تنتظر

نحو ٢٥٠٠ سيارة في الشوارع حوالى وقت الظهر ، ثلثا العدد فيها ينتظر أكثر من ساعتين ، أما في خلال يوم كامل من الساعة ٩.٣٠ صباحا الى ٢.٣٠ مساء فان عدد السيارات يقل كثيرا ، وهذا ما يعطى فكرة عن ضخامة المشكلة . ان القانون يعد تعطيل حركة المرور جريمة ويبدل رجال البوليس جهودا متواصلة لتنفيذ القانون الا ان نقص عدد رجاله يجعل من المستحيل ان يعمل أكثر من اختبار شوارع معينة وساعات خاصة بعمرها عنايته ، وكانت النتيجة ان جار بالشكوى سائقو السيارات من أنهم يؤخذون اليوم على انتظارهم في مكان لم يكونوا يؤخذون على الانتظار فيه في اليوم السابق . ولما كان القضاء يقدرون ما يلقاه سائقو السيارات من الصعاب فقد كانوا يولونهم عطفهم .

مساعدة نظام الشوارع ذات الاتجاه الواحد على سهولة سير حركة المرور وكذلك العمل بقاعدة عدم الانتظار التي طبقت في اول الامر في بعض شوارع وسط لندن في يونيو سنة ١٩٤٧ والتي ميزت بشرط أصفر ثم عممت في الضواحي في نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، ودلت المعايينة بالطائرات قبل تقرير هذه القاعدة وبعدها على ان حركة المرور في الشرايين الرئيسية تحسنت بمقدار ( العشر ) غير ان نقص عدد رجال البوليس جعل من المستحيل تنفيذ القانون تنفيذا منتظما وبذا تشيع الفائدة بالتدريج .

ابتداء نظام الانتظار على جانب واحد في قليل من الشوارع المختارة منذ وقت قريب وكان هذا النظام مرجعا منذ زمن طويل في كثير من مدن الاقاليم ولذا فقد ألحقت على اتباعه في لندن منذ سنة ١٩٤٧ الا ان معارضة السلطات المحلية أو اصحاب المتاجر اخرت تنفيذه . وبناء على طلبى العاجل طبق النظام في نفس الساعات التي تسرى فيها قيود عدم الانتظار لان اختلاف الساعات يؤدي الى ارتباك سائقى السيارات ويزيد التنفيذ صعوبة . ولا أمل في تغيير كثير من الشوارع الضيقة في وسط لندن ، ومن غير المعقول ان تترك لتسدها صفوف من السيارات المنتظرة على الجانبين . واعتراضات اصحاب المتاجر اعتراضات مفهومة ومن الممكن تحقيق مطالبهم بمنحهم شيئا من التراخي المعقول بحيث يسمح للعربات ان تشحن او تفرغ شحنتها ولا يحتمل ان يخسر التاجر عملاءه بسبب قاعدة الانتظار في أحد الجانبين أكثر مما يخسر بسبب سد الشارع من الجانبين ومن الوسط بالسيارات التي يسمح لها بالوقوف والتحرك كما تشاء .

فإذا استفيد من مثل مشروعات المرور في اتجاه واحد وعدم الانتظار كل ما يمكن من فائدة فإن مشكلة الخمسة والعشرين ألف عربية الوقفة في الشوارع ستظل قائمة . إذ أن إيجاد أماكن لانتظار السيارات في المباني الجديدة أو تحتها لا يرجح أن يؤتى ثمره قبل عدة سنوات لذلك يجب البحث عن أماكن أخرى . وإيجاد أماكن للانتظار بمستوى الأرض سيكون مرتفع التكاليف جدا في وسط لندن بحيث لا يمكن تنفيذه حتى لو وجدت أماكن خالية وربما أمكن الحصول على بعض المساحات فوق الحدائق الملكية أو تحتها دون الأضرار أضرارا خطيرا بمزايها غير أنه توجد صعوبات لدخول السيارة وزيادة التكاليف في الأماكن التي يشتد فيها الطلب على توفير مكان للانتظار فيها .

وعلى ذلك لا يبقى أمامنا إلا فكرة إنشاء حظائر ( جراجات ) تحت الأرض تنشأ تحت الميادين والأماكن الخالية واقامة حظائر ذات ادوار متعددة يكون بعضها فوق الأرض وبعضها تحت الأرض وقد استبعد من البحث كثير من الميادين والمساحات الخالية لأنها إما أن تكون صغيرة المساحة أو ذات شكل غير مناسب أو بسبب وجود المجارى أو السكك الحديدية التي تمر تحت الأرض أو غيرها من العوائق أو بسبب أن المنطقة لا تستدعى حركة المرور فيها حلا عاجلا لمشكلتها . وألفت لهذا الغرض لجنة في وزارة النقل اختارت - بعد بحث مشاكل المرور - تسعة ميادين في لندن . يمكن أن تنشأ تحتها حظائر تسع ٣٥٤٠ سيارة بتكاليف اجمالية قدرها ٣٠٣.٠٠٠ ر. جنيه ودل بحث مماثل في اقامة حظائر فوق الأرض على أن تكاليف ابواب ٧٢٥٠ سيارة تبلغ ٨٦٦.٠٠٠ ر. جنيه ويوجد الآن نحو ٢٥٠٠٠ عربية وهو عدد قابل للزيادة فورا إذا طرأ أى تخفيض على ضريبة البنزين أو أسعار السيارات .

والحق أن شوارعنا لم تسير النمو الهائل لحركة المرور التي تضاعف خلال العشرين سنة الماضية وإذا استثنينا كنجز واى (١) فإن شوارع لندن لم يتناولها أى تحسين جوهرى منذ أكثر من خمسين سنة وأن الأثر الذى ينشأ حتى عن التحسينات الصغيرة قد ظهر في سنة ١٩٥١ وهى سنة احتفالات بريطانيا حينما أنشئت بناء على طلبائى من ميادين دائرية جنوبى قنطرى واترلو (٢) ووهستمنستر (٣)

(١) شارع في لندن يصل هوليورن بالدوين وستراند أو الساحل وهى اسماء شوارع اخرى مهمة .

(٢) قنطرة واترلو قنطرة مقامة على نهر التيمس بين دارى البرلمان ودمعة مقاطعة لندن.

(٣) قنطرة وستمنستر مقامة أيضا على التيمس بين دارى البرلمان ودمعة مقاطعة لندن .

وأعيد انشاء ميدان البرلمان (١) وتوسيعه ، وفي اثناء الاحتفالات امكن تجنب ما كنا نخشاه من توقف حركة المرور حول موقع الشاطئ الجنوبي . ومنذ ذلك الحين وسير حركة المرور في هذه الاماكن الثلاثة قد تحسن كثيرا .

نحن في حاجة الى طرق جديدة تسمح للسيارات بالاتجاه شرقا وغربا أو شمالا وجنوبا مخرقة وسط لندن دون أن تسد الشرايين الرئيسية وقد وضع لذلك خطط مختلفة وفحصت وقسمت ولا فائدة من أن نعيد فحصها مرة أخرى هنا . وليس مانحن في حاجة اليه هو ابداء الآراء بل هو تنفيذ الآراء وليس من شك في أن التفكات مهما بلغت فسيجوزها كثيرا ما يترتب عليها من اقتصاد في الوقت في كل ناحية من نواحي الحياة في لندن وما لم تتبع هذه الطريقة فسيروح الشلل الى الاطراف وسينتهي حتما الى خطر مميت .

---

(١) ميدان البرلمان ميدان جميل مجاور للدارى البرلمان وكنيسة وستمنستر بلندن .





الفصل الخامس والعشرون

مناسبات كبرى



: أول ظهورى متطيا صهوة (تورتون) - اعداد العدة  
للتتويج - كبح جماح الجماهير - تزويد الطريق برجال  
البوليس - المواصلات - الترتيبات فى كنيسة وستمنستر -  
التجارب المكتسبة من يوم التتويج - زحف السيارات -  
الحشود المدهشة فى لندن - الكلمة الختامية .

كانت اول مرة اظهر فيها متطيا جوادى كحكمبار  
عند الافتتاح الرسمى للبرلمان سنة ١٩٤٥ ، وكان ايضا  
يوم الاحتفال بالنصر . وفى خلال الشهرين اللذين قضيهما  
فى اسكتلند يارلد كانت اعمالى من الكثرة بحيث لم استطع  
ان اهتم بالتدريب على ركوب الخيل وقد شعرت بالوحدة  
المطلقة وأنا امتطى صهوة جوادى واخرج به الى هويتول(١)  
لعمل التفتيش الراكب لاول مرة والوف العميون ترمقنى .  
الا أن تورتون الذى حملنى فى فرص كثيرة عظيمة مثل هذه  
الفرصة تصرف تصرف الرجل المهذب ، وبينما نحن نعود بين  
الجموع المحتشدة كالنحل بعد عودة الملك الى قصر بكنجهام  
شعرت بان الجزء الاكبر من المهمة قد انتهى وانه لا يمكن أن  
يكون اسوأ مما كان .

مثل ذلك الحين جرت بعض زيارات ملكية لكنيسة  
( سانت بول ) ( ٢ ) والجليد هول ( ٣ ) وزيارات من بعض  
الاجانب من الملوك ورؤساء الحكومات وزوج الاميرة  
اليزابث والامير فيليب وجنازة الملك جورج السادس واخيرا

(١) اسم شارع فى لندن يوصل بين تشرينج كروس وستمنستر وبه وزارة الحربية وبعض  
: ميلان حكومية أخرى .

(٢) كان حاشا يهوديا تم تنصروقتل فى روما سنة ٦٣ .

(٣) دار بلدية لندن وبنيت اولاً فى القرن الخامس عشر ثم اعيد بناؤها سنة ١٧٨١  
و ١٨٩٤ . وبها دار مكة للكتاب وقاعة للمطالعة .

حوكب تتويج الملكة اليزابث الثانية وكنت في هذه المناسبات امتطى حصاني مع فرقة المناسبات العظيمة التابعة لمركز بوليس لندن امام حربة التشريرة مباشرة . والحوادث التي من هذا القبيل تتطلب استعدادا طويلا ومفصلا اكتسب فيها بوليس العاصمة خبرة تزيد على اكثر من قرن من الزمان . ويضطلع بهذا العمل ادارتان ادارة مساعد حكمدار فرقة (ا) المنوط به جميع اعمال البوليس المنتدب للعمل والمستول عن حفظ الطريق . والادارة الاخرى ادارة مساعد حكمدار فرقة (ب) وهي مسئولة عن تنظيم حركة المرور بحيث لا يقع الا اقل تدخل ممكن في حياة سكان مدينة لندن اليومية .

بدا الاستعداد لاحتفال التتويج قبل حدوده بسنة واني لاذكر بما اول اجتماع للجنة التتويج في غرفة باردة كالثلج بقصر سانت جيمس . وكان رئيس اللجنة هو ايرل مارشال دوق نورفولك وقد عرضت مسألة لم يستطع احد منا أن يتخذ فيها قرارا . حينذاك قال الايرل مارشال في جفاء اظن انه يجدر بي ان اتحمل التبعة واذا طردت فيسفيني هذا الطرد عن كثير من التاعب .

مرت بنا جميعا ظروف شعرنا فيها بمثل هذه الظروف خلال الاثني عشر شهرا الثانية . فأول كل شيء طلب الى ميجور (مارجستون) مساعد حكمدار فرقة (ا) والى رجاله أن يبينوا مزايا ومضار الطريق المحتمل أن يخترقها الموكب وبعد ما تقرر هذا عملت معاينة تفصيلية للشوارع التي يخترقها ،

كانت تعمل تجارب للموكب الملكي في الصباح المبكر لأيام الاحد حينما تنعدم حركة المرور وذلك لقياس الزمن الذي تستغرقه الرحلة لمعرفة زوايا الشوارع او الجزر الموجودة فيها والتي تحتاج الى تغيير او ازالة ، تسهلا لمرور الجنود والسيارة الملكية ، ودلت تجارب الماضي على أنه في بعض الاماكن وعلى وجه الخصوص الاماكن التي بها انحدار خفيف يدفع ضغط جموع الناس النظارة الى البروز في الطريق على الرغم من جهود قوات الجيش والبوليس في حفظ الصفوف ، وفي جنازة الملك جورج الخامس كادت أن توقف الجموع - في هيد بارك كورتر وفي ماربل ارش - الموكب ايقافا تاما . ولما كان الميجور مارجستون يلخص لضباطه ملحوظاته على الترتيبات الخاصة بجنازة الملك جورج السادس عرض عليهم صورا فوتوغرافية توضح يروز الصف في هذه النقطة وقد

حذرهم بقوله أنه يجب ألا يحصل هذا الأمر مرة ثانية فحلت المسألة بالاستعانة بأنابيب من الصلب تبلغ أطوالها عدة أميال استخدمت حاجزا مع الفين من قوات بوليس المديرية ودلت الصور الفوتوغرافية التي أخذت في نفس هذه الأماكن يوم تشييع جنازة الملك جورج السادس على أن ترتيبات البوليس كللت بالنجاح .

ولما كانت الإدارة (١) مازالت تذكر هذه التجربة فقد فحصت جميع طريق التتويج وفي كل زاوية نقطة أخرى من تقط الخطر أقيمت حلقات خلال الشتاء توضع فيها قضبان الحواجز يوم التتويج كما وضعت حلقات أخرى بشكل يبيع فتح ممرات بين الجموع يستطيع أن يعبرها الناس حتى آخر دقيقة وكانت جملة قضبان الأنابيب المهندنية التي نصبت تبلغ سبعة أميال واتخذ تدبير وقائي آخر هو إقامة ثمانية وستين حاجزا خشبيا ذات أبواب ارتفاع كل منها تسع أقدام على الشوارع المؤدية إلى الطريق حتى إذا ما امتلأ قسم من الأقسام وهذه النظارة بالخطر منع منه أية زيادة أخرى من النظارة ، ولنفس هذا الغرض عملت ترتيبات لمحطة السكك الحديدية تحت الأرض وهي المحطات التي تقع على الطريق بحيث تغلق بناء على طلب أحد كبار ضباط البوليس - إذا امتلأمت حالة تكدس الناس هذا التدبير .

وبعد أن أعدت المعدة لهذه الحواجز المادية أصبح واجبا على الإدارة (١) أن تدرس خير الترتيبات لتزويد الطريق بالبوليس . وقوتنا الهزيلة لا تيسر أن يؤخذ منها العدد الكافي من الرجال للطريق كله وكان لابد من الاستعانة بغيرها . وكان أول مدد وصل إلينا من فرقة الكونستابلات الخصوصية بالعاصمة وهي وإن كانت لا تضم أكثر من ٣٠٠٠ رجل ، فقد ساهمت بألف وخمسمائة منهم في يوم التتويج وبعده مئات من الأيام التالية ، ثم لبي الدعوة كما هي العادة حكمدار بوليس مدينة لندن وأعلننا مئات من رجاله مع ذلك فقد ظلت هذه القوات أقل من الكفاية فاتخذت تدابير الاستعارة خمسة آلاف رجل من قوات الإقليم والمقاطعات وكانت كل قوة ممثلة على وجه التقريب بالنسبة لحجمها وكان رجال كل قسم من أقسام البوليس الثمانية في إنجلترا وويلز تحت إمرة أحد كبار ضباط المركز وكان هو حلقة الاتصال ببوليس العاصمة كذلك لجأنا إلى مساعدة البوليس الحربي والبوليس البحري وقوة الدفاع المدني بلندن وفضلا عما تقدم فقد صف نحو ٢٥٠٠ رجل من البحرية والجيش والطيران على طول الطريق فكانت الجملة الختامية هي ١٦٠٠٠

وجل من رجال البوليس و ٢٢٠٠ من الكونستابلات المصوئين  
مصطفين على طول الطريق يوم التوزيع .

وبمجرد ان عرف عدد رجال البوليس الذين يستعان بهم اخذت  
الادارة (١) في اصدار امر عمليات مفصل بين الاعمال المسندة اليهم فكان  
على بعضهم المحافظة على الصفوف ومنع المرور من الشوارع الجانبية  
او فتح الكردونات وكان بعضهم يحافظ على النظام خلف الصفوف ويمنع  
الناس من تساق المباني الحظرة وهكذا . وفي كل قطاع كان يوجد عدد من  
الرجال على سبيل الاحتياط على مقربة منه لتعزيز القوة اذا دعت الحال  
ثم احتجز احتياطى عام وضع تحت تصرف مساعد الحكمدار - ووزع  
هذا الاحتياطى على خمس نقط على طول الطريق .

لأول مرة نيط بالبوليس النسائى مسئولية عن قطاع كامل وخصص  
له ساحل فكتوريا حيث يتجمع أكثر من ثلاثين ألف طفل من اطفال  
المدارس لمشاهدة الوكب وقد قسمت قوة البوليس الراكب الى اقسام  
صغيرة وزعت على مختلف القطاعات وقبيل بدء الموكب بالتحرك سارت  
فرقة من البوليس الراكب فى الطريق على استعداد لتترك بعض رجالها  
فى أى وضع يحتاج الى مساعدة وكان ضباط ادارة المباحث الجنائية  
يرتدون ملابس مدنية ويجوسون خلف الجموع وبينها لمكافحة الجريمة  
ومراقبة الاشخاص الخطرين .

وفى عمل ضخم من هذا القبيل يكون من الضروري ايجاد مواصلات  
حسنة ولذا اعدت ست عشرة عربة بوليس وسيارة مزودة بأجهزة  
لاسلكية للاذاعة والاستقبال ، واثنان وثلاثون مotosikla . بعضها مزود  
بأجهزة لمخاطبة الجماهير وبعضها بأجهزة للراديو وقد خصص لها مواقع  
متباعدة على طول الطريق وعلى اتصال بخمس محطات لاسلكية ثابتة  
وخارج منطقة الاحتفال وضع عدد من سيارات اللاسلكى فى اماكن مختارة  
لمراقبة حركة المرور ومعالجة المشاكل الناتجة عن توقف تلك الحركة اثناء  
مرور الموكب وبعد انتهائه .

وكانت مشاكل المرور فى اختصاص مستر هنرى دالتون مساعد  
حكمدار فرقة (ب) وكان اول واجب لفرقة تعيين الشوارع التى يجب  
منع المرور فيها والشوارع التى تحول اليها الحركة نتيجة انطلاق الشوارع  
الاولى والشوارع التى تخصص مؤقتا للمرور ذى الاتجاه الواحد ، اما  
التغييرات فى الطريق ومواقف الحافلات ( الاتوبيسات ) فكانت موضع

بعث لجنة النقل في لندن واتخذت فيها قرارات وكان من المقرر اخراج السيارات من المنطقة المتوسطة خلال اسبوع التتويج .

بقيت مشكلة واحدة أخرى حزننا منها التجارب السابقة هي مشكلة وصول وانصراف سبعة آلاف شخص يشهدون احتفال التتويج في كنيسة وستمنستر ففي حفلة تتويج الملك جورج السادس سنة ١٩٣٧ كان وصول النظارة بحسب ترتيب موضوع أما انصرافهم فلم يكن كذلك اذ كان من المستحيل جلب العدد الهائل من السيارات الى مخارج الكنيسة وادى هذا الى وقوع كثير من التأخير فقد نفذ صبر المدعوين ورفضوا انتظار دورهم وأخيرا زاد الطين بلة هطول الامطار باستمرار فشوهد النبلاء والتبيلات في ازيائهم وهم يخوضون في المياه يبحثون عبثا عن سياراتهم ومنهم كثير لم يستطع ان ينصرف الا بعد ان تقدم الليل ، وبعد ان قضوا اكثر من اثنتي عشرة ساعة في الكنيسة ، فاعتزمت في هذه المناسبة ان انصرف تصرفا احسن واتاح لنا زواج حضرة صاحبة الجلالة وكانت حينذاك الاميرة اليزابيث فرصة اختيار اساليبنا الجديدة فباستخدام المواصلات اللاسلكية واتباع نظام الالات امكن استدعاء السيارات كلما طلبها اصحابها ، وكانت النتائج باعثة على الرضا واستطاع المدعوون ان ينصرفوا بعد عشرين دقيقة من نهاية الاحتفال وقد اقترحت بمناسبة التتويج ان تتبع نفس الخطة وكانت تقضى بان يسمح للمدعوين ان يتفرقوا مشاة في طرق مسقوفة الى قصر وستمنستر ومبان أخرى قريبة من الكنيسة كان سهل وصول السيارات اليها وحيث كانوا يستطيعون الحصول على بعض الغداء والمطبات اثناء فترة الانتظار .

وعلى الرغم من المطر يوم التتويج فقد نجحت الفكرة وأخذت الاربعة آلاف سيارة التي تنقل المدعوين الى الكنيسة تسير بانتظام في الطريق المرسوم حتى كانت الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحا واذا الجميع داخل الكنيسة ونجحت كذلك إلتدائير التي اتخذت للانصراف فبعد الساعة الخامسة بقليل نودى على آخر سيارة وانصرف كل المدعوين . على انى اعتقد أن سيارة واحدة لم تحضر حينما نودى عليها بسبب أن سائقها كان يحتفل بالمناسبة احتفالا وطنيا . واستطاع رجال البوليس ان يواجوها الموقف فارسل رجل بوليس بموتوسيكل بسرعة كبيرة الى شارمى هويت هول واستراند ليستحضر سيارة اجرة فوجد

واحداً خارج فندق ( سافوى ) ( ١ ) وخطاب السائق بخير تقاليد قصص البوليس السرى بقوله ( اتبعنى ) فافتيد سائق التاكسى بين الجموع الى الكنيسة ، واول الضيف المنتظر الى حيث يشاء دون أن يلقى عناء بغير مبرر .

وفى الليلة السابقة على التتويج سرت فى جزء من الطريق ووجدت حوالى الساعة الحادية عشرة مساءً والطريق يهطل والجموع الصابرة فى أمكنتها تبعدو عليهم الحماسة والمسلك الطيب والقدرة على العناية بشئونهم كدأهم من قبل ، وكأنا يعنون بكل من يسقط مريضاً . وإذا حلت الفرصة المناسبة قدموا الاطفال الى الامام حتى يستطيع أصفرهم أن يشاهد الموكب ولم تقع جريمة ما يوم التتويج وحينما حضر البوليس فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً ليصطف على الطريق حياة جمهور لندن .

أما من اليوم نفسه فلدى ذكريات كثيرة ، كان الهاتف الذى قوبل به الموكب حينما اتجهنا من شارع ( نورثمبرلند ) الى إيمانكمنت ( ٢ ) يصم الأذان فان ثلاثين الفا من اطفال المدارس يظهر أنهم كانوا يتبارون فى أنهم يكون أعلى هتافاً . وكان قد أقيمت مأدبة غداء بالشعبانية فى إحدى خيام الميدان الكبيرة دعى اليها بعض الضباط أركان الحرب ممن يحملون الصولجانات الذهبية وبعض المدعوين الآخرين . ولما لم يحضر أحد فقد تمتعت بالوليمة وحدى . وفى طريق عودتنا كانت عربة قواد الاسطول الجوى ثقيلة وهى تصعد شارع ( سانت جيمس ) واضطر أن يفادها ركابها وكانت النتيجة أننا مررنا بأربعة قواد جويين يملؤهم الأسى وهم يجاهدون فى اجتياز الطريق المرتفع على اقدامهم وتمطلت عربة رئيس الوزراء فى شارع ( كوكسبير ) ولم تستطع مواصلة السير . وفى ماريل آرش كانت فرقة المناسبات الكبيرة بمركز بوليس لندن وأنا أمام السيارة الملكية رأساً فادركنا فرقة موسيقية عسكرية كانت تعزف قبل الاوان تشيد بحفظ الله الملكة وكانت تعزف المقطوعات الاخيرة حيث كان يجب عليها أن تبدأ فما كان من فرقة المناسبات وقد عيل صبرها إلا أن صاحت فى غير احتزام للنشيد الوطنى . أعيدوا هذا العزف من جديد ثم سلو كل شئ على ما يرام .

( ١ ) وهو فندق يقابل شارع ستراند وظل على ساحل فيكتوريا وقد افتتح فى سنة ١٨٨١ .

( ٢ ) ويقصد به جسر فيكتوريا وهو طريق جميل عريض بمحاذاة الجانب الشمالى من نهر التيمس .



وقد مر بالبوليس يوم طويل متعب لم ينته بعودة الموكب لان اوف الناس تجمعت في المساء في قصر بكنجهام ( والمول (١) ) او على جسر فكتوريا ليشاهدوا الالعب النارية من الشاطئ الجنوبي وقد حافظ رجال البوليس من اول اليوم على ضبط النفس مع ابداء روح المساعدة سواء كانوا من لندن او من الاقاليم . وصاحبة الجلالة في اظهار تقديرها لما قاموا به من اعمال انما كانت تعبر عن راي كل شخص كان في لندن في ذلك اليوم وقد علق زائر امريكي على حالة البوليس بقوله ( كان رجال البوليس اقرب ما يكونون الى قادة اوركسترا حسنة التدريب . منهم بضباط حركة المرور ) وما كنت اعرف من قبل ان رقابة حركة المرور يمكن ان تكون كاملة وبدون ألم .

ووصلت الى رواية اخرى من سائق عربية الملكة المحبوبة من الجماهير (سالت) ملكة تونجا (٢) ففى طريقها الى الكنيسة - حينما اوقفوا في مول - لاحظ السائق ان احدى قطعتي الجلد اللتين توضع بين العربية والحصان قطعت فكان يخشى بطبيعة الحال من ان ضياع لانية واحدة من الزمن قد يجعله غير مستطيع ان يتم الرحلة . ومع ذلك فقد مرى نفسه بان الجلدة المقطوعة جلدة داخلية وكان يأمل الا يقع ما يؤسف له . ولما اوقف مرة اخرى في ميدان ترافلجار سأل أحد ضباط البوليس لماذا يبدو عليه انشغال الفكر فبثه شكائته وحينئذ سأل المفتش . هل تصلح لك قطعة من السلاسل ؟ فاجاب السائق ومن أين لك في هذا الوقت وفي ميدان ترافلجار ان تحصل على السلسلة ؟ قال هذا وهو يتلفت حوله نحو الالوف المؤلفة من الناس الذين يملئون الميدان .

وقد انشغل المفتش من فوق الحصان ونزع سلسلة العنان من حصانه وثبتها في عريش العربية واستطاعت بذلك ان تتم رحلتها الى الكنيسة دون حادث جديد واستطاعت الجموع ان تتمتع بمنظر هذه السيدة السمحة الجليلة وهى تتحدى المطر في عربتها التى رفضت في اصرار ان تفلحها .

وحتى يوم التتويج لم يكن يجر معه آخر مهمة شاقة للبوليس لان

(١) وهو شارع ذو اشجار على جانبيه بين تشيخ كروبي وقصر بكنجهام وكان في عهد شارلس الثاني ملعب للكرة وسمى باسمها .

(٢) وهو اسم يطلق على مجموعة من الجرد في المحيط الهادى تستمرها بريطانيا وتقع في الشمال الشرقى لبرلاند الجديدة .

الجموع العظيمة خلال الاسبوعين التاليين من القادمين للتفرج مشاة أو في السيارات أو في الموتوسيكلات جعل الحركة مستحيلة في اى من الشوارع المزدانة على طريق الاحتفال وقبل الاحتفال باثني عشر شهرا منحت شركات السيارات ترخيصات لاستحضر الزوار الى لندن على شريطة أن ينزلوهم خارج المنطقة المركزية فأتت السيارات الى لندن بالآلاف وأخذت تسير في بطء في أرتال مستمرة لا تنتهي يلتصق فيها مقبم السيارة بمؤخر الاخرى أما ساكني لندن البائس الذي يتوجه لعمله او يعود منه فقد قاسى بغير شكوى فترة من الزمن . وأخذ أعضاء البرلمان الذين تأخروا في الوصول الى المجلس يوجهون الاسئلة عما ياتيه حكمदार البوليس لتنفيذ الاوامر القائمة واخلاء مشارف قصر وستمنستر من جميع العوائق .

وبناء على ذلك اصدرت امرا بمنع المركبات من دخول المنطقة المركزية لأكثر من اسبوعين وفي نهاية المدة كان قد انتهى الهجوم وعادت حركة السيارات في لندن الى حالتها المألوفة وقامت الاحتجاجات على القييد الذي فرضته ولكنى اعتقد ان سائقي السيارات كانوا غير راضين عن فرضه ففى مساء أحد الايام والحركة على أشدها قاد أحد سائقي السيارات سيارته الى اسكتلنديارد نفسها وسأل : أين يكون ؟ ولما أجيب قال : « حسبى ما لقيت . انى أود أن اعود الى بلدى لانتكشير » لم يكن في وسع البوليس أن يواجه هذه الجموع التى ليس له بها عهد من قبل باستعمال القوة وكان بفضل ما أبداه رجاله من رباطة الجأش وتفهم للشعب البريطانى . ولحسن ذوق الجماهير ان أصبح الموقف محتملا بل ممتعا وفى احدى الليالى حوالى الساعة العاشرة والنصف سرت في ميدان ترافلجار حيث غطى الناس والسيارات كل ياردة من الطريق وكان أحد الشبان من رجال البوليس ينظم حركة المرور فسألته اذا كانت القيود المفروضة على السيارات سهلت مهمته .

فأجاب . نعم وانى لأستطيع تنظيم حركة الاتوبيسات والسيارات ففى استطاعتك ان تخبرها بما عليها أن تفعله . ولكنك لا تستطيع ان تخاطب هذه الآلاف من النظارة الذين يسرون على الأقدام .

وهذا القول له نصيب كبير من الصحة . ومع ذلك فأتى خلدنا شققت طريقى عبر ( ادميرالاي كرش ) ( ١ ) الى المول - وكانت حينذاك

(١) بناء جليل ذو ثلاثة مقود مقررة في الطرف الشرقى بشارع الملعب او شارع مول وقد أقيم هذا البناء تخليدا لهد الملكة فيكتوريا .

عبارة من كتلة صلبة من البشر لا يكاد توجد بينهم أية سيارة - لم أجد  
إى إخلال بالنظام . وقد نظم الناس أنفسهم فكان المتوجهون منهم الى  
ميلان ترافجار يسرون على الجانب الشمالى للطريق والمتوجهون غربا  
يلتزمون الجانب الجنوبي . وهذا مثال ملحوظ لحسن ذوق الجماعات  
الكبيرة من الناس دون أن يحدث أى حادث خطير .

وقد قال أحد رؤساء المراقبين وهو يطل بحثو من سيارته على  
الجموع الرصوفة على الطريق الذى تسلكه الملكة فى نزهتها والذى لم  
يكن به الا رجل بوليس واحد يخصص لكل خمسين ياردة : ( هم اناس  
طيبون ) لا متاعب على الاطلاق .

ومن المصادفات العجيبة ان حياتى المصلحية بدأت بتتويج الملك  
جورج الخامس وانتهت بتتويج كبرى كريمانته . وحينما اجتزت امتحان  
الخدمة المدنية سنة ١٩١٠ كان مستر تشرشل حينذاك وزيرا للداخلية .  
وصمم خلفا للمالوف ان يرانى قبل ان اعيى فى وزارة الداخلية فتوجهت  
أنا فى حالة مصيبة متخوفا من مقابلة هذه الشخصية التى تشبه شخصية  
الاساطير والرجل الذى مكن الصحف من كتابة عناوين ضخمة بسبب  
حضوره معركة ( شارع سدن ) محاولا ان يعطى فرصة اخرى الى  
شبرد سجين دارتمون نشال قديم قضى فى السجن ٢٨ سنة بين السبعة  
والستين سنة المحكوم بها عليه ولم تكن لدى اية فكرة عن عمل المصالح  
الحكومية وكان مفاجأة لى ان اعلم ان ( جون مولان ) الذى الحق فيما  
بعد بأقسام بوليس العاصمة باحدى الوظائف أوفد بعد فترة قصيرة  
مرتديا كسوة مستر تشرشل الفدائية ليقوم بعمل وظيفة ضابط اتصال  
مدنى مع الجنرال السير ( مكريدى ) فى القوة التى أرسلت لتهدئة  
الاضطرابات فى ( بونى باندى ) .

أخذ مستر تشرشل يستجوبنى وكان من بين الاسئلة التى وجهها  
الى ( لماذا اخترت حياة مطلقة كحياة الموظف المدنى ؟ ) .

فأجبتة وأنا أفكر فى مولان وفى معركة شارع سيدنى بأن هذه  
الحياة حياة المدينة وكان هذا جوابا موفقا .

وقال مستر تشرشل . نعم انها حقيقة كذلك وأخذ نحو نصف  
ساعة يتكلم أرتجالا عن مشاكل وفن الإدارة وأنا اسمع اليه مأخوذا  
بسحر كلامه .

وليس كثير من الشبان الذين التحقوا بالخدمة المدنية من نالوا

مثلى هذه التقدمة الباهرة بالدخول في معترك العمل الذى اختاروه .  
بعد أسابيع قليلة من التحاقى بوزارة الداخلية قضيت بعض الوقت وأنا  
أراجع وأقترح اجابات لبعض أفراد العائلة المالكة عن تنويج الملك جورج  
الخامس . وكنت قد اهتممت في الوقت نفسه بموضوع آخر هو موضوع  
بوليس العاصمة . وتبين احدى الوقائع وحدها التغيير الذى أصاب  
الادارة البوليسية في هذه السنوات بسبب عمل سير ( ارثر ديكسون )  
الذى استمر من نهاية الحرب العالمية الاولى الى تاريخ اعتزاله الخدمة  
في سنة ١٩٤٦ مسئولاً عن شؤون البوليس في وزارة الداخلية - الادارة  
التي كنت اعمل فيها كانت مختصة ببوليس العاصمة ولكننا لم تكن نعلم  
شيئاً عن بوليس الاقاليم الذى كانت تختص به ادارة مستقلة منفصلة  
عنا ، والسير ارثر ديكسون يعزى اليه الفضل الاكبر في رفع مستوى  
البوليس الى مستوى جديد في جميع انحاء البلاد وأنه هو الذى ساعد  
على تحسين وسائله في كثير من ميادين العمل حتى تغيرت الاعمال  
البوليسية تغيراً شاملاً .

بدأت خدمتى تحت ادارة مستر تشرشل وانتهت تحت ادارة سير  
ونستون وقد امتدت الى اثنتين وأربعين سنة وقد تمتعت بها كلها وكانت  
الثماني السنوات التي قضيتها في بوليس العاصمة خير هذه المدة وقد  
كسبت منها ولاء ووداً ساعتر بهما دائماً . وكفاية رجال بوليس العاصمة  
في التنظيم اذا رؤيت عن كثب تكاد لا تصدق وكنت أعلم دائماً أن رجل  
البوليس لن يترك أعماله غير تامة سواء كان حفلاً رسمياً أو تحقيقاً  
جنائياً أو حادثاً اجتماعياً أو معرضاً للخيل . فكل شيء يلقى عناية  
بجسلسل منتظم مقرون بالذكاء . وقد حدث في كلية البوليس في احدى  
الليالي أن حياً أحد ضباط الاقاليم فصيلة من ضباط بوليس العاصمة  
كانت حديثه العهد بالوصول . حياها بالعبارة الآتية ( هنا يقدم العظماء  
والامجاد ) وهذه الكلمات وقد نطق بمضها على سبيل الجد تصلح أن  
تكون ختاماً لقصتي .

ان تاريخ بوليس العاصمة هو في الواقع عظيم ومجيد فالحكماء يرون  
ياتون ويذهبون ولكن قوات البوليس تبقى لتواجه مشاكل عالم دائم  
التغيير . وفي خلال الأربعين سنة الماضية استطاعت القوات أن تتغلب  
على هجوم وجه الي كفايتها ونزاهتها ولعبت دوراً حيويًا في الدفاع عن  
لندن في حربين عالميتين واستطاعت بسلطات كانت تمنحها من وقت الى  
وقت . وفي الظروف الطارئة أن تحافظ على الامن بينما تركت حرياتنا

الضرورية بغير مساس وإذا كانت لم تحقق ما كانت تأمله ، من كمال مهني فقد خُطت خطوات جديدة نحوه ومما يذكر أن رجال البوليس وحكمدارهم كانوا الى ما قبل اربعين سنة مفتت موضع تكتيت مستر بنش الخبيث المزوج بالصدافة وقلما يظهرون اليوم في صفحات مجلته .

ورجل البوليس درب لا على تنفيذ القانون فقط بل على رعايته ولذلك فقد استطاع أن يتقلب على ما كان يتعرض له أسلافه من الحقد والسخرية واكتسب لنفسه احترام الجميع ومحبتهم ما عدا الاقلية الضئيلة الخارجة على القانون وهو يخدم الحكومة دون الاعتداد بلونها السياسي وتنفيذه القانون بغير محاباة أصبح حجر الزاوية لحياتنا الديموقراطية .

ويجد الشعب البريطاني في قواتنا البوليسية الاداة الوحيدة التي يجب أن يحتفظ بها وقد صرحت الحكومات المتعاقبة أن من السياسة الثابتة أن تشغل أعلى وظائف السلك البوليسي من ضباط البوليس وفي تعيين نائبي سير (جون نوت بور) خلفا لي تأكدت من هذه السياسة بأعلى مستواها . وهذا كله للصالح العام الا أن هذه السياسة تفترض وجود الرجال الصالحين لشغل هذه الوظائف الرئيسية وإن كلية البوليس لتؤدي عملا عظيما في اعدادها الرجال المحققين فعلا في الخدمة لشغل الرتب الأعلى . ولكن مهمتها مقصورة على رجال البوليس الحاليين وما لم يكن هؤلاء الرجال من الطراز الصحيح فلا تستطيع الكلية أن تنجح وظروف الخدمة في البوليس يجب أن تبلغ من الحسن درجة تجذب اليها شبابا ذوي اخلاق ومقدرة ممن يرغبون أن ينخرطوا في سلك البوليس ويعتدوا أنفسهم للترقي الى القمة .

وتتطلب خدمة البوليس ممن يلحقون بها مطالب غالية . ولا يمكن القول حقا ان المكافآت التي تقدمها كافية واتى لأرقب باهمة اليوم الذي يقرر فيه ضابط البوليس الناجح أن يشجع ابنه على الالتحاق بخدمة البوليس كما يفعل ضابط الجيش أو ضابط البحرية لتشجيع ابنه على الالتحاق بخدمة الجيش أو البحرية وليست هذه الحال اليوم وقبل أن يقع هذا لا بد من حصول تغييرات أعظم مما شاهدناه في السنوات الأربعين الماضية .

فالمهام الحسنة وهي تشتمل على تهويض مناسب من غلاء المعيشة في لندن وزيادة المساكن . وانشاء مراكز بوليس حديثة . مسائل

يجب ان تكون في المقدمة واعتقد انها يجب ان يتبعها زيادة في عدد رجال القوات مما يمد السبيل لتحسين النظم . وهو التحسين الذى يموقه اليوم نقص عدد الرجال فزيادة عددهم معناه نقص ساعات العمل والإعفاء قليلا من العمل ليلا . وفي أيام العطلة الأسبوعية . وخلال العطلات كما يؤدى الى تنمية نظام التعاون البوليسى واعادة تنظيم الفرق الأصلية والفرق الغرامية حتى يمكن تزويد كثير من الأماكن التى تشكو ولها بعض الحق في انها لا تجد الحماية البوليسية التى تحتاج اليها .

وزيادة عدد الرجال تسمح باتساع الوقت الذى يخصص للتدريب وفى كل عام تزداد الحاجة الى مهارة رجال البوليس ومعلوماتهم الفنية فان من المستحيل الآن ان تكفى فى الثلاثة الأشهر المعدة لتدريب الطالب المستند جميع الأشياء التى يجب أن يعرفها رجل البوليس فتخصص مناهج دراسة جديدة على فترات منتظمة خلال مدة خدمة الضابط وإعطاء مناهج تعليمية عامة للضباط الذين هم فى منتصف سنوات خدمتهم وإتاحة فرص أكثر لمشاهدة بعض ما تقوم به قوات بوليسية أخرى من الأعمال داخل البلاد وخارجها . كلها مسائل تدعو الحاجة اليها اذا ما أريد أن يكون رجل البوليس فى المستقبل قادرا على الاضطلاع بمهمته فى عالم آخذ فى التعقيد المستمر .

فاذا ما تحققت هذه المطالب فلست اشك أنه سيوجد بين القوات نفسها رجال قادرين على ان يقودوها الى مرتفعات أعظم فى الخدمة العامة .

# فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المترجم	٣
الفصل الاول :	
اسكتلنديارد	٧
الفصل الثاني :	
التقاليد البوليسية	١٥
الفصل الثالث :	
دعهم يفعلون ثم أصلح	٢٥
الفصل الرابع :	
اعداد رجل البوليس	٣٧
الفصل الخامس :	
الاقتصاد في عدد رجال قوات البوليس	٤٩
الفصل السادس :	
المجربة بعد الحرب	٦١
الفصل السابع :	
الشبان الذين في الخطر	٧٥
الفصل الثامن :	
البوليس • الصحافة • الجدهور	٩٣
الفصل التاسع :	
قضية هيچ	١١٣
الفصل العاشر :	
ادارة المباحث الجنائية	١٢٥
الفصل الحادى عشر :	
مكتب السجل الجنائى	١٤١

١٥٣	• • • • •	ادارة بصمات الاصابع	الفصل الثاني عشر :
١٦٥	• • • • •	معمل علم الطب الشرعى	الفصل الثالث عشر :
١٧٧	• • • • •	مقتل مستأنلى ستى	الفصل الرابع عشر :
١٨٩	• • • • •	كريستى	الفصل الخامس عشر :
٢٠١	• • • • •	الفرقة الطائرة	الفصل السادس عشر :
٢١٩	• • • • •	فرقة التزوير	الفصل السابع عشر :
٢٢٧	• • • • •	المتحف الاسود	الفصل الثامن عشر :
٢٣٧	• • • • •	الفرع الخاص بزيارة مارشال تيتو	الفصل التاسع عشر :
٢٤٩	• • • • •	حجر سكون أو حجر التتويج	الفصل العشرون :
٢٦٣	• • • • •	فرقة التميز	الفصل الحادى والعشرون :
٢٧١	• • • • •	البوليس النسائى	الفصل الثانى والعشرون :
٢٧٩	• • • • •	البوليس الراكب والكلاب	الفصل الثالث والعشرون :
٢٩١	• • • • •	مشسكلات المرور فى لندن	الفصل الرابع والعشرون :
٣٠١	• • • • •	مناسبات كبرى	الفصل الخامس والعشرون :









## هذا الكتاب :

( أسكتلنديارد ) هو الاسم  
المدى فى عالم الاجرام ، يخشاه  
المجرم قبل وبعد ارتكاب الجريمة .  
ومؤلف الكتاب تقلد منصب  
حكماء بوليس لندن عدة سنوات ،  
وهو بهذا حجة فى أعمال البوليس ،  
وقد روى فى الكتاب عن رجل  
البوليس ما له وما عليه فى صدق  
وصراحة ودقة ، واختار من  
الحوادث أشهرها ، ومن المجرمين  
أكثرهم جراً وحيلة ، فشرح وعلق  
بما ينفر من الجريمة وينذر  
بمقابلة المجرمين ، ويشهد لرجل  
البوليس بأنه نعم الحارس الأمين .  
فجاء هذا الكتاب يسد فراغا  
كبيرا فى المكتبة البوليسية .

Bibliotheca Alexandrina



0500826



العدد ١٠١  
المن ٣٥

الذلة القومية للطبائخ والنشيط